

# مذكرات مدام اسكويث

للميرة مرغوة

عقيلة المستر اسكويث رئيس الوزارة البريطانية سابقاً



يطلب من مكتبة العرب بالقاهرة بمصر

منه ١٦ وعنه باللغة الانكليزية ١٥٠

ترجمة الشاعر المأثر أسعد خليل داغر

عني بنشرها بروسف نورما البستاني صاحب مكتبة العرب

# مذكرات مدام اسكويث

(١) لاسيرة سرغو

عقيلة المسنر اسكويث رئيس الوراثة البريطانية سابقاً

—

«القطعة حانس» (٢) قبيحة المظهر معشوقة العجز لايك

قال المسنر وستن تشرسل في حريدة الديلي ميل : —

«يحق لهذه المذكرات ان تشغل محلاً في السارح في عهد الملكة فكتوريا»

—

ترجمة الساعر البائر

أسعد خايل داغر

كتاب حوى ما اغتتهى من فكاهاة وتاريخ قوم في اجتماع وحلوة

تمر به مستقرياً ممتعاً بقطف ثمار منه تأشهد حلوة

عبي بدشره

يوسف توماليتياني

صاحب مكتبة البصر

---

(١) تصغير مرغريت (٢) كهلة عربية

---

المطبعة اليوسفية باب الخلق بمصر سنة ١٩٢٢

## المرمور التاسع والثلاثون

٥ انما نفخة كل انسان قد جعل .

٦ انما كخيال يتمشى الانسان . انما باطلاً يضحون . يذخر ذخائر

ولا يدري من يصمها

٧ والآن . ماذا انتظرت يا رب ؟ رجائي فيك هو

أني  
أهدي هذا الكتاب

إلى

زوجي

مرغور اسكويث

« ماذا؟ ألم تنل قوةً تمكنك من احتمال ما يصيبك من  
الكوارث؟ ألم تعط عزّة نفس وسعة صدر؟ ألم تؤت شجاعة؟  
ألم ترزق صبراً؟ »

ابن تيمية



## مقدمة المترجم

اقترح عليّ ترجمة هذا الكتاب صديقي الاديب يوسف اخندي توما البستاني المعروف عند القراء بشدة تفانيه في السعي والاتفاق على نشر وطبع الكتب المفيدة . فتوقفت متردداً وهممت ان أجيبه بالرفض والامتناع . لاني كنت قد سبقت واطلعت في احدى الصحف العربية على ترجمة فصل منه ملخصاً وقلت في نفسي ان كانت محتوياته كلها شبيهة بما في ذلك الفصل فاني لا أراه يستحق أقل شيء من عناء الترجمة ونفقات الطبع والنشر . لكنني استمهلّت صديقي في الجواب ريثما اطالع الكتاب لعلّي أستطيع ان ابدي فيه رأياً لا يخطئ محجة الصواب والحق أقول اني لم أقرأ منه بضع صفحات الا تملكنتني لذة سحرت لبي وأخذت بمجامع قلبي وانشأت فيّ أشد ما عرفته من الميل الى مواصلة المطالعة بلا توقف ولا انقطاع حتى استنفدت كل ما عندي من أوقات الفراغ وكادت تستفزني الى الاستئثار بجانب من دقائق الاكل المعدودة وسويعات النوم المحدودة وكنت كلما فرغت من تلاوة فصل أجد من تغيير الموضوع وتحويل البحث في الفصل الذي يليه تلاوة شائقة وفكاهة رائقة تولدان في ميلاً جديداً وارتياحاً شديداً الى المواظبة على المطالعة . ولم يزل ذلك دأبي حتى فرغت من قراءة الكتاب كله .

فلذا بي قد وقفت على ماخطه يراع الكاتبة عن نفسها وعن كل  
 واحد من أسرتها وغيرهم ممن اتصلت بهم بصلة القرى والنسب  
 أو برباط الصداقة والوئام أو بعلاقة العشق والغرام . وما وقع  
 لها من المباحثات الدينية والادبية والمطارحات السياسية  
 والاجتماعية مع كبار رجال الدين والجاه والثروة وأقطاب السياسة  
 والعلم والفلسفة وأكثرهم معروفون حتى عند عامة القراء مثل  
 الملك ادورد السابع وغلادستن وسلسبري وروزبري وبلفور  
 واسكويث وغيرهم ممن لا يسعني ذكرهم في هذه المقدمة  
 وما ادر لا ادر ايتهما كان أشد تأثيراً في . الفوائد التاريخية  
 والسياسية والاجتماعية والادبية والا مالم يح الفكاهية التي اجتنتها  
 من تصفح الكتاب ام اعجابي ببلاغة كاتبته وسعة اطلاعها  
 وسرعة خاطرها وغزارة مادتها وطول باعها في فن الانشاء ومهارتها  
 في تدوين المذكرات « اليوميات » وترتيب الحوادث وسرد  
 الوقائع وتمحيص الحقائق . وامتلاكها لخاصية التدقيق في البحث  
 والوصف على صراحة في القول وشجاعة في الانتقاد وانصاف  
 في الحكم حتى على نفسها غير محجمة عن ذكر ما فيها من  
 العيب والنقص

وكانت فوق هذا كله حريصة على اتقان كل مازاولته في ايام  
 صباها من الاعمال . فقد ضرب المثل بيراعتها في الفروسية أو  
 ركوب الخيل والخروج للصيد والقنص في بطون الاودية ورؤوس

الجبال واجواف الادغال حيث تعرضت غير مرة لآخطار السقوط  
والاشراف على الموت . وضربت بسهم كبير في فنون الرقص  
والتمثيل والتصوير والموسيقى . وكانت جليسة الوزراء والعلماء .  
عرفت هذا كله عنها من مطالعتي لكتابها . فأتضح لي ان  
ذلك الفصل الصغير الذي ترجم منه الى اللغة العربية لا يصح ان  
يتخذ عنواناً له ولا انموذجاً لمحتوياته . وحيثئذ عازمت على ترجمته  
اجابة لطلب صديقي الناشر وخدمة لقراء اللغة العربية ليسهل  
عليهم مطالعة كتاب طبقت شهرته الخافقين وشغل كُتَّاب اللغة  
الانكليزية صفحات الصحف الاسبوعية واليومية والمجلات الشهرية  
في نقده وتقريره دلالة على شدة اهميته

وبلغني ان الذين تولوا طبعه ونشره تقدوا مؤلفته عشرة  
آلاف جنيه وقيل اثني عشر الف جنيه . وقد ترجم الى اكثر  
اللغات الاوربية . وثمان النسخة منه في اللغة الانكليزية نحو ١٤٠  
غرشاً صاغاً

بقي ان صديقي الماشر لم يوافقني على جعل عنوان الكتاب  
« مذكرات مرغو اسكويث » كما هو في الاصل وفي الترجمة  
الفرنسوية لانه استثقل كلمة « مرغو » . وقد عرضت عليه ان  
استبدل بها « عقيلة » أو « قرينة » فابي قبول هاتين أيضاً وحتم  
بوجوب استخدام كلمة « مدام » العامية بحجة انها اسلس وارق  
وأكثر دوراناً في الالسنه وأن « الخطأ المشهور خير من

الفصيح المهجور . ولما أصر على رأيه وأقفل في وجهي باب  
الكلام جاريته فيه مرغماً وقلت « صبراً على مجامر الكرام »  
واكتفيت بهذا التنبيه لعله يشفع بي عند المحافظين من علماء اللغة  
الاعلام والسلام

أسعد خليل داغر

القاهرة في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢١



## مقدمة المؤلف

لما شرعت في وضع هذا الكتاب كنت في ريب من جهة توقف قيمته على ما استطيعه من تدوين حكمي على الناس والحوادث باخلاص وامانة . ولما فرغت منه حل اليقين محل الريب . ولو كان كتابي هذا في موضوع آخر لكان لحكم اصداقائي فيه ومعارفي قيمة لا تثمن . ولكنه انحصر في موضوع قضى بان يكون مرجع الحكم فيه اليّ انا وحدي . لان من يكتب كما يتكلم يجب عليه ان يتحمل المسؤولية كلها . ومتى سألت غيرك قائلاً له : — « ماذا تظن : أيصح لي ان اقول هذا أو اكتب ذلك ؟ » كنت كمن يروم تحويل جانب من المسؤولية عن نفسه الى غيره . اما انا فلم يسعني قط ان اوجه سؤالاً كهذا الى أحد أيا كان ولا سيما زوجي الذي لم يطلع على كتابي الا الآن . وعدتي الادبية الوحيدة انما هي صراحتي الطبيعية . فلو خامرني أقل شك في ان ما كتبت فيه يخرج موقف زوجي او يوقعه في ورطة لكان بلاريب يوهن صراحتي أو يجعلها اثرأ بعد عين . واني افضل ارتكاب مئات من الهفوات في الاشياء وغيره على تصوري — فضلاً عن تصور الناس — اني عرضت زوجي لشيء مما اشرت اليه .

وسأخالف اكرر كتاب المذكرات في الاقتصار على عدد قليل من الذنب يجب عليّ أن انوه بفضاهم واصرح بشكرهم في هذه

المقدمة . فمنهم اللورد كرو والمستر الكسندر متوس لانهما  
اطاعا على كتابي هذا قبلما اكملت تأليفه ومثّلته للطبع وابديا  
ماعنّ لهما من الانتقادات ولم يكن في ذلك ما يقيدهما بالموافقة  
على كل ما كتبه . والمستر ادموند غوس والمستر دسموند ما كرتي  
لانهما تفضّلا بذكر بعض ملاحظات مفيدة والمستر جون مري لانه  
اذن في نقل جانب من الفصل العاشر في كتابي من مجلة كورنهل  
وكاتبتني الآنسة لي التي أعدت الكتاب للطبع بالمكتاب  
[ الآلة الكاتبة ] واتّمت عملها بدقة وسرعة لا مزيد عليهما

فقليلون جداً هم الذين يحق لي أن أقول لهم «لولا استصوابكم  
ونشيطكم لم اكتب هذا الكتاب» أما أولئك الذين يحبونني  
حقيقة فسيصفحون عني عالمين أن فضلهم يقصر عن شكره لساني  
ولكن لا يعجز عن الشعور به جناني

مرغوا اسكوييت



# مذكرات

مدام اسكويث



## الفصل الاول

وُلدتُ سنة ١٨٦٤ في موطن هوغ وسكوت<sup>(١)</sup> بين نهري يارو وتويد<sup>(٢)</sup> وكنت واحدة من اثني عشر ولداً . ولكنني لم أعرف منهم سوى ثمانية لأن الباقيين توفوا قبلما بلغت سن الرشد . أما شقيقي الكبرى « بولين » فقد وُلدت سنة ١٨٥٥ وزُفت سنة ١٨٧٤ الى توماس غوردون دُف . وكان من صفوة الشبان ونخبة الفتيان . وقد توفيت شقيقي هذه بداء السل الذي شنت غارة شعواء على أُسرتي كلها . وكان بيني وبينها - من حيث السن والاخلاق - اختلاف شديد حال دون توثيق عرى اللفة والصداقة بيننا . لكنها امتازت بالصلاح والصبر والشجاعة وكان لهذه الصفات تأثير شديد فيَّ

---

(١) هوغ وسكوت شاعران سكوثلنديان

(٢) يارو وتويد نهرايان في سكوثلند

أما شقيقتي الثانية شارلوت فقد ولدت سنة ١٨٤٨ واقترنت  
باللورد « ربلسدايل » سنة ١٨٧٧ . وامتازت هي وأخي ادورد  
عنا كلنا بطول القامة . وسمعت والدتي تقول ان امتياز شقيقتي  
هذه بطول القامة وجهال الطلعة مكتسب من مرضعتها جانت مرسر  
التي كانت مشهورة بقدرتها الطويل الرشيق وشكلها الجميل الأنيق .  
وكانت شارلوت تفضلنا كلنا في بعض الامور ولكنها لم تؤت  
سرعة خاطري وعبقريه « لورا » وقريحة لوسي . وكانت مع شدة  
جمالها أقل الناس عجباً وزهواً . أما شجاعته الأديه فكانت من  
أكبر بواعث المسرات في الهيئة الاجتماعية . وقد سمعتها في احدى  
المآدب تقول للمرحوم روتشيلد : —

« أو لا تزال ياسيدي اللورد تتوقع محبيء مسياً ؟ »

وذهب مرة زوجها الى احدى المفاطعات ليلقي فيها خطبة  
سياسية . فأرسلت اليه تلغرافاً تقول فيه : —

« احذر كل الحذر من أن تطعن خصومك فوق النطاق ! »

كانت كأس شبيبته مملوءة دهاقاً من أرواح النشاط وأنفاس  
العزم وخلو البال . وقد ضربت بسهم من الفروسة أي ركوب  
الخيل . ولكنها لم تبلغ شأوي في هذا الفن

وقلما اتفق لزوجين غير شارلوت و ربلسدايل ما آتفق لهما من

شدة موافقة احدهما للآخر حتى صحح فيهما القول : —

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها



وكثيراً ما شاهدت المصورين يتسابقون الى تصويرهما وأيت معارض الصور في لندن حافلة بعرض رسومهما الجميلة

أما شقيقي لوسي فكانت أذكاءنا قريحةً وأوفرنا نصيباً من حيث العلوم والمعارف . ولكن اتفق أنها كانت في حدائتهاين طبقتين . لان تناسب السن سهّل اصطحاب بولين وشارلوت كما سهّل لي ولشقيقي لورا . فانفردت لوسي وفاتها أطايب حياة الحداثة التي تمتعنا نحن بلذتها . ولم تتوثق عرى الصداقة بيننا الا بعد زواجها وكنت يومئذ ابنة اربع عشرة سنة . وكانت حبيبة أمنا . ولم ينازعها أحد منا هذا الامتياز . وقد أخذت عن أبي كرم الضيافة وشجاعة القلب وحاكت أمي في الوداعة ورقة الجانب ولين العريكة . وبلغ من شدة حرصها على مراعاة شعور الآخرين أنها كانت تجتنب التصريح بأفكارها من جهتهم . فقد كانت صادقة ولكن أعوزتها الصراحة . وبراعتها في التصوير على اختلاف أنواعه فاقت جداً براعة لورا في البيانو وبراعتي في الرقص . ولو أنها أجابت طلبنا وعرضت ما كان عندها من الصور البديعة للبيع لكانت من كبريات النساء الغنيات . ولكن كان زهداها في حطام الدنيا أشبه بزهد القديسين . اني مديونة لها بأشياء كثيرة توجب عليّ الكتابة عنها . ولما أصابها داء النقرس وجرعها أمرّ الألم أظهرت صبراً وجلداً اكسبهاها محبة واعجاب جميع الذين عرفوها

اما عن اخوتي لورا فسأتكلم فيما بعد . والآن انتقل الى الكلام  
عن اخوتي . —

كان أخي جاك (١) ممتلئاً صحة وعافية . ولكنه نال في صغره نصيباً  
كبيراً من التفنيق والترفيه ولم يُعتن بتربيته العناية الكافية . وأصابه  
ضعف في أعصابه لانه أطلق له العنان في حدائته لمرافقة الصيادين  
فكان يقطع كل يوم من اثني عشر الى خمسة عشر ميلاً جرياً على  
قدميه وعلى رغم ما كان يلقاه من شدة العناء كان يذهب بعد  
المساء ليلعب « باياردو » ويظل الى ما بعد نصف الليل

وقد افسح له زوجي المجال لاغتنام فرصة التقدم في الشؤون  
السياسية فعيّنه كاتم أسرارهِ في « البرلمنت » فأفلح وقام بعمله  
أحسن قيام

وفي سني ١٩١٤ و ١٩١٥ و ١٩١٦ العصبية امتاز بما أبداه من  
الأهلية والكفاءة في منصبه الخطير اذ تعين وكيلاً لوزير  
الحربية المرحوم اللورد كتشنر . ثم تعين أخيراً وزيراً لسكوتلند  
وصار من أعضاء الوزارة . وكان كباقي أسرة تنزّت ذاهمة ونشاط  
واريجية . وقد حذق جميع أنواع الالعب الرياضية واشتهر  
بشدة براعته في الصيد

---

(١) هـ ج . تننت

اما أخي فرئيس تننت فقد امتاز عن سائر اخوتي بشدة  
براعته في الفنون الجميلة . فقد كان ذا أذن مطبوعة على ادراك  
ادق النفحات الموسيقية وعين مخلوقة لتعرف الالوان واستجلاء  
جمال المناظر وحسن المشاهد أيا كانت

وفي حدائته ابتلاه نكد الطالع باستاذ خشن العريكة فظ  
الطباع فعاق مسير تثقيفه وتهذيبه • رأيته يوما وقد ابتدر أخى  
بضربة شديدة كادت تصرعه فخي غيظي عليه وصحت به : —  
يا لك من وحش ! ثم لطمته على رأسه بكفتايدي • فرد الي اللطمتين  
باشد منهما على اذني • وهاج ذلك سخط اختي لورا فاحتجت  
على قساوته هذه اشد احتجاج وتهدته بالشكوى الى ابي • اما  
هو فرمى بها الارض وغادر الغرفة

وكما تذكرت اهمال المريات وقساوة الاساتذة الذين ابتلينا  
بهم يأخذني العجب مما عرفناه وتعلمناه فانه كثير جداً علينا  
اما اخي الاكبر « ادي » فقد كنت معه على احسن ما يرام  
على رغم ما كان بيننا من اختلاف الطباع والملامح . فقد كنا كلانا  
شديدي المحافظة على الوقت • شديدي الجزع • لكنه كان يكره  
الزيارات . وكنت انا شديدة الولع بها . وكان يمقت الاجتماعات  
وكنت انا ميالة كل الميل اليها . ولما كانت والدتي قد طمنت في  
السن واصبحت عاجزة عن الذهاب بي الى حفلات الانس والطرب  
كان « ادي » ينوب عنها في ذلك فيوصلني الى حيث اريد الذهاب

ولكنه لم يعد قط ليرجع بي الى البيت واذ كان كل منا يحمل مفتاحاً لبوابة البيت الخارجية كنتُ كل مرة اعود أما وحدي او مع رفيق

وكان ابي <sup>(١)</sup> مفعماً همّة ونشاطاً وممتازاً بشدة قوته الحيوية وسهولة غيظه وسرعة تأثره . ولما توفي في اليوم الثاني من شهر يونيه سنة ١٩٠٦ كتبتُ عنه في مذكراتي ما يأتي : —

« بينما كنتُ جالسة في غرفة ابنتي اليصابات اسمع لها درسها وكانت الساعة ٧ بعد الظهر جاءني تلغراف من زوجة ابي تقول فيه : — انطلق ابوك بسلام الساعة الخامسة بعد الظهر

» فغطيت وجهي بيديّ وخرجت اطلب زوجي . فقد كان ابي مريضاً منذ بضعة ايام . ولكني كنتُ في صباح ذلك اليوم قد تناولت كتاباً منه . ولهذا فاجأني نعيه على غير توقع ولا انتظار وانقض عليّ كالصاعقة

« أما ابنتي اليصابات فقد راعها جداً مصابي واثري فيّ اشد تأثير قوتها لي والحزن يغشى محياها والدموع تنهل من اجفانها : — « لقد عاش يا اماء سعيداً جداً . ومضى والسعادة تصحبه . فهو سعيد جداً وسيبقى هكذا على الدوام ،

( ١ ) السر تشارلس تمنت . ولد سنة ١٨٢٣ وتوفي سنة

« نعم . هذا حق لا ريب فيه . لقد كان سعيداً وسيبقى هكذا على الدوام . لقد أوتي من صحة الجسد واستنارة العقل وصلاح النفس قسطاً كبيراً ضمن له حياة طويلة تملئ فيها ما شاء من السعادة والهناء . ولم اعرف قط احداً غيره مكنته قوته الحيوية من الاستقلال بنفسه والاستغناء عن الآخرين حتى الى آخر حياته . فكان يمشي وحده ويخرج لصيد الاطيار والاسماك وبعض الالعاب الرياضية وحده . نعم كان يعول على والدتي وعلى زوجته بعد وفاة والدتي ويأنس بصحبة شركائه البسطاء في اللعب . قضى حياته الطويلة يجد السير منذ صباه في منامع الامانة والاستقامة ملتزماً خطة الصراحة والبساطة في جميع تصرفاته وكان شديد الرسوخ في عزمه وصحة مبادئه ودقة ملاحظاته وقوة ذاكرته وارادته ومواظبته على العمل . وكان يكره الهدايا لكنه كان يرتاح الى الاطراء فكان يسهل تملقه والزلف اليه . لكن وقته لم يكن يسمح له بالتفرغ لشيء كثير من هذا القبيل ومن كرم الاخلاق ان يصدق الانسان غيره في مدحه له

« وكان يأنس بمجالسة بعض الاصدقاء ومنهم ربلسدايل واللورد هالدين واللورد روزبري وارثر بلقور . وكان يشعر بروح الصداقة نحو كل انسان . ولما كنت انا وشقيقتي بعد فتيات كان يقول لنا يجب ان يجري زواجنا على الطريقة المألوفة في هذه الايام . لكنه أخيراً اطلق لنا حرية الاختيار لتقترن كل

منا بمن احبت واعاننا على تحقيق ذلك بما قدمه من المساعدة  
 المادية على خلاف ما نراه من اكثر الآباء فانهم يضحون بيناتهم  
 ويكرهونهم على قبول ازواج لا يحببنهم لانهم اغنياء لا يكفونهم  
 الانفاق على جهاز بناتهم ولا يتقاضونهم مالا  
 «واظنني كنت أعرف اخواتي واخوتي به وادراهم جميعاً بما يرومه  
 ويعنيه لاقل اشارة تبدو منه . وقد عشت معه تسع سنوات  
 (بعد زواج أختي لورا) لم يكن فيها معنا من باقي اسرتي سوى  
 أمي واخي ادّي . فالتسع لي مجال اختباره والتعرف به . فكان  
 يعجب بما يراه في من الاندفاع بلا تدبر ولا احتياط . وقد شاقه  
 ما آتته في ربلسدائل من رقة الجانب وحسن التناول فاحب  
 احدهما الآخر محبة صادقة . وقد قال لي مرة عنه : — انه من  
 الذين اودعوني منةً وحملوني على شدة الاعجاب بهم . وقليل  
 ما هم ، »

ولا يسعني ان اتجاوز هذه الاشارة الى صهري ربلسدائل من  
 غير ذكر الاثر الذي كان له فينا عند ما زارنا أول مرة  
 فقد كان أجمل رجل رأيته ما عدا اللورد ويمس (١) الكبير  
 والمرحوم اللورد بمبروك (٢) والمستر ولفرد بلنت واللورد دي  
 ابرنون . وقد تعرّفت به شقيقتي شارلوت في حفلة رقص في لندن

(١) ارل ويمس ابو ارل ويمس المعروف

(٢) جورج ارل بمبروك عمّ ارك بمبروك المعروف

لما كان ابن احدى وعشرين سنة وكانت هي ابنة ثمانى عشرة .  
 وكان معه في المرقص احد رفقاءه من ضباط فرقته . فلما رآه  
 يرقص مع اختي سأله هل هي اخته فاجابه : « لا والحمد لله ! »  
 ولما زارنا في « غلن » كنت في الثانية عشرة . فاذا به متحلّ  
 بأفضل السجايا واجمل الصفات . لذلك مال ابى اليه كل الميل .  
 وقدر حسن خلقه وخلقه حق قدرهما

اكتب هذا الآن بعد مضي اربع عشرة سنة على تلك  
 الزيارة . ولست اظن انى استطيع ان ازيد شيئاً كثيراً على ماقلته  
 ومع ان ابى كان من رجال الاعمال لم يعدم نصيباً كبيراً من  
 سعة المعرفة والاطلاع وجانباً ليس بقليل من ليونة الطبع  
 ومرونة الفكر

وعلى ذكر رجال الاعمال اقول ان الارقام التي في الكتاب  
 الابيض الرسمي الصادر في شهر نوفمبر دلت على ماتج عن ادماجهم  
 في الوزارة دلالة لا يصح سكوتي عنها في مذكراتي  
 فقد كان ابى وجدي من رجال الاعمال ولي بذلك الفخر كل  
 الفخر . ولكن من الحق ان نظن ان ادارة شؤون مصلحة مهمة  
 من مصالح الحكومة او انشاء خطة من الخطط السياسية الخطيرة  
 كليهما مثل ادارة شؤون عمل من الاعمال لا فرق بين الامرين .  
 هذا الظن في غير محله . لان الصفات التي تؤهل الانسان لان  
 يكون رجل عمل غير الصفات التي تؤهله لان يكون سياسياً .

ومن يزعم خلاف ذلك فلن يجد بعد التجربة سوى الفشل الناتج  
عن وضع الشيء في غير محله

اكتب هذا وانا ابنة رجل عمل وزوجة رجل سياسي .  
اذأ اكتب عن معرفة واختبار . فاذا اسعدني الحظ بان يطلع  
المستر بونارلو الشديد الثقة برجال الاعمال على ما اقوله ويظل  
متمسكاً بزعمه من هذا القبيل فاني أحيله على ارقام كتاب  
الحكومة الابيض المطبوع سنة ١٩١٩

أما والدتي (١) فكان بينها وبين ابي اختلاف شديد في الطباع  
والصفات . فقد كانت شديدة الخوف والحذر سهلة الانفعال والالتقياد  
لينة العريكة رقيقة الشعور لطيفة المعشر

ومع ما كان بيني وبينها من شدة الارتباط والتعلق واطلاعها  
حتى على الامور المختصة بي من حيث الحب وما يتصل به لم يسعها  
ان تعرفني معرفة تامة . فقد كان يزعجها ويقلق افكارها ما تراه  
في من القوة الحيوية والنشاط الجسدي والاستقلال بما فيه بهجتي  
ومسرتي . ولم تتمتع قط بلذة سعة عيشنا لانها كانت شديدة  
الاهتمام والانهماك في الاقتصاد حالة كونه من شؤون الفقراء لا  
الاغنياء . وقد سمعت ابي مرة يقول ان المال اشد الامور التي

---

(١) اما ونسلو وهي ابنة رتشرل ونسلو الذي كان ابوه

متزوجا بكاترينا ولطر ابنة مؤسس جريدة التيمس المشهورة



يغالي الناس في الاهتمام بها والاضطراب من اجلها . ولم اجد في  
اختباري الطويل ما دعاني الى تغيير شيء من هذه الحقيقة بل  
اراني الآن واثقة كل الثقة بصدقها وصحتها

وكنا كلما اجتمعنا بابي وامي ودار بيننا البحث في موضوع  
الزواج يقول لنا ابي : —

« ارجو انكن يا بناتي تأيبن الاقتران برجال فقراء . ولا  
يجوز للرجال ان يتزوجوا وهم غير قادرين ان يعولوا نساءهم »  
فتجيب أمي : —

« لا تصغين الى ما قاله ابوكن . لان المال لم يستطع قط  
ان يجعل احداً سعيداً »

على انه في جميع ما كانت تلاحظه وتنتقده لم تعتمد قط  
التعريض بأحد بل كانت تسوق كلامها بروح الوداعة والمحبة  
والاخلاص . وكنا كلما نعلم هذا الامر حق العلم

وكانت والدتي كلما قبلتها مرة تربتني (١) على ظهري وتقول  
لي « انتصبي » اما والدي فكان كلما قبلته يقول لي « بشي ولا تعبسي »  
ولن اسي هاتين الوصيتين ما حييت . وقد عملت بهما فحفظتا  
وجهي من انفضن والنجمد وقامت من الحذب والانحاء

وكان الناس يظنون والدتي ساذجة القلب بسيطة النفس تأخذ

بظواهر الامور ولا تستطيع ادراك ما يتطلب نظرا بعيدا وشعورا عميقا . وفاتهم ان يذكروا ان فجيعتها بفقد اولادها الاربعة الاولين قصمت ظهرها وسحقت قلبها وحملتها ما لا يطاق من الحزن والاسى . فكانت كلما حاوت مطارحتها الحديث عن ايامها الماضية تهيج بها لواعج الغم والاكتئاب فتجنح الى النوح والالتحاب فاضطر ان اقطع معها صلة الكلام او اغير مجرى الحديث . وقد كان بيني وبينها علاقة محبة ومزاح شديدة الارتباط ولكن مجال الالفة القلبية كان محدودا الا فيما يتعلق بمطارحات غنجي ودلالي ففي هذه كان يشتد ائتلافنا واتفاق افكارنا فيتسع لنا مجال الكلام ونسترسل فيه كل الاسترسال

ان والدتي نفسها كانت في عهد صباها من كبار ربات الغنج والدلال وكان لها مسرة واستمتاع بانباء الحب وحوادث العشق والغرام فتنصت لها غير نافرة ولا زاجرة . وتعقب عليها بكلمة انذار وتحذير او نصح ومشورة . . قالت لي ذات يوم : —

« ان الشبان يأفنون من ان يروا الفتيات يتعقبنهم ناشدات لهم كما تنشد الضالة المفقودة . ولك ان تفعل ما شئت في حياتك بشرط ان تأخذي بعنان لسانك وتحذري جموحه . وقلما يشفق الناس على من يماط عنه الستار ويعرض للانظار »

ونصحت يوما لابي ان يجتنب التعرض لامور حبي مخافة ان اقترن بحوذي . وحسنا فعلت . لاني وان كنت لم اخف ان يبلغ

بنى التهورُ رُحْدَ الاقدام على الاقتران بحوذِيّ فعلى الاقل كنتُ  
اقتربت بمن لا يصلحُ لي<sup>١</sup> وكانت المداخلة على كل حال مضرة لي  
وفي مايلي خلاصة ما كتبتَه في «يوميتي» عند ماتوفيت أُمِّي : —

« ٢١ يناير سنة ١٨٩٥ »

« ماتت والدتي . توفيت هذا الصباح . ولم يبق بيتنا في «غلن»  
يتي . بل صرْتُ اذا ذهبت اليه استقبل فيه كغريبة عن أهله بعد  
ما كنت ارى ذراعي والدتي العزيزة الحنونة ممدودتين لتطويقي  
وضمي الى صدرها . اوّاه ! كم آتني لو استطيع القول بملء الصدق  
والاخلاص اني عرفتها حق المعرفة وكنتُ مؤاسية لها ولم اغتظ  
قط من كلامها واني احببتها كما احببتي . واأسفاه ! ماتت من كانت  
انيسي في وحشتي ومرشدتي في حيرتي ومستودع اسراري .

« تعلمت من حياة أُمِّي ووفاتها اشياء كثيرة مفيدة . فكم كان  
يشوقني منها اخلاصها وصراحتها وتنزُّهاها عن الزهو والغرور  
وسائر أباطيل العالم . فلقد وطنت نفسها على احتمال المكاره من  
غير ان تدع احدا يشعر بما تعانیه حتى بلغت في ذلك مبلغاً فاق  
الطاقة البشرية وتجاوز حد الفضيلة . ولطالما حاولنا ان نشاركها  
ولو قليلا في حمل جانب من اعبائها الثقيلة فلم تأذن لنا . وظلت  
على هذه الخطة الى آخر دقيقة من حياتها . فلم تحمل قط عن مبدأ  
ارهاق نفسها لاجل اراحة غيرها . ذلك كان مثلها الاعلى . وكان  
لها علاوة عليه رفق يفوق الوصف بالفقراء البائسين وسعي متواصل

في سبيل تخفيف شقائهم وتحسين حالتهم

« كانت تحتقر كل من يخاف عدوى الامراض وتجهل المسائل الصحية . وكان لها المام قليل جداً بالطبّ والعلاج ولم تثق قط بالاطباء ما عدا السر جيمس سمبسون الذي كان صديقها . وقد حدثتني عنه انه قال : — يجب الحذر مما يقال عن الصحة والحمية فان جانباً كبيراً منه حديث خرافة . وقال : اذا قاربت النار الانطفاء فلا فرق في محاولة ايقادها بالحضأ او بالملقط

« كانت شديدة المحبة لاولادها ولكنها قلما باهت باحد منهم على خلاف عادة الامهات . واذا نوّه أحد على مسامعها بنبوغ لورا او بجمال شارلوت أو بشيء آخر مما امتاز به بنوها وسائر بناتها عدت ذلك منه تلفظاً وتفضلاً فشكرت له واثنت عليه

« كانت أقل الناس كافة مبالاة بنفسها واكثر انشغالاً لشؤونها الخصوصية . لم تحفل قط بحطام الدنيا ولذات العالم ولا انطلق لسانها بالشكوى من شيء على الاطلاق ، وبكلمة اقول عنها انها كانت المرأة الفاضلة التي قلّ من يجدها »



## الفصل الثاني

كان قصرنا « غلن » يبعد ثلثين ميلاً عن ادنبرج . وقد بُني على الطرز المعروف بطرز « قصور سكوثلند » ومهما يكن من أسلوب بناء قصر « غلن » فلم يكن شيئاً مذكوراً في جانب جمال موقعه . فقد كان بعيداً عن محطة سكة الحديد والطريق المؤدية إليه محاطة على جانبيها بالمروج والغياض المكلمة هام التلال والمنبسطة على جوانب الاودية

تأخرت قليلاً في الزواج فقضيت كل صبوتي في « غلن » حتى صحّ ان يقال غني اني وليدة المروج والغياض . ولما توفيت شقيقي لورا بقيت انا واخي « ادي » مع والدي في « غلن » تسع سنوات وعند ما كان ادي يخرج للصيد والقنص كنت اقضي معظم ايامي متزهة خارج القصر وقلماً رجعت يوماً لتناول الغداء فيه وكل يوم كان جوادي يسرح ويعدّ لركوبي منذ الساعة السابعة صباحاً . فامتطيه وامضي متزودة بما احتاج اليه من كتب واقلام وورق للمطالعة والكتابة والتصوير وطعام وسجائر . فتعرفت بجميع الرعاة والصيادين . وكثيراً ما جالستهم وحادثتهم واطعمتهم جانباً من زادي . وكان مصابي بوفاة شقيقي لورا أشدّ مما استطيع احتماله فضاقت نفسي وعدت لا اطيع الاقامة في البيت وشعرت بشدة احتياجي الى الخروج من الصباح الى المساء

وفي ذات يوم لقيت راعيا طاعنا في السن يدعى غوانلك .  
واذا به قد دنا مني واخذ بعنان الجواد منبها اياي باي قد ضللت  
الطريق . فشكرت له معروفه ولاحظته ينظر اليّ متفرسا وكأني  
به ادرك ما اعانيه من ألم النفس وحزن القلب على فراق شقيقتي  
ثم وضع يده على كتفي وقال لي وهو يهز رأسه : —  
« لا فائدة من التبرم والتذمر . نعم . قضي الامر . لا فائدة  
من المقاومة والاعتراض »

وفي يوم مطر رأيتُ افاقاً رابضاً تحت السدّ رافعا مظلمته فوق  
رأسه وهو يتناول غداءه . فجلست بجانبه واخذت اجاذبه اطراف  
احاديث مختلفة . لكنه كان كثير السكوت قليل الكلام . فقد  
سألته من أين جاء والى أين يذهب وماذا يروم ان يعمل فأبى ان  
يجيبني عن هذا كله . فاعطيته سيجارة وجلسنا كلانا ندخن  
ساكتين لا نفوه بينت شفة حتى اذ انقطع المطر التفتُ اليه  
وقلتُ له : —

« اراك جوّاب افاق تقضي نهارك ماشيا ولا تقصد مكانا  
معينا . فقل لي كيف تعين جهة مسيرك متى استيقظت صباحا من  
نومك ؟ » فاجابني : —

« ادير ظهري الى مهب الهواء . وحيثما الريح تميلني امل ! »  
لا أذكر شيئا ساءني في ايام حدائتي الجميلة التي قضيتها في  
بيتنا مع اخوتي واخواتي سوى احتدام الخصام بيننا بسبب اختلافنا

في الطباع والامزجة حتى كانت والدتي تضطر غير مرة ان تفصلنا  
بعضنا عن بعض ولا تأذن لنا ان ننام في غرفة واحدة فكنا نتأدى  
في الحجاج والحجاج والصخب واللفظ الى الهزيع الاخير من الليل  
فنهزل ونضعف ونحرم الباقين في البيت لذة النوم والراحة

والحق يقال اننا كنا كلنا كثيري الحركة صعب المراس .  
وكنت انا نفسي لا اتفك عن ركوب المخاطر في تسلق الاشجار  
الباسقة وتسور الجدران العالية والصعود الى قم الابراج الشاخصة  
فوق سطوح القصر . ولا يخفى ما كان في ذلك من شدة الخطر  
على حياتي . وقد راع هذا التهور والذي حتى انه استدعاني يوما  
الى مكتبه واسرف في زجري واتتهاري . ولم يأذن لي في الانصراف  
من امامه الا بعد ما قسمت له امام الله على اني انقطع كل الانقطاع  
عن الصعود الى السطح والمشي على اطرافه فاقسمت على رغمي  
ولكنني بررت بقسمي

وقد قصرت تقصيرا كبيرا في تعلم الحساب أما في تعلم الرقص  
فقد برعت براعة لا توصف . حتى كنت قادرة في اثناء رقصي  
ان ارفع كلتا قدمي حتى تحاذيا حاجبي بلا اقل انزعاج

واستخدمت والدتي كثيرات من الوصائف والمرييات لاجل  
تعليمنا والعناية بنا فكنّ يأتين الى بيتنا اثنتين في وقت واحد  
ومن كل جنس — فرنسيات والمانيات وسويسريات وإيطاليات  
ويونانيات — ولكنه لسوء الحظ لم تُف واحدة متهن بالغرض

الذي استخدمتها والدتي لاجله . ولم أتمكن قط من حمل واحدة  
منهن على محبتي . ولست ادري اهن كن المعلومات في ذلك ام انا  
وربما يصح ان استثني منهن ماري موريس فانها المعلمة الوحيدة  
التي راقنتي وراقت أختي لورا . وهي ذات ذكاء نادر واخلاق  
حسنة . ولا تزال حية الى الآن . وكان ميلها الى لورا أشد منه  
الي . وهكذا كان ميل اكثر الناس

وهنا اروم ان اقول شيئاً عن شقيقتي لورا والفرد لتلتون  
الذي اقترنت به سنة ١٨٨٥ . واكثر ما كتب عنها وقيل فيها  
كان هذرا وهذيانا . والصحيح في الحكايات المكتوبة عنها  
اثنان احدهما كتبها زوجة الفرد لتلتون الثانية بروح الاخلاص  
والانصاف في ترجمة حياة زوجها والاخرى دونها تشارلس لدل  
ولكن ما امتازت به شقيقة روجي لورا من الذكاء الباهر وسرعة  
الخطار النادرة لم يوف حقه من الوصف حتى في هاتين الحكايتين  
وهاك ما كتبه عنها صديقي العزيز لدل

« عرفت الانسة تننت معرفة أفضت أخيراً الى احكام عرى  
المودة بيني وبينها وبين اسرتها . ولما كان لهذه المعرفة شأن خطير  
في حياتي رأيت من الواجب علي ان احاول وصف هذه الانسة  
وليس وصفها من الهنات الهيئات . لاني لم اجد شخصاً آخر غيرها  
اصعب منها وصفاً وتمثيلاً . ليس في ملاحظتها ما يشوقك من أول  
نظرة وان لاحت جميلة لاكثر الذين عرفوها معرفة قصيرة .  
ووصف ملاحظتها لا يوضح نباهة شأنها ونشاط روحها ايضاحاً  
كافياً فقد كانت صغيرة الجسم ولكن أعضاءها كانت كلها حسنة



الوضع جميلة التركيب شديدة الالتئام والتناسب بعضها لبعض .  
وكان لبسها على الدوام عنوان سلامة الذوق وحسن التناول . وإذا  
صعب عليك ان تصف ظاهر المرأة فكيف لو حاولت وصف  
سجاياها واخلاقها ؟

« وما عرفته عن هذه الآنسة أنها قلما لقيت أحداً لم يدن  
لها بعد بضعة أيام . والصعوبة في محاولة بيان اساليبها اشبه  
بصعوبة وصف رقص وصوت الموسيقى غير مسموع . ولعله  
يصح القول فيها ان اكبرميز لها هو الطريقة التي كانت تجمع فيها  
بين الولد الطاهر القلب ولباقة المرأة المتناهية في البراعة »

وقد يقول أحد قارئى مذكراتى : « ترى ما مثل لورا  
ومرغو (١) ؟ ماذا كان وجه الاختلاف ووجه الشبه بينهما

والذين استطاعوا ان يجيبوا اصح جواب عن هذا السؤال  
هم اللورد غلادستون والمستر ارثر بلפור واللورد مدلتون والسر  
رئل رود واللورد كرزن أوف كدلستون . اما انا فاقول ما يخطر  
ببالي عن وجوه الاختلاف والشبه التي كانت بيننا

فالحق يقال اني كنت قبلما هشت أنقي اجمل من لورا .  
لكن عينيها كانت أجمل من عيني اما من جهة القوى العقلية فلا  
يسهل علي تعيين الفرق بيني وبينها لانها توفيت وهي في سن (١)  
قل من يبلغ فيها كمال فواه العقلية . ولكنها على قصر حياتها

هذه كان لها في العالم تأثير لم يكن قط لاحد غيرها . ومما امتازت به امتيازاً رائعاً ساطعاً صدق روحانيتها (٣) وصحة شعورها بالعطف والحنان نحو الآخرين وبمحبة الله وحكمته ومقاصده . فقد كان عقلها مستنيراً بضياء الدين الحق وقلبها راسخ الاعتقاد بقواعده . ولكن لم يكن هذا كله ليحول دون انصرافها الى الغنج والدلال . ولما زارنا أحد الرجال اول مرة في « غان » وآثرتني عليها تعجبت جداً وكنت انا أشد تعجباً منها . ولولا ما كان بيننا من المحبة الفائقة الوصف والبالغة حد الكلف والهيام لشبت بيننا نارغيرة شديدة الضرام .

وهذا الرجل نفسه عرض غير مرة علينا كلتينا ان يخطبنا ولكن كلامنا اطلعت الاخرى على مقاصدها من نحوه

كانت لورا الين مني عريكة وارق جانباً ولكنني كنت افوقها في اختبار الناس ونقد اخلاقهم فكانت اكثر مني تعرضاً للغش والانخداع وعد الخبيث طيباً والردى جيداً . ولكن هذا النقص في سبر غور الاخلاق سهل عليها اصلاح شؤون كثيرين من معارفها فتيات وفتياناً ومكنها من تقويم اعوجاجهم وشحن قرائهم وادخال السرور الى قلوبهم

اما انا فلم افلح قط في محاولة تغيير أحد من حالة الى أخرى

بل كثيراً ما افضت محاولتي هذه الى خسارة عدد ليس بقليل من صديقاتي . وهذا كان الفرق الحقيقي بيني وبينها . لم اوفق قط الى تكييف أحد أو التأثير فيه الا ولدي اليصابات وانطوني . اما لورا فكان لها من هذا القبيل سلطة عجيبة مدهشة اثرت في كثيرين من النساء والرجال الذين اخبروني بعد موتها بعدة سنين انها كانت سبب تغيير عظيم في مجرى حياتهم وصفاتهم وهناك فرق آخر بيني وبين لورا . فانها كانت تأسف على الذين عرضوا ان يتزوجوها ورفضتهم . اما انا فلم ارث قط لمن احبني اياً كان . وقلت لها يوما ان عشاقها وعشاقى سنحت لهم احسن الفرص لبلوغ ما ارادوا لانهم كانوا لا يبطئون ان يعلنوا ما ارادوه .

ولم نكن كلتنا سريعتي التأثر والاستمالة . وكان من عادة بيتنا ان يحبنا من يرومون التزوج بنا . والحق اقول اننا كنا تقابل ذلك بمثله فنعطي على قدر ما نأخذ  
سألني يوما « رولان لي » صديق أخي « ادي » هل اريد ان امشي معه قليلا وكان من نخبة الشبان المتهذبن . فقلت له : —

« نعم بشرط ان لا تطلب الي ان اقترن بك »

فاجابني : « لم يخطر هذا قط ببالي ! »

فقلت : « حسن جداً » ثم وضعت ذراعي في ذراعه بملء

## الثقة والشكر

زارنا احد ابناء عمي الاباعد السر دافد تننت من مدينة الكاب ومعه ابنه وهو شاب في سن العشرين . وبعد ما اقاما عندنا اياما طلب اليّ ابنه ان اصحبه الى احد الاصوة المعدة لوقاية النباتات من البرد وسألني ان اقترن به . فقلت له : « لقد اسرفت في التسرع . لاني بالجهد عرفتك » . ثم رجعت لاخبر لورا بما حدث فوجدتها تبكي وتذرف دموعها . لان السر دافد تننت طلب اليها ان تقترن به واضطرت ان ترفض طلبه . فاحمدت لراعج حزنها بقولي لها اننا لو قبلنا كلتنا ما عرضه الاب والابن علينا لصارت هي حماي ورابة زوجي

كنتُ كل ليلة انفرد بها في الغرفة المعدة للدرس والمطالعة الى ان تزوجت فكنا نقرأ ونطالع ونتباحث في مواضيع مختلفة وشؤون متنوعة . واذا اضطررنا في مخدمنا واصلنا القراءة ونحن مضطجعتان الى ما بعد نصف الليل . وبعض الاحيان كنا نظل على هذه الحالة الى الساعة الثالثة صباحا . وكنا قبلا ننام نتلو صلواتنا بصوت عال

واول حفلة حضرناها معا كانت حفلة سياسية اقامها السر وليم هاركورت . وفيها تعرفت بسبنسر لتلتون ثم لقيت شقيقتي لورا اخاه الفرد

وفي ذات يوم بينما كنت خارجة مع لورا من كنيسة القديس

بولس وجهت التفاتي الى شاب وقالت لي : — « اذهبي وادعي  
الفرد لتلتون ليزورنا متى شاء في هذا الخريف » ففعلت

ووافق مجيئه الينا اليوم المعين عندنا لاستقبال الزائرين  
فحضر معه بضعة شبان آخرين منهم جورج كرزن وجورج  
وندهام ومارك نايرودل لدل وغيرهم. وعلل ابي نفسه بإمكان اقتران  
بعض هؤلاء الشبان بنا

وحدث قبل مجيء الفرد لتلتون الينا ببضعة اسابيع ان لورا  
بلغها اتهام بعض الناس لنا بالطيش والخفة وانهم يعيبون علينا  
استقبالنا لزائرينا في غرفة النوم . فاضطربت واشارت بوجوب  
العدول عن هذا الامر . اما انا فاوضحت لها شدة استخفافني  
بهذا الانتقاد السخيف . ووافقتني على ذلك جودفري وب ناصحا  
لنا بعدم الاكتراث لما يقوله الناس . وحقا ان هذا الانتقاد كان  
في غير محله . لان والدتي كانت معتادة ان تنام الساعة الحادية  
عشرة . فلا يعقل ان زائراتنا وزائرينا الذين كانوا يودون مجالستنا  
لا يؤذن لهم في الاجتماع في غرفة كانت معدة للنوم والجلوس  
معا . وكانت الاجتماعات فيها تقضى بالمسامرات والمطالعات  
والمباحثات في شؤون ادبية وسياسية ودينية وغيرها

ومما اقلق لورا واقض مضجعها انها كانت تود الاقتران بفتى  
ذي حزم وعزم حائز لصفات الرجولية . ولكن لما كانت على  
جانب عظيم من الغنج والدلال اجتذبتها صفات أخرى في بعض.

الشبان اسطع والمع من صفات الحزم والعزم واوقعتها في حيرة شديدة فلم تستطع البت في امورها الغرامية . واثّر ذلك كثيراً في اعصابها حتى انها لما زارنا الفرد لتلتون كانت مصابة بالمرعبي [نفرالجيا] حاد اضطرها ان تلازم سريرها وحال دون مشاهدتها لالفرد

فاستقبله ابي مبالغاً في اكرامه والاحتفاء به . لانه علاوة على استحقاقه الشخصي للاكرام كان ابن اخت غلادستن وقد شب على مبادئ حزب الاحرار الذي كان ابي منه

وفي مساء يوم وصوله الينا خرجنا كلنا بعد العشاء للتمشي في حرجة وراء القصر . وكانت الليلة مقمرة . لكن ضياء القمر يكون في القصص والروايات اسطع جداً مما هو بالحقيقة . اذاً على رغم ضيائه كان الظلام مخيماً . فانفردت بالفرد متأبطة ذراعه وسرنا تتجاذب اطراف الحديث مسرورين مبتهجين . ولما اقتربنا من الحرجة بلغنا جدولاً عليه جسر دقيق اشبه بعصا طريلة فتقدمت رفيقي في اجتياز الجدول على الجسر وكان زلاّقة فزلت قدي وسقطت في الماء . ولم يبطيء الفرد ان غاص في الجدول وانتشاني وجاء بي الى الضفة فوقفت على قدي لا اشكر من شيء سوى بلل جوربي [شرباتي] . وكان الباكون منا قد ابتعدوا عنا متفرقين في جوانب الحرجة وقد حجبتهم الظلام عن عيوننا . وكان الوقت بعد نصف الليل فرجعنا الى البيت وحدنا . وكان

٣ اسكويث

كل من فيه نيماً . فارتأى الفرد ان يحملني صاعداً بي الى مقصوري  
واذ كنت خفيفة الجسم رفعتني بيديه كما يرفع العوبة واضجعني  
على سريري ثم جثا وقبل يدي وحياني وانصرف

وبعد يومين ذهبتُ مع أخي « ادي » الى شمال سكوثلند  
وكانت لورا قد تعافت وغادرت سريرها . وكان ذلك باعثاً للفرد  
على اطالة مدة اقامته عندنا . وبعد عشرة أيام رجعت الى « غلن »  
فاخبرتني لورا بانها صممت على الاقتران بالفرد لتلتون

كان الفرد شاباً مملوءاً حياة ونشاطاً وحمية ومروءة . لم يكن  
مقامراً ولا بثلاً . كان يحترم النظام والترتيب لكنه كان يكره  
النسك والتقشف . ومما اعجبني فيه على الخصوص ليس عقله الذي  
كان ينقصه المرونة بل صحة تدينه وخضوعه المطلق لمشية الله  
وتنزهه عن المكر والخداع — ولما توفي نعاها زوجي الى مجلس  
النواب وأبَّنه بقوله : —

« اظن واجب العدل والانصاف ومراعاة الشعور الذي يحتاج  
الآن في صدور الكثيرين يقتضي — قبل النظر في المسائل  
المعروضة علينا اليوم — أن نشترك في الشعور العميق بالخسارة  
الكبيرة التي لحقت بنا بوفاة المأسوف عليه المستر الفرد لتلتون  
انها خسارة لا يسعني وصف مقدارها . لانه كان بيننا — علاوة  
على صلات القربى — روابط صداقة ومحبة تمكنت مدة ثلث  
وثلاثين سنة فلم تقو الاختلافات السياسية على احداث أقل

تراخ او تأثير فيها . وحسبي ان اقول عن فقيدنا العزيز انه كان في رأيي اقرب رجال هذا الجيل الى مثال الرجولية الاعلى الذي يود كل أب انكليزي ان يرى ابنه يطمح اليه ويحاول الحصول عليه . ان الاخلاق الحسنة التي فطر عليها وصقلها التهذيب وانماها الاحتفاظ بالنظام والترتيب مدة الحياة حبك فيه مواهب وفضائل كانت بنفسها نادرة وصارت بهذا الحبك الشائق اشدّ واندّر . كان متحلياً بكل ما هو حسن وجميل وممدوح . ولم يمكك شيئاً مما زانه ومازه بل اعطاه عفواً وبكل سخاء . ولا ابالغ اذا قلت انه كان حينما ذهب يشع قوة حياة ومظاهر صفات كلها مشتبهات . ذهب الى الحرب وكان فيها كما نعلم كلنا قرماً عنيداً وبطلاً صنديداً وقد خلف بعده اجمل ذكرى للرجولية والبسالة الحقيقية — ذكرى رجل خدم جيله وبلاده بما لا مزيد عليه من الصدق والاخلاص . فاذا يمكننا ان نقوله بعد ؟ لا نقول سوى وجوب الانحاء بملء الخشوع والطاعة امام ارادة الله وحكمته . اما احباؤه واصدقاؤه — وكثير ما هم — فيقولون كلما ذكروه : —

هذا شجاع اذا هاجتك ذكراهُ وددت لو كنت في الهيجاء اياهُ  
تزوج بشقيقتي لورا في اليوم العاشر من شهر مايو سنة ١٨٨٥ . وفي شهر ابريل سنة ١٨٨٦ كنا كل يوم نتوقع ورود خبر ولادتها . واهتمت امي اشدّ الاهتمام بان لا اكون عند اختي وقت ولادتها خوفاً من ان مشاهدتي لما تعانیه من الالم يؤثر



فيّ تأثيراً شديداً . ولما كان بيتنا في شارع قريب من الشارع الذي فيه بيت الفرد لتلتون ارسلتني والدتي الى شارع آخر بعيد حيث تسكن شقيقتي لوسي لكي أقيم معها واقضي وقتي بالصيد . وقبل انطلاقي ذهبت لوداع لورا فوجدتها في قلق واضطراب . وما لبثت ان قالت لي : —

« من الحق عندني اني سأموت ، انا وطفلي »

فاجبتها : — « خلي عنك هذا الهذر . انظري الى والدتنا .

فقد ولدت اثني عشر ولداً ولم تقاس عناء يستحق الذكر »

« نعم هذا صحيح . اما انا فسأموت لا محالة »

« ان قتلي في اثناء الصيد اقرب امكاناً واكثر احتمالاً من

موتك يا عزيزتي ! وحقا انه يسوءني جداً ويحزني كثيراً ان اسمعك

تتكلمين مثل هذا الكلام »

« اروم منك يا عزيزتي اذا مت ان تتلي وصيتي على الاقرباء

والاصدقاء . انها موضوعة في ذلك الدرج . فعديني انك

تفعلن ذلك ،

« سأفعل يا عزيزتي لورا ولكن لنجب الآن ونصل الى الله

وتعاهداه امامه تعالى ان أينا يشاء موئها قبل الاخرى تعود الى

الارض بعد الوفاة وتخبر بحقيقة الواقع من جهة العالم الآتي ،

فجنونا وصاينا ومع اني انتقلت بالفكر من هذا العالم محمولة

على حناح سدة الشوق الى سماع ورؤية مالميس بمادي فقد حرمت

من ذلك اليوم التمتع بسماع شيء من لورا اذ عنها منذ فجعت بموتها — بعد عشرة ايام من تاريخ وداعي لها الى الآن

ففي يوم السبت الواقع في ١٧ ابريل سنة ١٨٨٦ ركب مع جماعة من الصديقات والاصدقاء للصيد وعرض لي في الطريق حادث سقطت فيه عن ظهر الجواد وحملت الى كوخ مغمى علي لا افيق ولا اعني . وبعد ما افقت شعرت بالمر شديد في رأسي ناشيء عن رجة دماغية وجرحين في انفي وشفتي العليا فحملت الى البيت حيث حضر الطبيب وخاط جرح انفي جاعلا فيه ثلث لفقات . ولما نظرته في المرأة أجهشت في البكاء لانه سوف يترك في وجهي اثر تشويه لا يمحي

وفي اليوم التالي جاءنا تلغراف يبشرنا بولادة لورا صبياً . فسررنا سرورا لا يوصف وعلى الفور طيرنا اليها تهنئتنا القلبية . ثم اتانا كتاب من شارلوت تقول فيه ان لورا مريضة . وتلاه كتاب آخر تطلب فيه ان نذهب الى لندن . فراعني الخبر واخبرت الطبيب بعزمي على الذهاب الى لندن . فنهاني عنه منذراً ايادي بالتمرض للاصابة بالحمى والموت . ولما زارني في المرة التالية شددت الالحاح عليه بان ينزع اللفقات عن وجهي ويأذن لي في الانطلاق الى لندن فلم ير بداً من اجابة طلبي . والساعة السادسة بعد الظهر ركب قطار لندن فعدا بي مسرعاً . ولكن افكاري سبقته فطارت بي وانا في القطار واجلسني بجانب سريرها وطفلها

على ذراعي وكتلتانا أخذتانا باطراف احاديث مختلفة المواضيع والشؤون ومعظمها مما يسر لورا سماعه والتفكه به

على ان هذه الافكار تقسها عادت بي الى حيث انا في القطار ووجهت اهتمامي الى احتمال كون لورا الآن في حالة النزاع وهي تطلبني وتعجب من ابطائي في الحضور ولعلها تظنني باقية في الصيد. آه حتى متى أرى القطار يقف هنا ودناك وهناك ! لماذا لا يواصل المسير بلا انقطاع ؟ وهل يسكن أحد قرب هذه المحطات ؟ لا ارى أحداً يخرج منه او يدخل اليه . اذا لماذا يقف ؟ أقول لأصحاب الشأن فيه ان لورا مشرفة على الموت ؟ ..... طالما صلينا الى الله وطلبنا ان نموت كلتنا معا في يوم واحد ..... اذا لا تموت لورا قبل وصولي اليها ..... هذا لا يمكن .... ان قوة الحياة فيها شديدة وشبابها الغض يستطيع احتمال وطأة الداء مهما تثقل وتشتد ..... وحاشا لله ان يسمح بذلك ..... القطار يعدو ناهباً الارض نهباً والعجلات تكررُ وكأني من شدة لهفتي اسمها تقول : — « أبطأت ! أبطأت ! »

أخيراً وصل القطار الى لندن في منتصف الليل . وفي المحطة رأيت ايفان تشارترس قادماً في مركبة اللادي « ويمس » لاستقبالي فسألته على الفور « هل ماتت ؟ » فاجابني « كلا . لكنها مريضة جداً ! »

ولما بلغت بي المركبة بيت صهري الفرد في شارع ابربروك رقم

٤ لقيت ابي وبعض الاصدقاء في الردهة « الدار » ثم شاهدت ارثر بلقور وسبنسر لثلاثون عند باب غرفة الفرد فقالوا لي : « نراك مريضة . فماذا اصابك ؟ » . فقصصت عليهم الحادثة . ثم صعدت الى حيث كانت لورا فخرجت شارلوت اليّ فتعاقنا وتبا كينا وذرفنا دموعاً غزيرة سخينة

حاولت الدخول الى غرفة لورا لاراها ولكن شارلوت حالت دون ذلك على رغم شدة الحاحي قائلة لي ان لورا غائبة عن الصواب . ولا يمكنها ان تعرفني ! وكانت الساعة الاولى بعد نصف الليل . فاضطرت ان أؤجل رؤيتها الى صباح اليوم التالي وكانت حالتها قد تحسنت قليلا وافاقت من غيبوبتها . فدخلت الى غرفتها ووقفت بجانب سريرها ونظرت الى ما ابقاه الضنى من لورا ! فرأيت محياها قد تقلص حتى اصبح في حجم وجه الولد واهداب جفونها ارخت ستارة سوداء على صحيفة خديها البيضاء . وقد تدلى شعرها الطويل منطويا على وسادتها ووفها محكم الانطباق . وبعد سكوت طويل تحركت وتمتمت وفتحت عينيها وحولتها اليّ فمدت يديّ نحوها وقلت « لورا ! » ولكنها لم تعرفني . وحينئذ انقطع املي من شفائها

وبعد الظهر افاقت من غيبوبتها ونظرت الى شارلوت وقالت انك « سماوية ! » ثم سكنت . ولم يكن معي في الغرفة سوى شارلوت والفرد . فاقتربنا من سريرها واذا بها تقول : —

« اظن الله نسيني » وظلت الى المساء تراوح بين الغيبوبة والافاقة .

وفي تلك الليلة - وهي الليلة الاخيرة من حياتها على الارض - اضطجعتُ بجانبها ووسدتُها ذراعي كما كنتُ افعل في ايام حدائقنا حين كانت كل منا بعد انقضاء اللجاج والخصام تدبُّ الى فراش الاخرى لقضاء فرض المصالحة والمسامحة . واخذ الفرد باحدى يديها واسندها الى جبهته وجثث شارلوت بجانب سريرها . وكان الصباح قد آذن بالطلوع وتقدت اشعة الشمس من خلال الشباك وحينئذ اخذتها هزة كمن يرتعد من قرس الزمهرير واسلمت النفس الاخير

فزلت الى الطبقة السفلى واخرجت وصيتها من الدرج الذي وضعتها فيه واخبرت الفرد بما أوصتني به . وكان البيت غاصاً بالحضور . وبعد ما فرغ القسيس من الصلاة تلوت وصيتها الآتية : —

« هذه وصيتي كتبتها بيدي انا لورا ماري اكتافيا لتلتون في شهر فبراير سنة ١٨٨٦ »

« ليس عندي شيء كثير اتركه بعدي اذا دعاني داعي الموت في الشهر القادم لان كنزي مذخور في أعماق قلبي حيث يتعذر الحصول عليه ولا يستطيع حتى الموت ان يصل اليه . ولكن هناك بعض الاشياء التي ظلت وقتاً طويلاً موضوعة عند باب

مخدع مسرتي ولها شكل حياتي فيها وهي بحق المحبة تخص اولئك الذين دخلوا ذلك المخدع . فاروم ان الفرد يعطي هذه الاشياء لصديقتي واصدقائي . وذلك ليس لانهم يهتمون كثيراً بها بل لان هذه الاشياء نفسها تود ان تكون حيث احببت انا ان اكون » واروم اول كل شيء ان اقول لا لفرد ان كل ما ملكته في العالم وكل ما كنته وساكونه الى الابد انما هو له — له وحده اكثر جداً مما هو لاحد آخر غيره . فان كنت قد اخفيت عنه شيئاً ينيله سروراً مجهولاً عندي او كان عزيزاً عليه لسبب ما فهو له . واصدقائي الاعزاء يصفحون عنه وعني

« قليلات جداً هن النساء اللواتي نلن ما تمتعت به من السعادة في كل ساعة من حياتي الزوجية — نعم قليلات جداً هن اللواتي عشن مثلي في جوّ محبة صافي الاديم طيب النسيم كأنه جنة النعيم ولاجل هذا انخفت عندي ثقل هول الموت والم الفراق لاني شاعرة شعوراً حقيقياً بما بيني وبين الفرد من الاتحاد الوثيق الخالد الذي لا يعرفه انفصام ولا انحلال . وما دام هو باقياً هنا في الجسد فاني أشعر بوجوب بقائي معه بقاءً سرياً اجلس فيه بجانبه كما اجلس الآن في كل مساء وان تكن تقسي حينئذ في العالم الآخر . وبعد ما يتوفاه الله نكون معاً كما كنا على الارض متمتعين بمحبة احدهما للآخر كما تمتعنا هذه السنة وانما على منوال أوفى وأتمّ واشمل واعمّ واطهر واحكم . ولكن في أثناء ذلك بينما يكون

جسدي محجوباً عنه ولا تستطيع عيني ان تراه ليكن كل ما عندي له حتى يأتي ذلك الصباح ويصبح كل شيء روحياً<sup>(١)</sup> »

وقد ورد الى زوجها كتب تعزية كثيرة افضلها الكتاب الآتي وهو من المستر غلادستن الوزير الانكليزي المشهور

« هواردن كاسل في ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٦ »

« عزيزي الفرد »

« من الجسارة والفضول ان يحاول المرء توجيه الكلام اليك حين يرى عقلك وقلبك مقدساً يخاطبك الله فيه بكلمات فائقة في شدة تأثيرها وخطارة شأنها. وحقاً ان قليلين من الناس يختارون لتلقي مثل هذه الدروس التي تتعلمها أنت الآن . واذا كانت البلايا التي اصابك الرسل والقديسين والشهداء قد نشأت عن محبة عجيبة فنصيبك الآن وأنت في ربيع حياتك مشابه لنصيبهم . وستبقى ما حييت حاملاً سمات تضحية عظيمة قضت بها عناية الله عليك وستنال عليها اجراً عظيماً ورفعة شأن اعظم . فانما الاثنين اللذين لا يزالان واحداً لقد طالما اشار اليكما الذين عرفوكما وعداً وكما أشد جميع من في لندن دلالة على موعد وفائدة الحياة

(١) بقي من هذه الوصية بيان ما اوصت به لورا لطفلها

وزوجها وانسابائها واصدقائها مما عندها من الحلي والجواهر والتحف والكتب وغيرها

الحاضرة والمستقبل. ويخيل اليّ ان دعوتك لتقديم الشكر كانت اعظم من دعوة غيرك وما اظنك تحسبها صغرت الآن . والله ما اعظم هذه الحقيقة وهي ان فقيدتك عاشت حياة قصيرة ولكنها اشغلت فيها وقتاً طويلاً و فراغاً كبيراً . واذا قيسَت الحياة بالنشاط الحيوي كانت حياة لورا طويلة جداً . ومع ذلك كانت فيها بترقية قواها العقلية وطهارة نفسها وتقاوة سيرتها من أولئك الاولاد الذين لمثلهم ملكوت السموات . انها لسوف تبقى لك في حياتك كلها خير كنز ثمين وذخر كريم . وان الله سبحانه وتعالى باعطاءها لك واخذها منك طبعك بخاتم غايته طبعاً خصوصياً . اذاً لنستودعها بملء الاخلاص نعم وبملء المسرة سلام الله ورحمته . وارجو ان تنوب عني بتقديم تعزيتي القلبية للسرة تشارلس واللا دي تنذت ودمت لشريكك في الحزن

و . ا . غلادستون»





## الفصل الثالث

بعد وفاة لورا قضيت جانباً كبيراً من وقتي في شرق لندن .  
وفي ذات يوم جئتُ في أحد احياء الفقراء في هوتينشابل فرأيتُ  
معملاً كبيراً وبنات كثيرات يدخان اليه ويخرجن منه . ولما قرأت  
اسم « كليفوردس » على بابه دخلت وسألت عاملاً عن مكتب  
صاحب المعمل فدلني عليه . فقرعت الباب ودخلت فوجدت المستر  
كليفوردس جالسا على كرسي خشن قاس في غرفة عارية امام مكتبة  
بسيطة وهو رجل كبير الوجه أحمره . فالتفت اليّ عند ما اغلقتُ  
الباب لكنه ظل يكتب . فسألته هل يأذن لي ان ازور معمله  
مرة او مرتين في الاسبوع واكلم العاملات فيه . فالتقى القلم من  
يده وقال . —

« أيّ خير ترتجى حصوله أيتها الآنسة من كلامك  
للعاملات ؟ »

فاجبته : « هب اني لم أتمكن من الافادة والنفع فهل تظن  
اني اضرب »

« بلا ريب »

« وكيف ؟ »

« تحملينهن على تعوّد الهذر وكثرة الكلام والتأخر عن

الحضور والتقصير في العمل . افتظنين ان بناقي شريرات وانت

قادرة على اصلاح سيرتهن واسعاد نفوسهن ؟ »

« كلا ليس هذا مرادي • لاني انا نفسي شقية جداً »

« ذلك أمر آخر . وان كنت قد جئتِ تلتمسين مني اسداء

معروف فسأنظر فيه »

« هذا ما جئت لاجله . واني اقسم لك اني لا اجتمع بيناتك

الا في فترة الغداء . واذا اتفق اني حضرت قبل الوقت المعين

فسأجتنب كل ما يفضي الى انقطاعهن عن العمل وقد يكون

رفضهن للاستماع لي اكثر احتمالاً من انقطاعهن عن العمل ليصغين

الى كلامي »

« ربما ! »

وعلى هذا اتفقنا . فصافحني ولم يسألني قط عن اسمي

وواظبت على زيارة معمله ثلاث مرات في الاسبوع مدة ثماني

السنين التي قضيتها في لندن [ حتى تزوجت سنة ١٨٩٤ |

وكنت قد عرفت شرق لندن قبل الآن حين ألتأت فيه أنا

ولورا ملجأ لاولاد الفقراء واضطرت ان اطوف في كثير من

أحياء البائسين هناك . فافدت واستفدت بزيارة الفقراء اكثر جداً

مما حصت عليه بزيارة الاغنياء . ولم يكن عندي هذه المرة شيء

جديداً . في هوتيشابل سوى صاحب المعمل

كان في معمله نحو خمسين عاملة مختلفات في السن . فمن ابنة

سيتين الى ابنة ست عشرة وكلهن يقسن ويقطعن ويغرين الورق المقوى والورق الاعتيادي معاً . ولما دخلتُ اليه أول مرة وجدتهن مكبات على هذه الاعمال ولم ترفع واحدة منهن رأسها لتنظر اليّ

فصعدت الى دكةٍ من خشب وعلقت صورة لورا . فنظرت اليها احدى العاملات وقالت لرفيقتها : — « انظري ما اجل هذه الصورة ! »

ولاحظت ان بعض البنات انقطعن عن العمل فوقفت وقلت لهنّ اني بعد عشر دقائق اكلمهن حين ينصرفن الى الغداء . ولكن لا يصح ان ينقطعن عن العمل قبل ذلك . فاطعنني ولم يخالفن قولي . وبعد عشر دقائق دهشت اذ رأيت اكثرهن خرجن . فسألت عنهن فقبل لي ان بعضهن ذهبن الى حيث يقف العمال الذين يرزمون مصنوعات المعمل وبعضهن ذهبن الى خماره وراه اما اللواتي بقين في المعمل في فترة الغداء — وكنّ قليلات جداً — فسررن من اجتماعي بهنّ وكلامي لهنّ وصرن فيما بعد صديقاتي ولاسيا واحدة منهن اسمها فيبي هويتمن وكانت على جانب من الجمال والملاحة . وفي ذات يوم طلبت اليها ان تأخذني معها الى الخماره حيث تتغدى هي كل يوم لاني كنتُ آتي بطعامي معي ولا أظنّ ان أصحاب الخماره يأبون عليّ ان اتناوله عندهم مع كأس يرا . فقلقت صديقاتي لهذا الطلب لانهنّ خفن عليّ

حاقبة دخولي بين السكاري . لكنني قلت لمن انني جئتكم بكتاب  
 لكي يطالعنه ويقرأن فيه بعضهم لبعض في أثناء غيابي عنهم  
 وكانت هذه الحمارة في أقدر بقعة من هويتشابل . فدخلتها  
 مع فيبي وجلست في إحدى زواياها تناول طعامي وادخن سيجارتي  
 لا يلاحظني أحد لان الزحام كان شديدا . وبابها غاص بالاولاد  
 الداخلين والخارجين وهم يصيحون بأعلى اصواتهم طالبين اشربة  
 يحملونها في اباريق . فراعني ذلك وازعجني الى الغاية . وخرجت  
 الى الشارع في اثر فتاة صغيرة تحمل ابريقاً ورأيتها تناوله لحوذي  
 مسرورة بالحلوان [البخشيش] . وفي رجوعي الى الحمارة سمعت  
 صخباً شديدا واصوات خصام ونزاع . فان واحدا من الذين  
 لعبت سورة السكر برؤوسهم حاول ان ينزع زهرة برنيطة فيبي  
 فانبرى له فتى وثناء عن عزمه ونشب بينهما النزاع وهب الباكون  
 يدفعون بعضهم بعضاً . ولم يجد انتصار صاحب الحمارة فقام في تسكين  
 هياجهم بل قابله بالشتائم واللعنات وقالوا انهم يدافعون عن  
 فيبي . واذ خفت انها تصاب بمكروه أو تعاق عن الرجوع الى  
 المعمل في الوقت المعين فاخلف وعدي للمستر كليفوردرس استعنت  
 باحد عمال الحزم في المعمل الذي اتفق انه كان واقفا هناك واخترقنا  
 صفوف المتخاصمين واخرجنا فيبي من بينهم . ثم رجعت بها الى  
 المعمل وطلبت اليها ان تعتذر الى مديره عن تأخرها ورجعت الى  
 بيتي في غرووفر سكوير والتعب آخذ مني كل مأخذ

وفي صيف كل سنة كنت استأجر مركبات واذهب فيها بالبنات الى خارج لندن فيقضين معي يوماً كاملاً في التنزه والاستراحة من عناء الاشغال الشاقة التي كنّ يقمن بها في المعمل وفي هذه المدة الطويلة التي قضيتها معهن لم ادع قط واحدة منهن تعرف ما هو اسمي ولا أين أسكن حتى قرأن غني بعد ثماني سنين في الصحف المصورة في وقت زواجي

وكنت كلما غادرت طرف لندن الشرقي اذهب الى طرفها الغربي واجول في الاسواق متفرجة على ما يعرض هنالك في المحازن . ففي ذات يوم كنت واقفة امام مخزن مكيشال انظر بعين الاعجاب الى صورة شقيقتي شارلوت المعروضة هناك . واذا بخادم أحد البيوتات قد رفع يده الى قبعته والتمس ان اكلّم سيدته في المركبة فالتفتُ فرأيت دوقه منشستر (١) ولما كنت لم اكلمها قط في حياتي لم أدر ماذا أرادت مني . وبعد ما صافحتها قالت : —

« تعالي يا عزيزتي لا يسعني ان أراك هكذا حزينة . تعالي رافقيني فنتنزه معاً . ثم ترجعين لتناول الشاي معي »

فذهبت معها وسارت بنا المركبة حول « هيدبارك » ثم صحبتها الى غرفة الاستراحة الملاصقة لغرفة نومها في شارع « جريت ستانلوب » حيث تناولنا الشاي — وفي اثناء ذلك

جاءت الملكة الكسندرا — وكانت حينئذ البرنسس أوف  
وياس — لتزور الدوقة . فدخات غير معلنة قدومها وقبّات  
مضيفتها .

فلما وقعت عيناها عليها ختم قلبها من شدة إعجابها بمنظرها  
فقد وجدت جمال تقاطيعها وحسن ملامحها ونباهة شأنها تفوق  
جداً ما شاهدته في غيرها من السيدات اللواتي رأيتهن في حياتي  
وكان ذلك أول اجتماعي بها وسوف ابقى متذكراً له ما حيت  
ولما دخلت البرنسس أوف وياس نهضت حازمة إلى الذهاب  
لكن الدوقة أثبت ذلك عليّ وقدمتني إلى البرنسس وكلتاهما المحتاعيتان  
بالبقاء لتناول الشاي معهما . فبقيت والسرور سالىء فليبي وجاست  
اتأمل البرنسس وفنجان الشاي في يدي والدهشة آخذة مني كل مأخذ  
وفي الملكة الكسندرا من الدعة ورقة الشور والاخلاص  
والشراح الصدر وحسن التناول ما قلما يتفق وجوده في غيره.  
من أعضاء الاسرة المالكة . ومن ذلك اليوم أشرب قايي حبه  
ولم اتحول عنه قط

وكان الملك ادورد ممتازاً بملاحه الجذابة وشخصيته الشائقة  
وتفوقه الرائع . فكان أسرع من الملك جورج تأثراً وأشد منه  
ميلاً إلى اغتنام فرص المسرات . وكان بيده وييد الملكة  
الكسندرا — قبلما ارتقيا إلى العرش — زمام قيادة الخيئة  
الاجتماعية في لندن فكانا يمليان على اعضائها ما يجب ان يفعلوه  
٤ اسكويث

وما ينبغي ان يجتنبوه

يختلف الناس في آرائهم من جهة الوظيفة التي يؤديها الملك ولكن مما لا ريب فيه انها من أنفس وأهم ما يشتمل عليه دستورنا فكما ان محافظ المدينة يمثل التجارة ورئيس الوزارة يمثل الحكومة ومجلس النواب يمثل الامة هكذا الملك يمثل الهيئة الاجتماعية . قال فولتير اننا نحن معاشر الانكايز قد أصبنا كل الاصابة اذ منعنا الملك بقوة الشريعة عن فعل غير ما هو صالح ونافع وهو قول حسن في ظاهره ولكننا كلنا نعلم ان الشرائع لا تمنع الناس عن ارتكاب الاذى وفعل الشر .

كان الملك ان اذنان عرفت هما على جانب عظيم من الشجاعة الجسدية والادبية وكلاهما أظهرهما من الشعور الحقيقي بالواجب ما لم يظهره أحد غيرهما من أصحاب العروش والتيجان . وهذا ما وطد عرشهما وصان مكانتهما . ومما لا يصح السكوت عنه انها اكتسبا بصدقهما وبساطة قلبيهما محبة لونهما لا يحول وظلها لا يزول وكنت قد سبقت وتعرفت بالبرنس أوف ويلس قبما تعرفت بالبرنس . واصبحت من ذلك الحين أدعى لحضور مراقص الكبراء والعظماء فاذهب بلا تحفظ ولا احتراز . على انني علمت فيما بعد انني كنت عرضة للوم والانتقاد من كثيرين

وحدث ذات يوم اني كنت اتناول الطعام مع صديقي القديم جودفري وب في بيته بشارع فكتوريا . فارسل ابني يسألني هل

أصبحه للعشاء عند اللورد واللادي روندولف تشرشل حيث دعينا  
لمقابلة البرنس أوف ويلس . فاجبته بالتبول وذهبنا  
وكنت قد سبقتُ وتعرفتُ باللورد روندولف قبل الآن  
ببضعة أيام اذ اتفق لي ان جلست بجانبه على مأدبة فخمة فاخرة  
ولكنه لما رأى انه جالس تلو آنسة أسند كوع يده اليسرى الى  
المائدة بملء العزم والرسوخ وادار ظهره اليّ . فلم يسعني الا  
الاعجاب بأسلوب تناوله الاطعمة بيد واحدة . أخيرا التفت اليّ  
وسألني هل أعرف أحدا من رجال السياسة . فأجبته ان لي معرفة  
تامة بهم كلهم ما عداه . فادهشه ذلك . وبعدما تحدثنا عن اللورد  
روزبري الذي كان يحله ويعجب به سألتني : — « هل تعرفين  
اللورد سلسبري ؟ » فقلتُ لا ولكنني أودُّ ان اتعرف به .  
فقال انه من كل قلبه يسمح لي بنصيبه من معرفته ثم استطرد  
سائلاً : — « ولماذا ترومين التعرف به ؟ » قلت : — « لانه  
كاتب كبير ومحدث لا يملّ حديثه » فقال « ليتني لم اعرفه قط ! »  
قلت : « اخاف ان تكون محمولا على هذا القول من قبل حدة  
المزاج لا من قبل اقتناع العقل » . فتحوّل كله نحوي ورمقني  
بعين الغيظ وقال : —

« من أنبأك عني واطلعت على اقتناعي العقلي ؟ اني اكره  
سلسبري كرها شديدا لانه لما استقلتُ وثب الى منصبي وثوب  
لكلب الى العظمة : والمحافظون معروفون بالكنود وانكار



الجميل وقصر النظر . أرجو ان تكوني من حزب الاحرار ؟ »  
 فاجبته اني لكذلك وواصلت الحديث معه الى نهاية وقت  
 المأدبة وحينئذ سألتني عن اسمي . فأوضحت له انني بعد ما لقيته  
 من سوء تصرفه معي في مبتدأ الاجتماع افضل ان تفترق غريبين  
 لا يعرف أحدا الآخر . ولكننا ما ابطأنا ان تعارفنا وتصادقنا  
 ووعدني ان يزورني في غروفتر سكوير

اما في حفلة العشاء التي دُعيت اليها انا وأبي فكنت لابسة  
 فسطاناً من حرير ابيض ذا كمين شفافين وعلى كتفي وشاح مزدان  
 بطاقة ورد وثلاثة احجار الماس أهداها اليّ صديقي اللورد كرميسكل  
 صديقتنا وجارنا في بيبلسير

فلما وصات وجدت جميع السيدات لابسات ملابس الرقص  
 الرسمية فوددت لو اني سبقت وجاريتهن في ذلك . وكان البرنس  
 أوف ويلس لم يأت بعد . واذا كانت اللادي تشرشل مشغولة  
 بملاحظة فرقة الموسيقى دخلت مع أبي ولاحظت ان بعض  
 السيدات ينظرن الى لباسي . ولما كنت حادة السمع طرقت أذني  
 قول . اهلته منهن — « انظري الى الآسنة تفنت ! انها قادمة  
 بلباس السهرة الاعتيادي ! كان ينبغي ان ترخي شعرها تكلمة  
 لزيها الغريب ! » وقالت سيدة أخرى ولكن بلمحة العطف  
 والرفق : « أظنها لم تعلم ان ولي العهد ادم . مسكينة . ياللعيب ! »  
 واذا ذاك اقبلت المضيفة ترحب بنا هاشة باشة . فخفف عني

حسن استقبالها ثقل وطأة الحيرة والارتباك . وفيما هي تحدثنا جاء ولي العهد فخفت كل سيدة للقيام بواجب التعظيم والاكرام وانقطعن عن الكلام . اما هو فتقدم نحوي وطلب ان اجلس بجانبه على مائدة العشاء فقات له حانية رأسي بما يليق من الاحترام ومتكلمة بصوت يسمعه جميع الحاضرين والحاضرات : —

« ان لباسي يا صاحب السمو لا يليق بمنزلة فخمة كهذه . وخير لي ان انصرف منها . ولم أعلم من قبل انها ستكون من الحفلات الرسمية . . . . . واخاف ان بعض السيدات هذا يزعمن اني استهنت بهن بحجيتي في لباس سهرة اعتيادية . »

وقد لاحظت ان كلا من الحاضرين نشر اذنيه ليسمع جواب البرنس . ولكن اتفق ان المورد حرتتن (١) تقدم ودعاني لللبوس بجانبه على المائدة فازداد اسفي على عدم حجيتي بلباس الرقص الرسمي لاني أصبحت الآن مرمى انظار الغيرة والاستغراب

وفي اثناء جلوسي على المائدة مكنتني الاحاديث التي احسنت انتقاءها وأحكمت سردها على مسمعي الملك ادورد ودوق اوف ديفونشير من توثيق عرى الصداقة معها . ومما قاله لي ولي العهد ان أيام حدائته كانت خالية من مظاهر المسرة والابتهاج لان وفاة والده البرنس كونسرت أثرت جداً في والدته الملكة فكتوريا

---

(١) المرحوم الدوق اوف ديفونشير

فاطالت عليه مدة الحداد والانبعاث في الحزن والاسى . وكان  
يرجو اني اذا لقيتُ أمه الملكة لا أخافها — كما خافها كل واحد  
ما عدا جون برون — قال هذا مبتسما ابتسامة شائقة . فاجبته  
بصراحة وحسن نية اني لا أخاف أحداً

وبعد الفراغ من تناول الطعام اعتذرت لسموه عن عدم  
امكاني ان ابقى للاشتراك في الرقص خوفاً من ان يتضايق أبي من  
طول مكثي ولاني لست بلابسة لباس الرقص . وبعد ما قدمت  
ابي اليه حينئذ وانصرفنا

ولما انتهى فصل الاقامة في لندن رجعنا كلنا الى « غلن »



## الفصل الرابع

أخذتُ عن المعلمات اللواتي استخدمنَّني أُمِّي لتعليمنا في البيت مبادئ العلوم وتدير المنزل والتاريخ القديم والحديث والامام باللغتين الفرنسية والالمانية . وولتُ قسطاً كبيراً من معرفة فنون اللغة الانكليزية وآدابها . ولكنَّ الاختبار أَرَانَا ان استخدام أولئك المعلمات أو المربيات لم يأتْ بالنتيجة المطلوبة . ولذلك عزمت والدتي بعد زواج شقيقتي لوسي ان ترسلني انا ولورا الى المدرسة

وكانت « منسي » — وهي سيدة فرنسية سيئة الخلق حادة الذهن — قد أنشأت مدرسة عالية في غلوستر كرسنت لا كمال دروس اثني عشرة فتاة . وكان أبي شديد الكره والنفور من مدارس البنات . ولو أمكنه الاطلاع على عيوب هذه المدارس ومساوئها في الوقت الحاضر لرأى ان كرهه لها كان في محله . ولكن لما كنتُ أنا ولورا مزمعتين على الإقامة في مدرسة السيدة منسي وقتاً قصيراً لا يتعدى بضعة أشهر لم يعارض في ذهابنا اليها

وكان بناء هذه المدرسة — رقم ٧ غلوستر كرسنت قائماً على جانب خط سكة حديد الغرب . فكان خوار الثيران وثرغاء الغنم وصفير البخار — هذه الاصوات المتواصلة كانت تكدر

ضفاء راحتي ليلاً وتحرمني التمتع بلذة النوم . فكان سريري شبيهاً بارجوحة يروح ويحيى مهتراً بقوة الارتجاج الناشئة عن سرعة مسير القطارات الضخام النقال بين ساعة وأخرى من ساعات الليل . هذه المكاره كلها مع سخافة الطعام الذي كنا نتناوله كان اعظم ما تستطيع لورا احتماله . فأطاعت أبي عليها واندرته بأن بقاءها في هذه المدرسة اكثر من اسبوع واحد يعرض صحتها لخطر الاعتلال . وقد ساءني فراقها ولكنني تسليت بان أذن لي في التزه ثلاث مرات في الاسبوع اخرج فيها لركوب الزوارق

وكان من عادة السيدة مندي ان تأبى علينا محاجتها في شيء ولما بلغتني ذلك قلت لها معترضة : —

« ولكن كيف يمكننا ان نستفيد شيئاً ؟ . لا أعلم مبالغ ما تعرفه رفية آتي . أما أنا فمدي فلا أعرف شيئاً سوى ما اقرأه . فكيف أستطيع ان اتعلم عن غير طريق الاسئلة ؟ »

فاجابتنني : « أظنك أخطأت مرادي . فاني لا امنعك ان تسألني . ولكني لا اسمح لك ان تحاجيني وتجادليني » فقات لها بجدة واهتمام : « ولكن الحاجة والجدالة هما منشأ اللذة والرغبة في الدروس »

فاجابتنني بجدة وشدة : « سدي فاك ! » ولا يخفى انه من الخرق والطيش ان تنهر معلمة تلميذة مثلي

سنة ١٧ سنة . وئذ لك رأيتُ انه لا فائدة من محاولة الاهتمام  
بإستالة قلبها نحو ي او اقناع نفسي بالميل اليها

كنا اثنتي عشرة فتاة . ولم يكن بيننا من امتازت بشدة حذقها  
وذكائها ولكننا احببنا بعضنا بعضاً وكن كلهن يعترفن لي بالشجاعة  
والاقدام وينظرن الي كزعيمة لهن . وكانت السيدة منسي شديدة  
الاعتداد بنفسها والنصب في رأيها والتسرع في حكمها . فاذا انقلبت  
زجاجة حبر مثلاً واصاب رشاش منها جلد كتاب ما لم تتأن حتى  
تتدقق من فعلت ذلك بل عمدت على الفور الى الاخذ بخناق  
أول فتاة يسبق ظنّها الى اتهامها وامطرتها وابلا مدراراً من  
التبكيّ اللاذع والتوبيخ القارص . وهذا ما كان يفيظني بل  
يضرّم في نار السخط والحق

فحدث ذات يوم ان الخبر اندفق من زجاجة فاتهمت السيدة  
منسي فتاة لم تكن بالحقينة هي الفاعلة وبالغت في زجرها  
وانتهارها . وحينئذ فرغ معين صبري ولم يبق لي طاقة على احتمال  
هذا الافتئات . فاجتمعت بالفتاة المتهمة زوراً وكان اسمها سارة  
وقلت لها والغيظ ملء جواني : —

« ألى هذا الحد يبلغ منك الجبن أيتها الحقة حتى تخافي ان  
تعلي براءتك وتقولى لها انك لست أنت المذنبه ؟ » . فاجابتنى  
ويدها على صدرها كأنها تحاول ان تسكن تهديدات قلبها : — « لا  
فائدة من محاولة التنصل والدفاع ! لانها لا نسمع ولا تصدق . »

فقلتُ: « اذًا سأذهب اليها معلنة احتجاجي واعتراضي على هذا الامر . أما أنت فاذهبي الى البنات وألحي عليهن ان يعضدنني ويشددن أزري . حقاً انها فاقدة الشعور والاحساس . ولا ادري لماذا تخافها البنات هذا الخوف الشديد »

فاجبتني سارة : — « نخافها لانها صخابة شتامة . وهي فوق ذلك مفتابة نمامة . واذا رأيتها تحاسنك وتصانعك فذلك لانها تخاف ان تغضبي وتتركها وهي حريصة أشد الحرص على بقاءك في مدرستها . وقد قالت لنا ان اباك سيرقى الى رتبة لورد ويقتن السرتشارلس ذلك باختك لورا »

وكان مجرد الافتكار في اقتران هذا الدعي المغرور باختي لورا كافياً لازعاجي فقلتُ لها : — « أهكذا قالت لكن ؟ حقاً انها لا تحتمل ؟ ولسوف اذهب اليها واوقفها عند حدها . بشرط ان تقفي أنت وبقية البنات في جانبي »

ثم دخلتُ غرفتي وبحث في خزانة ثيابي فوجدت مئزراً [مريولا] ملطخاً بالوان الصباغ فلبسته وذهبت الى السيدة منسي وقلتُ لها : —

« أخاف انك تغتاظين جداً . فاني أنا التي أراقت الخبر فتلطخ به جلد قاموسك . وكان يجب علي ان اخبرك بذلك في وقته ولم يخطر قط ببالي ان واحدة منا تجرأ على تحمل توبيخك الشديد من غير ان تلجأ الى الانكار . ومع هذا كله فاذا وجدت

ان في تصرّفي ما ينافي قوانين المدرسة أو يُعدُّ قدوة رديئة  
لغيري فانا مستعدة لترك المدرسة »

قلتُ هذا ورفعتُ نظري اليها فرأيتُ أجفانها ترفّ مضطربة  
فاستطردتُ قائلة : —

« أظنُّ انه كان من الصواب ان تسمعي كلام سارة قبلما تعمنين  
في تثريبها وتأنيبها »

فاجابتني ان كلامك هذا أزعجني ازعاجاً لا يطاق . ولم  
يخطر قط ببالي انك تبلغين هذا الحد من الفحة والدناءة »

فقلت بأشدّ لهجة من لهجات الغيظ والاحتجاج : « ليس  
في كلامي شيء مما قلت ! فمذ بضع دقائق علمتُ بتحاملك المدهش  
وعلى الفور جئتُك محتجة معترضة . واني كما سبقت وقلت لك  
مستعدة ان أترك المدرسة »

فاجابتني وقد شعرت بخرج موقفها معي : « ان سارة تصرّفت  
بشجاعة نادرة المثال . وهذا ما حملني الآن على المساهلة وترك  
التشديد . واني معجبة بصراحتك . فلك ان تذهبي الى رفيقاتك  
اذ قد انتهى الاشكال »

وهكذا اسلمها الرب الى يدي  
وفي عصر أحد الايام ذهبت معلمي لتحضّر افتتاح البرنس  
كرستشن لسوق خيرية . فوقفت على شرفة غرفة الدرس التي تطل  
على خط سكة الحديد واخذتُ ادخن سيجارتي ومعني ايثل بريسن



اجل تلميذة بيننا . فقالت لي بعد ما طال وقوفنا : —  
« حان الوقت . فلندخل ونستعدّ لدروسنا . ذلك خير من

التعرض لمشاهدة احد لك والسيجارة في فمك »

فانحنيت على الشرفة ونفخت الدخان من فمي في الهواء محاولة  
عقده حلقات تتصاعد فيه متصلة بعضها ببعض . ولما أعياني ذلك  
وخبت في ما دارلته اشرت الى الجوّ مقبلة له يدي على سبيل  
المزاح ولعنت المدرسة وتمنيت لو امكنت ان أعود الى بيتنا في  
غان واغادر غلوسستر كرسنت الى الابد

واذا برفيقتي ايثل تمجذبني بذيل ثوبي سارخة : « مرغو  
مرغو . كنهي عن تقبيل يدك . اولاً تنظرين ذلك ؟ الرجل ؟ »  
ف نظرت الى اسفل واذا بسائق قطار رافع نظره الى ر هو يقبل  
يده لي . فتمطعت على الشرفة وعبات كلتا يدي له ودخات  
غرفة الدرس

وكان بيانو المدرسة موضوعاً بجانب باب الشرفة التي رفقنا  
فيها . وفي صباح اليوم التالي جاست ايثل الى البيانو تعدّ درسها  
في الموسيقى . ويظهر ان صاحبنا سائق الفطار أخذ يقبل يده  
لها على مرأى السيدة مذسي التي اتفق انها كانت وقتئذ واقفة  
في باب الشرفة

وكنت حينئذ جالسة في غرفة أخرى ادرس الموضوع المعين  
لي استعداداً للمسابقة الاخيرة في الالتقاء . وقد سددت اذني

عن سماع شيء آخر وانا أعيد موضوع الانقاء واقول بصوت  
جدير : « أيها الاصدقاء والرومان والمواطنون . أميلوا آذانكم  
اليّ . فقد جئت لدفن قيصر لا لتأيينه

وكانت البنات يحجن ويذهبن داخلات خارجات وانا غير  
ملا-ظة شيئاً ولا منتبهة الى شيء . ولما قرع جرس الفطور القيتُ  
الكتاب من يدي ونزلت الى غرفة الطعام لا تناول فطوري .  
فوجدت مكان ايثل خالياً . ولم ترفع احدى البنات نظرها اليّ  
وكن كلهن يتناولن الطعام ساكتات كأن على رؤوسهن الطير .  
وكانت السيدة منسي مشغولة بابداء بعض ملاحظات تافهة جافة  
ثم تات صلاة الشكر وانصرفت

فقلت لرفيقتاي : « ماذا حدث ؟ » فبقين صامتات ولم  
يجبن بكلمة . وبعد ما كررت السؤال والحفت في الاستفهام  
والاستيضاح متهمة اياعن بالاتفاق على تجنبني ومقاطعتي قالت  
واحدة منهن : — « آه يا مرغو . ليس الامر كما توهمت . بل  
لان ايثل أبت ان تفشي السر وتعان حقيقة الامر فنحن كلنا  
محكوم علينا اليوم بالعقاب . »

فصحت « ماذا ؟ عقاب عام ؟ وانا في منجاة منه : ما اسعد  
طالعي . ان هذا اول حكم دل على مبلغ عدالة السيدة منسي .  
كثيراً ما عوقبتُ عنكن كلكن فلا بأس اذا تحملن العقاب عني  
هذه المرة . اين ايثل ؟ اجبن ، ما بالكن ساكتات ؟ أجبين والا

غادرت المدرسة على الفور . »

ولما علمت أن السيدة منسي طردت ايثل في الحال عند ما رأت سائق القطار يقبل يده لها لم ابطيء ان ذهبت اليها واخبرتها بكل ما حدث فاجابتنى قائلة انني كذابة ولايسعها ان تصدق كلمة واحدة مما قلته لها .

فقلت لها اني مطبوعة على الصدق ولكن اسرافها في معاقبة البنات ظالماً أنشأ فيهن خوفاً وحملهن على تعود الكذب . وقد شاركتهن فيه كما قاسمتهن العقوبات الجائرة ثم خرجت من لديها وغادرت المدرسة

ولما بلغت « غروفنر سكوير » حيث تقيم في لندن قصصت على والدي ما حدث وطلبت بالحاح ان اعود الى بيتنا في غان موضعاً لها اني مللت الاقامة في لندن . ومن يولد في سكوتلند يشق عليه اتخاذ لندن موطناً له

ولكن لسوء الحظ عرض لابي شغل في ذلك الوقت اضطره الى البقاء في لندن . فانه كان اذ ذاك يفاوض اللورد جرارد في شراء بيته في « غروفنر سكوير » وانتهت المفاوضة بوقوع البيع على رغمي . على ان الشيء الوحيد الذي اعجبني فيه على الخصوص هو بوابة سوره الحديدية فاني كنت كلما اردت اطالة المكث مع اصدقائي بعد الخروج من حفلة رقص واعيانى الحصول على مفتاح البوابة اتسلقها واثبة الى الداخل وأنا لابسة ثوب الرقص

ولا يخفى ما في الاقدام على عمل كهذا من الخطر على فتاة مثلي . لانها ان قصرت في الوثوب عاتق ثوبها برأس أحد قضبان الحديد وكان في ذلك هلاكها . وان غفلت عن ملاحظة الوقت فغدت يتفق ان احدى الخادومات تبكر في المجيء فتراها وفي ذلك ما فيه من العبث بصيتها . هذا وقلما تصلح فتاة لان تكون حكما على نفسها من جهة صيتها . اما انا فاقول ان البوابة كانت اعدل شاهد صامت على ما كان ينقصني حينئذ من الرصانة والرزانة وقد طابت لابي السكنى في غيروفنر سكوير ولا سيما لانه احب ان يسهل علي الاجتماع بلورا والخروج معا فابتاع البيت سنة ١٨٨١

وقلما اتفق لولد شاطر ان يلقي ما لقيته انا من الحماوة والترحيب يوم غادرت ناحية سكة حديد الغرب . لكن بقيت مسألة اكمال تعليمي . وكنت قد عزمت ان ارجىء ظهوري في الهيئة الاجتماعية الى ما بعد بلوغي السنة الثامنة عشرة لم اتعرف باحدى الفتيات ولم يكن لي صديقات سوى شقيقتي فلم امل الى مطارحتهن الحديث عن شؤوني واجتنبت الافاضة في مناقشات تتحول الى هذر وهذيان . ولم اعود الاقدام على كتابة رسائل ذات شأن عن نفسي . وكنت حينئذ كما انا الآن اترفع بمزيد الالباء عن افشاء اسرار الحياة وشؤونها المشيرة للعماطف . يجب ان يظل الكتان حارسا امينا للنفوس فلا يأذن لغير ذوي

الرفق والعطف في الدخول الى حرمها . وهذه صفات قل من  
وجدته متحلياً بها من صديقتي واصدقائي . لا اذكرينهم الا ان  
من ازدانوا بهذه الاخلاق السامية سوى ابن عمي نان تننت  
وعقيلة ارثر ساسون وعقيلة جيمس روتشلد وانطون بيبسكو  
وابني وزوجي

وكان جون مورلي قد نقش على افريز ( ١ ) موقده قول  
باكون البديع : « أشرف النفوس ارفعها »  
ولما قرأت هذه الكلمات قلتُ أين ياترى استطيع ان أجد  
تلك النفوس ؟ ولم أزل أردد هذا السؤال الى الآن . فلكي  
تكون حنوناً أو رؤوفاً يجب ان تكون شجاعاً . نعم تحتاج اشد  
الاحتياج الى بسالة كافية تمكنك من الاقدام على ان تناضل  
وتكافح دفاعاً عن هم موضوع رحمتك وشفقتك . وعليك ان  
تشر بالرفق وتبديه نحو جميع الناس . فلن تظفر بذي عاطفة  
يبديها عفواً مجرداً عن كل غرض ولو قضيت حياتك كلها في البحث  
عنه . ومهما يعظم مقدار الشفقة فهو اقل جدّاً من تفجعات الحياة  
ان زوجي رجل ذو عاطفة خالية من الغرض . ففي ذات يوم  
حين كنتُ معه في باريس حيث ذهبنا لقضاء بضعة أيام رأيت  
جالساً ورأسه بين يديه واحدى الصحف على ركبته . فطوقته  
بذراعي وسألته هل من نبأ محزن فإشار الى ما كان يطالعه في

---

( ١ ) افريز الموقد ما يحيط به من اعمدة ورفرف

الصحيفة عن النار التي شبت في « ايتن » ووصف ما عاناه الفتيان في تحطيم قضبان شبائهم للنجاة منها وموت بعضهم احتراقاً فقد افعمت هذه الفاجعة قواذه حزناً واسفاً مع انه لم يعرف احداً في ايتن في ذلك الوقت. وكان يطالع النبأ والدموع تنهل من اجفانه والغم مالىء قلبه وحابس لسانه عن الكلام

وهذا الحنو نفسه شاهده منه يوم غرق بالباخرة « تيتنك » فاننا لما قرأنا انباء تلك الفاجعة العظيمة بلغ منا الحزن مبلغاً افقدنا شهوة الطعام

ففي ايام صباي لم اتعرف باحد له مثل هذا الشعور وهذه المؤاساة . ولم يسمع ابي وامي ان يتفرغوا لسماع ما كنت اروم ان احدثهما به عن نفسي . فملت الى العزلة والانعزال ورغبت في اكمال ما بدأت به من تحصيل العلوم والمعارف . وبعد بحث طويل في هذا الموضوع قررت الرأي على ان اذهب الى المانيا واقضي فيها اربعة { او خمسة اشهر لتحقيق هذه الغاية . وهكذا سافرت الى درسدن وحدي لا يصحبني سوى وصيفة غبية مع اني كنت حينئذ معدودة — ان لم يكن في انكلترا فعلى الاقل في المانيا — اني على جانب من الحسن والجمال



## الفصل الخامس

نزلتُ في درسدن عند سيدة اسمها فراو فون ماخ . كانت  
امها انكليزية . وقدُ جنَّ زوجها في حرب فرنسا وبروسيا وترك  
لها ثلاثة اولاد لا معين لهم سواها . فاضطرت ان تعمل بما تحصله  
من دخل منزل اعدته في شارع لوتيكستراس لنزول الغرباء وتلقية  
الفنون الجميلة وغيرها من العلوم العالية التي كان لها فيها القدر  
المعنى والنصيب الاوفر . وكانت هي نفسها تعنى بشؤون الطبخ  
والكنس وتواصل العمل بلا مال من الصباح الى المساء

وكان في المنزل ثلاثة عشر بيانو واثمان او ثلاثة من النازلين  
فيه مثلى نرولاً مستديماً . واما الباقون ممن كانوا يأتون ويذهبون  
فكانوا رجالاً ونساءً وفتياناً من كل امة وحنس بعضهم من  
المولعين بالسنون | غوات | وبعضهم من الذين اتخذوها حرفة لهم .  
وكان شغلي يحول دون تفرني لملاحظة القادمين والذاهبين

هذا واني اعدتُ سماح والدتي لي الذهاب وحدي الى درسدن  
شجاعة مقرونة بالحزم وسعة الادراك . وهو امر حمدتها عليه  
ولكنني لم استطع مجاراتها فيه . لاني لما عزمت على ارسال  
رييتي (١) وابنتي لتكملة علومهما في المانيا بعثت معها رييتي

ومعلمتي الالمانية التي رجعت اليّ حين كانت اليصابات ابنة اربع سنوات وكانت على جانب عظيم من الذكاء وحسن السيرة وعلى ذكر هذه المربية اقول ان صحفنا انتهزت فرصة القلق والرعب اللذين كانا مستولين على الافكار في ايام الحرب الاولى العصبية الرهيبة واستخدمت تلك الفرصة للكسب والانتفاع بما آتته في خواطر جمهور القراء من شدة الهياج [اعراض المستيريا] فطفت تنشر في اعمدتها انباء مكذوبة مصنوعة تلفقها تلفيقاً. فتحوز عند القراء قبولا وتصديقا ! وكان من تلك الاقاصيص المزورة والانباء الملفقة اتهام مريتي الامينة بانها جاسوسة . ولم يبق من سمع بهذه التهمة السخيفة الا ضحك منها وهزىء بمخترعيها ومشيعيها . ولكن مع هذا كله نالوا بها ما ارادوه . وبعد ما صدّق الانكليز اشاعة مجيء الروس الى بلادهم واصبح كل واحد في انكلترا يدعي انه شاهدهم فيها ونثار الثلج يتساقط من ثيابهم رأى الصحفيون ان كل شيء يسهل تصديقه اذا تكرر شره والتكلم عنه . وقد اصابوا . فان الارجيف السافلة التي اذاعها اللاهون الكاشحون عن مريتي صدّقها السذج الاغبياء وانقضت انقضاء الصواعق على كل هلوع جبان. — « اذارأى غير شيء ظنه رجلا »

كانت درسدن في أيامي تختلف جداً عما صارت اليه بعد عشرين سنة . فلم أرقط فيها رجلا انكليزيا . وبعد ما اقت في



منزل السيدة فراو فون ماخ وضمت لنفسي خطة جريت عليها ولم انكّب عنها . فكنت كل يوم استيقظ الساعة السادسة صباحاً واذهب الى المطبخ واتناول القهوة مع الخادمة . ثم اكب على درس الكمنجه او البيانو الى منتصف الساعة التاسعة . فاتناول الفطور واقضي سحابة يومي في التصوير وتحصيل علوم الادب وكنت اذهب وحدي كل ليلة الى حفلات الموسيقى أو الى الاوبرى وفي احد الايام جاءني فراو فون ماخ وعلى وجهها علامات القلق والاضطراب وفي يدها كتاب من والدتي تطلب اليها فيه ان ترفض قبول رجال في منزلها . لان اصدقاءها في انكلترا حذروها من خطر فراري مع احد الغرباء . والى الآن لا اعلم أمازحة كانت أمي بقولها هذا ام جادة ؟ فكتبت اليها واخبرتها انه ليس في منزل السيدة فراو فون ماخ سوى نزيل واحد وهو اميركي طاعن في السن اسمه لورنج . ولم يكلمني قط . هذا فضلا عن اني مشغولة جداً وغير متفرغة للافتكار في الفرار . وقد بُذلت مساع عديدة لمحي على الرجوع الى انكلترا . لكنها كلها خابت ولم تجد فتىلاً . وفي كتاباتي المتواصلة الى اهلي لم أشر قط اليها لاني عدتها مما لا يستحق ان يعنى به ويلتفت اليه

وفي ذات ليلة ذهبت الى الاوبرى فوصلتها قبل الوقت المعين للشروع في التمثيل . وكنت مرتدية ثوباً حريياً « كريب دي شين » قرمزي اللون ومزدانة بما عندي من اللاآلىء . وفوق ثوبي الحريري

معطف اسود من جوخ متصل من اعلاه بقنعة كنت استخدمها  
في رجوعي الى المنزل لوقاية رأسي من المطر . فجلست في لوجي  
اجيل طرفي في الحضور من جهة الى جهة حتى وقع نظري في  
لوج مقابلي على ضابط لابس بذلة بيضاء . فلم اعلم الى اي جيش  
ينتمي لان بذلات الضباط السكسونيين زرقاء

وكان هذا الضابط شابا حسن الصورة جميل الطلعة . ولما  
التفت نحو المسرح استعنت على التحديق اليه بنظراتي فوجدته  
اجمل مما لاح لي من قبل ، وكان معه في اللوج سيدة نزع عنها  
رداءها الخارجي وهي واقفة تنظر الى الجالسين على الكراسي  
وتنزع قفازها الاسودين الطويلين . وهي بادية في حلة سوداء  
« دي كولتيه » فوقها وشاح مائل بالحلى والجواهر يتدل الى  
تحت خصرها . ورأيت معظم الحضور يصوبون نظراتهم نحوها .  
وكان شعرها الاشقر معقوصاً على صدغها بامشاط اسبانية مرصعة  
بالحلى . والحق يقال انها كانت اجمل امرأة شاهدتها في المانيا . وقد  
راعتي حسننها حتى لم استطع تحويل نظري عنها . ثم اخذ الضابط  
يجيل نظره في الاوبرى الى ان استماله ثوبي الاحمر . فصوب  
نظراته نحوي وعلى الفور رفعت نظراتي عن عيني . وعلى رغم  
خفض الانوار استعداداً للشروع في التمثيل رأيت يطل  
التفرس في .

ولما انتهى تمثيل الفصل الاول غادرت اللوج لاقضي الفترة

في ردهة الاوبرى . فلتيت الضابط واقفاً في الممر مستنداً الى الحائط وهو يدخن سيجاره ويكلم صديقاله وقدماه في منتصف الممر . فلما رأني مقبلة اجتذب قدميه واستوى في موقفه ليوسع لي مجال المرور . فنظرت اليه واقيت عيناى عينيه فصبت وجهي حمرة الخجل . وقلما سبقت لي عادة في ذلك . ثم غضضت طرفي وسرت في . . بيلي

وكان الاوبرى في تلك الليلة غاصة بالحضور . ولما انتهى التمثيل خرجت ، فاذا بالمطريهطل غزيراً . فوقفت احاول الحصول على مركبة . رأيت الضابط والسيدة التي معه لكنه لم يرني . وسمعتة يوعز للحدودي الذي استقل مركبته ان يقف به امام احد الاندية

ولما اعياني الحصول على مركبة وضعت مقنعة ردائي على رأسي وسرت الى المنزل ماشية . واني لمنطلقة في الشارع الذي يؤدي الى لوخستراس . عرت بخطوات تجري على اثري . وكانت الريح العاصفة قد ازاحت المقنعة عن رأسي فوقفت تحت مصباح لاردها وامكسها . ولماوقفت وقف الشخص الذي كان يسيرورائي فاستأنفت لمسير وهكذا فعل الساري خافي . ولما كان الشارع مقفرا لم يبق لي من طاقة على احتمال هذا القلق . فالتفت الى الوراء واذا بالساري هو الضابط نفسه . فرأيت من تحت ردائه الاسود المرخى على كتفيه حلتة البيضاء ومنطقته الفضية .

فحياني وسألني بفرنساوية بلجيكية غريبة هل أذن له أن يصحبني  
الى بيتي • فقلت له : — « لا مانع ! لكنني لست القى اقل  
انزعاج من مسيري وحدي » • ثم وقف تحت مصباح واشعل  
سيجارة وقال : — « الست متعبة ؟ اما انا فالى الغاية . »  
فاجبته : — « لا اشعر بأقل تعب على الاطلاق » • قال : — « هل  
تودين ان تصحبيني لتناول شيئاً من الطعام في احدى غرف  
الفندق ؟ » فاجبته : — « شكرا لك • لا اسعر باقل جوع •  
والوقت قد مضى وسنفترق هنا » قال : « لكنك اذنت لي ان  
اصحبك الى بيتك » ، فاجبته : — « نعم اذنت لك في ذلك •  
وهذا باب بيتي »

فلاحت عليه امارة التعجب والخيبة • لكنه تناول يدي  
وقبلها ثم حياني وقال ما ترجمته : « عفوا ايها الانسة »



## الفصل السادس

عندما ظهرت في لندن لم تكن لي معرفة باناس كثيرين  
وقلما دعيت الى حفلات الرقص وكنت ميالة على الخصوص الى  
الركوب لحضور نوع من السباق فابتعت حصاناً اشهب ارقط  
متوسط الحجم سهل الانقياد وسميته «ططس». وكان في جرائته  
كالاسد وفي شدة زهوه كالتاووس . وفي ذات يوم ركبته قاصدة  
الذهاب الى السباق. وطال وقوفي امام بوابة رقم ٤٠ جروفنر  
سكوير . فحدثتني نفسي ان ادخل بططس الى الردهة وادعوا بي  
فعلوت به درجة واحدة من الرصيف الى مدخل الرواق ثم درجة  
أخرى الى داخل الباب المفتوح على مصراعيه . وبعد ما تجاوزت  
به الدرجة الاخيرة وبلغت ردهة المرمر رأيت ططس صورته في  
مرآة . فاجفل وعلى الفور انتصب واقفاً على رجليه . فاصابت  
برنيطي الطويلة منارة بلورية معلقة فوق رأسي . وكانت الارض  
تحت قوائمه مصقولة صقلاً محكماً فلزقت رجلاه عليها وسقط بي  
عليها سقوطاً ارتج البيت من صوته كأنه هزيم الرعد وانطرح  
المهر فوقى وسقطت المنارة فوقه . ووقف ابي والخدام ينظرون  
مدهوشين متحيرين . ولكنني على الفور نهضت واخذت بعنان  
ططس اعد ما كان قد رفس صندوقاً قديماً وغادره محطاً تخطيطاً . وهذه

المجازفة هاجت غيظ ابي وأدت مهري وحبستني عن الرقص اياماً  
 اما ورطتي الثانية فكانت اخطر شأنًا من هذه . وذلك  
 عند ما خطبت

وهنا اقول لكل فتاة يتفق لها ان تقرأ مذكرياتي هذه وتود  
 الوقوف على نصيحتي بعد اختباري الطويل : اذا عرض عليك  
 شاب ان يقترب بك . وبعد ما رفضت طلبه تهديداً بالانتحار  
 فاعلمي يقيناً بأنه على اكبر جانب من البله والحقارة والغرور .  
 واذا كنت قبل تهديده بالانتحار في ريب من جهة عزمك على  
 رفضه فلا يبقين عندك بعد تهديده اقل ريب على الاطلاق . ومن  
 الحماقة التي لا حماقة بعدها ان تقترني بفتى لمجرد الفرق به والعطف  
 عليه . واذا حدثتك نفسك بامكان اصلاح فتى من هذا النوع  
 لانه " مسكين ولم تسنح له فرصة يصلح فيها شأنه ويقوم اعوجاجه "  
 فانت غير مصيبة في ما تزعمين . نعم يمكن الاصلاح ولكن لذي  
 الاخلاق . ورب الحزم والعزم لا للضعيف المتردد . اما خطيبي  
 فلم يكن من ذوي البله والغرور ولكنه كان كثير المجون  
 والمزاح . ولم يحبني قط أحد قبله كما احبني هو . وكان بارعاً جداً  
 في ركوب الخيل

ولما اخبرت ابي بخطبته لي اخذ منها الغم كل مأخذ  
 وقالت لي وهي تمسح دموعها بمنديلها : — لا أعد خطبته لك  
 اشرف من خطبة احد الخدم ! »

وقد بذلت غاية جهدي لاقنعها بخطاءها في حكمها عليه .  
فذهب اجتهدني باطلاً ولم يقد شيئاً . وبعد بضعة أيام اجتمعت  
 به فعلمت منه انه كان في الاسبوع الماضي يجيء كل يوم لزيارتي  
 فيقابلة انشادم ويقول له اني نلت في البيت . ولما رجعت الى  
 البيت وانتهرت الخدام قال لي : « ان خطيبك يا سيدتي ممنوع  
 من دخول البيت »

ممنوع من دخول البيت ! وعلى الفور اسرعت الى ثرفة اختي  
 شارلوت فوجدتها في غم يفوق غم والدتي . وقالت لي ان ما بدته  
 اختي لرسي من العناد والاصرار على الاقتران بمن اختارته لنفسها  
 نفص عيشها وكدر صفاء حياتها . ثم املت عليّ بملء الحجة  
 والاخلاص ان اعدل عن عزمي هذا لان خطيبي لا يصلح لي بوجه  
 من الوجوه

فطفقت اقوم واتعد من شدة غيظي واضطرابي . رقلت لها  
 ان منعه من دخول البيت امر معيب وهو غاض من كرامتي في  
 عيون الخدم . واذا اخلفت وعدي له فلا ريب في انه يقدم على  
 الاتجار . فاجابني : —

« كنت اظنك انت وخطيبك ارضن راعقل من الاخذ  
 بمثل هذه السخافة ، فقلت لها : — « ولكنني اخاف ان اكون  
 قد خدعته من جهة شعوري من نحوه . ومع شدة محبتي له لم  
 اكن قط لاعدد ان اقترن به لولا تهديده لي بانه سينتحر ان لم

اعده. فاذا اخلفت وعدي وانتحر قضيت حياتي كلها في البؤس والشقاء وحكمت على نفسي بجريمة قتلي له

فنظرت اليّ شارلوت وعلى فمها ابتسامة الرفق والحنان وقالت لي : — « لو كنت انا في موقفك هذا لم اناخر قط عن العمل بما اشرت عليك يا عزيزتي »

وبعد ما اطلت تفكري في هذا الامر رأيت من الصواب ان أعدل عن عزمي فاطلمت ذاك الشاب على الواقع واوضحت له بملء الاسف اني لا استطيع الاقتران به . فاعطاني فرسه الجميلة « مولي بون » وباع ثل مقتنياته وسائر ما عنده من خيول الصيد وسافر الى استراليا . وبعد سنتين عاد الى انكلترا . فاذا بشعر رأسه كله مشتعل شيباً . وكنت قد سمعت بحوادث كثيرة يشيب هولها شعور الرؤوس ولكني لم اعرف منها في حياتي سوى حادثتين . احدهما هذه والاخرى حادثة انفجار رجل الدارعة « ثندر » [الرعاة] في سفرتها الاولى . وكانت عدتها اول شيء اوصت الحكومة بصنعه في مصنع ابي « همفريز وتنت » فكان لها اسوأ وقع واشد تأثير . وقال لي ابي ان عدة رجال قتلوا وان شعر همفريز الفتى ابيض على الفور . وهذه الحادثة اتذكرها جيداً لاني لما اعطيت ابي التلغراف الوارد عنها وكان في غرفة « البلياردو » في غلن غطي وجهه بيده وانطرح على متكأ والدموع تنهل من عينيه



وحدث في نحو هذا الوقت ان السر وليم ملر صديق اسرتنا اقترح على والدي ان اقترن بابنه الاكبر وكان من خير الفتيان فقلت انه بالجهد رأني . وعلى رغم اعتراضه هذا دعانا السر وليم للاقامة عنده اياماً في مندرستن . فقبل ابني الدعوة بمزيد الارتياح وفي مساء يوم وصولنا قال لي مضيفنا بلهجة سكوتلندية  
جزلة : —

”قولي لي يا مرغى | يريد مرغو اسمي | هل تقترنين بابني  
جم ؟“ ، فاجبته : —  
” ان ابنك جم يا عزيزي السر وليم لم يكلمني قط في حياته ،  
فقال السر وليم : ” انه خجول “ ، فاوضحت له ان الامر  
ليس كذلك . ومن الصواب ان يترك لابنه حرية الاختيار بنفسه  
الى ان قلت : —

« اراك ابها السر وليم مثل ابني تظن كل فتى يروم الزواج »  
السر وليم ، « نعم كلهم يرومون اليس كذلك ؟ » [بمكر]  
« من المحقق عندي انهم كلهم يرومون الاقتران بك »

مرغو [بدهاء] : « صحيح ذلك ياترى ؟ »  
السر وليم : « ان لم تقترني به يا مرغى كسرت ساقك ! »  
مرغو ، اكسر ساقى ككتيهما »

ثم تعرفت بابنه فلم يعن بي ولا اعارني اقل التفات  
وكان للسر وليم ابنتان ارادت احدهما واسمها « امي » ان

تقترن بضابط برتبة اميرالاي في ادنبرغ ولكن اباه عارض في ذلك اشد معارضة مسنهما رأياها ومكدرأ صفاء عيشها . وقد خلت بي في احدى غرف البيت المعدة للدرس وكان الوقت الاصيل - والباب مفتوحاً الى نصفه والنور ساطعاً في المدخل . فاخذت أمي نقص علي قصتها وتستشيرني في امرها . ثم نظرت واذا بالسروليم واقف وراء الباب يوصوص الينا ويسترق سمع حديثنا . وكان على ضخامة جسمه قد ضغط نفسه ضغطاً عنيفاً حتى تمكن من التقلص والحلول في ذلك الموقف الضيق . وكانت «أمي» قد افتتحت الكلام ولخصت لي علاقتها بالضابط فتجاذبنا الحديث على النمط الآتي

أمي : « فما ذكرته لك ترين ان العقبة الوحيدة في سبيله هي كونه ليس غنياً »

مرغو : « لا بأس . ستصبحين انت غنية يوماً ما . ولا اعلم لماذا لا يجوز ان تقترن الغنيات الا بالاغنياء ! اما انا فان اقترن الا بمن اريد . وابي ينظر في تدبير المال »

امي . « انه يحبني محبة لا توصف ! ويقول انه سيقطن نفسه ان تركته »

مرغو [بشدة] : « اذا كان الامر كما ذكرت وكان صاحبك هكذا شجاعاً فليس امامكما سوى امر واحد ! »

امي [منحنية نحوي ويدها متعارضتان على صدرها] « قولي

لي ما هو . بعيشك قولي لي !! »

مرغو : « اواقعة انت كل الثقة بانه رجل عزم واقدام ؟  
ولا يبالي بكلام الناس ؟ »

امي : « لا . لا . لا ! نعم . نعم ! انه مستعد ان يموت لاجلي  
ولا يرهب جانب احد ! »

مرغو : [مبالغة في اغرائها ] « اظنه يخاف اباك جداً

امي ( بتردد ) : « ان ابي يامله بخشونة لا مزيد عليها »  
مرغو ( باحتقار ) : « اذا كان صاحبك يخاف اباك فهو غير  
جدير بان تعني به وتلتفتي اليه ! »

امي ( بهياج وحدة ) : « انه لا يخاف احداً . ولكن ابي  
لا يكلمه »

مرغو ( بتأمل شديد ) : « اذاً سبيلكما الوحيد الفرار . «  
( حركة هياج وراء الباب )

امي ( بعزم وثبات ) : « اذا اقدم على ذلك وافقته عليه .  
ولكن آه يا عزيزتي ... ماذا يقول الناس ؟ »

مرغو ( بلين ) : « اذا اكثرث لك كلام الناس عشت منفصة  
في حياتك كلها . »

امي : « ولكن اخاف ان ينفعجرك بركان غيظ ابي ويقذفهم  
الشتائم واللعنات . »

مرغو : « اني اعرف اباك جيداً فما اظنه يعير هذا الامر

أقل اهتمام . »

ثم نهضت متجهة نحو الباب وكان قد ارتفع صوت ضجيج في الدهليز . فنهضت أمي مذعورة وقالت : « ما هذا الصوت ؟ هل تظنين ان بعضهم سمع حديثنا ؟ لنغلق الباب »  
مرغو : « لا . ليبق كما كان . فان الحر شديد »

أمي ( وقد زال روعها واستأنفت الجلوس ) : « انك نعم الفتاة . . . . يجب علي ان اتدبر ما قلته لي » .

مرغو : « قولي لصاحبك اني اعرف أباك جيداً وهو مولع بي »  
أمي : « نعم . انه لكذلك . وقد سمعته يعرض على ابيك ان تقترني باخي واقرن انا واختي بواحد من اخوتك على سبيل المقايضة »

مرغو : « انما قال ذلك مازحاً . فهو يحبك . ويعجبه مني عزمي واقدامي . لانه يتعشق الشجاعة ويعجب اشد الاعجاب بكل باسل مقدام . فاذا كان لصاحبك بسالة كافية للاقدام على الذهاب بك الى ادنبرغ وامضاء عقد زواجكما في مكتب التسجيل والرجوع الى ابيك في اليوم نفسه ليخبره بما حدث فانه بلا اقل ريب يصفح عن كل شيء ويجود عليكما بهبة وافية تمكنكما من ان تعيشا ناعمي البال . . . . والآن يا عزيزتي امي ينبغي ان اذهب فتشجعي وتغلي على اليأس بالامل . »

ولما فتحت الباب لم اجد احداً في الدهليز . فنزات الى الطبة

السفلى ووجدت السر وليم يكتب في الردهة . فلما رأي القى  
القلم من يده ونهض لاستقباله وقال : —

« هل تصحبيني يا مرغى فنتمشى في الحديقة ؟ »

مرغى : « نعم بشرط ان نجلس ونتحدث قليلاً »

السر وليم ( مسروراً ) : « اتودين الجلوس في المصيف ؟ »

مرغى : « نعم فانتظرنى حتى اصعد وآتى ببرنيطتي »

ولما بلغنا المصيف قال لي . « يا مرغى ان ابنتي امي تحب  
شاباً فقيراً »

مرغى : « وهل في ذلك من بأس ؟ »

السر وليم : « وهو — علاوة على شدة فقره — ليس على  
شيء من الخلق والذكاء »

مرغى : « وكيف عرفت ؟ »

السر وليم : « ماذا تعنين ؟ »

مرغى : « اعني ان المرء لا يصلح ان يكون حكماً على  
من يكرهه »

السر وليم : « اروم نصيحتك في هذا الامر . وارجو ان  
ان تكلمي أمي وتطلع عليها على رأيك فيه »

مرغى : « كلمتها »

السر وليم : « وماذا قالت لك »

مرغى : « أصبح ان ابوح لك بسر غيري ؟ »

السر وليم : « اطلعيني على الاقل على ما قلته أنت لها »  
 مرغى : « ماذا كنت أنت تقول لوجاءتك فتاة حسنة التريية  
 والتهديب واخبرتك بانها تحب قتي يكرهه ابواها وهو بائس معدم  
 لا يقدر ان يعولها ..... »

السر وليم ( معترضاً تنمة كلامي ) : « دعي السؤال عما كنت  
 اقله . ماذا قلت انت ؟ »

مرغى ( بمراوغة : « اني فتاة كابنتك امي لن تفعل شيئاً ينافي  
 مشيئة والديها . والرجال الذين لا يقدرون ان يعولوا نساءهم لا  
 يحق لهم ان يتزوجوا ..... »

السر وليم ( ممسكاً يدي بعنف ) : « ماذا اقلت انت ؟ »  
 مرغى ( بابتسامة شائقة ) : « اخاف ان تكون قد غيرت  
 فكرك من جهتي . وبعد ما كنت تروم العمل بنصيحتي اخذت  
 ترتيباً في »

السر وليم ( بصوت عالٍ وهياج شديد ) « ماذا قلت أنت ؟ »  
 مرغى ( واضعة يدها على يده بلطف وتؤدة ) : « لا ادري .  
 لماذا انت مضطرب هذا الاضطراب الشديد . فلو قلت لك اني  
 اشرت عليها بان تنثني عن عزمها ولا تغضب اباه الشيخ  
 فماذا تقول ؟ »

السر وليم : ( ناهضاً ودافعاً يدي عن يده ) « انك لكاذبة ! »  
 مرغى : « لا . لست بكاذبة . ولكنني عندما ارى الناس  
 يسترقون السمع من وراء الابواب احتقرهم هم وغناهم ! »  
 ٦ اسكويث

ولم يكن هذا الزواج الوحيد الذي عُرضَ عليّ بالوكالة بل  
 عُرضَ عليّ بعده زواجٌ آخر مثله . وتفصيل ذلك اني ذهبت  
 مرة لاتناول العشاء مع آل يشوفيم (١) فتعرفت بالبارون هرش  
 وهو نمسوي ولكنه مقيم في باريس . فدعاني للعشاء وجلس الى  
 جانبي وجلس الى جانبي الآخر شاب كنتُ قد تعرفتُ به في الصيد  
 وبينما أنا منصتة الى حديث الشاب وفي يدي كأس شمبانيا  
 مثلاًجة اذا بأحد الندل (٢) قد دفع الكأس الى صدري وكنتُ  
 لابسة ثوب رقص فاندفق كل ما فيها من الشمبانيا وبللت ثيابي .  
 وشعرت بقرصة برد حادة الى الغاية . ولما كانت ثيابي رقيقة  
 اوحستُ خوفاً لا يريد عليه من شفوفها عن مشدّي (كورسيه)  
 القرنفلي الاون . ومع كل ما شعرت به من شدة قرص البرد وخوف  
 شفوف ملابسي ظلمت في مجلسي بلا أقلّ انزعاج والكأس  
 الفارغة في يدي كأنه لم يحدث شيء على الاطلاق آملة أن أكون  
 قد أمنت عين مراق لي ومتكلفة شدة الارتياح الى حديث  
 الشاب عن الاخطار التي تعرّض لها في الصيد .

وبعد بضع دقائق التفت اليّ البارون هرش وقال : « ألا  
 تشعرين ببرد شديد » . فأجبت : « بلى . ولكنني لا أباليه . وانما

(١) من كبار اغنياء النمساويين وشرفائهم

(٢) أحد خدمة مائدة الطعام

اخاف أن أكون قد جنيتُ على ثوبي فساداً يتعدّر اصلاحه .  
ثم أخذنا نتحدث عن امور مختلفة . ومما قاله لي انه لما اقترحوا  
ضده في نادي الالعاب الرباضية في باريس انتقم لنفسه بان ابتاع  
النادي والارض التي بني فيها . فقلت له : —  
« اذا ينبغي أن تكون غنياً جداً .. »

فسألني أين اسكن وأبدى دهشة عظيمة لاني لم اسمع به قط  
قبل الآن .

ثم التقينا بعد ذلك في باريس . فتناولت الغداء معه ومع  
قرينته ودعاني غير مرة للتنزه وحضور التمثيل في الاوبرى  
وفي ذات يوم دعاني للعشاء معه على انفراد في القهوة  
الانكليزية . فقبلت دعوته متعجبة منها وغير عالمة بأسبابها .  
ولاسيما لانه في دعوته فوضّ اليّ ان اختار أيّ وقت آخر اشاء  
اذا كان الوقت الذي عينه لي لا يوافقني . ولما وصلت الى القهوة  
الانكليزية وجدته في انتظاري فاستقبلني ودخل بي الى غرفة  
مخصوصة . وبعد ما جلسنا ذكرني اجتماعنا الأول وقال لي انه  
أعجب اعجاباً شديداً بما اظهرته يومئذ من ضبط النفس في حادثة  
الشمبانيا المثلجة . ثم سألني هل أعلم لماذا دعاني لاتعشى معه .  
فقلت : —

« هذا ما اجهلهُ واروم الوقوف على سببه »  
البارون هرش : « اروم ان تقترني بابني لوسيان . اظنه أهلاً



لك لانه يكره المال ويحب الكتب وله ولع بجميع المخطوطات  
من الطرائف القديمة • وهو فوق ذلك نائل أوفر قسط من التعليم  
والتهذيب • •

مرغو: « أليس ابنك ذا اللحية والنظارة وهو شديد  
الشغف بجمع النقود القديمة ؟ »

البارون هرش ( غير مسرور من وصفي لابنه ): « هو بنفسه  
وقد كلمته يوماً في بيتنا • وهو لطيف المزاج وحسن التصرف • ومن  
المحقق عندي انك اذا عنيت به ولو قليلا تجدينه من نخبة الازواج •  
وهو لا يميل الى الاجتماعات ولا الى السباق ولا الى غيرها مما  
اميل أنا اليه »

مرغو: « واهآ له ! ما اظنه يبالي كثيراً حتى بي أنا • انه شديد  
الكلف بجمع النقود القديمة • وهذه اكرها جداً »

البارون هرش: « ولكنك قادرة على صقل طباعه من هذا  
القبيل • انه شديد الاستحياء • واتمنى له زواجا سعيداً • هذا فضلاً  
عن وجوب اقترانه بفتاة انكليزية »

مرغو: « هل احب من قبل »

البارون هرش: « لا • لم يحب قط • لكن كثيرات تعرضن  
له • ولست ارضى ان تقترن به فتاة - اية كانت - مدفوعة بعامل  
غناه »

مرغو: « هذا محتمل وقوعه هنا • اما في انكلترا فلا »

البارون هرش : «أملتي تقولين هذا وانا عالم عن اختبار  
كلفني كثيراً ان الهياة الاجتماعية في لندن أشدّ الهيئات لاجتماعية  
في العالم اهتماما بالمال . ان فتى كلوسيان في الفنى لقادر ان يتزوج  
أية فتاة انكليزية أراد »

مرغو : «هذا ما اشك فيه لان الفتيات الانكليزيات  
لا يستهوينّ المال »

البارون هرش : « خلي عنك الهذريا عزيزتي ليس للفتيات  
الانكليزيات أقل ميزة على غيرهن من هذا الوجه ولا يحتقر  
المال الا الفتيات الصغيرات السن »

مرغو : « اذا ارجو ان اظل صغيرة وقتاً طويلاً جداً »  
البارون هرش (مبتسماً) : « لا اظن ان رجاءك يخيب من هذا  
القبيل . ومهما يكن من الامر فما احسبك تودين ان تكوني زوجة  
رجل فقير وتسكنين في الضواحي . تأملي كيف تكون حالتك  
لو حرمت التمتع بالصيد والركوب ولبس الحلل الفاخرة وحضور  
الحفلات الباهرة وقضى عليك ان تعيشي عيشة القرويات والوضيعات  
القدر والхамلات الذكر »

مرغو (بشدة) : « لا يمكن ان يقضى عليّ بذلك »

البارون هرش : « ولماذا »

مرغو : « لان لي أصدقاء كثيرين »

البارون هرش : « وأعداء ؟ »

مرغو (بتأمل وافتكار): «لربما... هذا شيء لا أعلمه. ولا أغنى به. وما انت قد حفلت بي يوم لقيتني أول مرة. فلماذا لا يحفل بي الآخرون هكذا؟ أو لا يجيء اختيارهم في النهاية مصداقاً لما رأوه مني في البداية؟»

البارون هرش: «اترتاين في ذلك وقد حملني اختباري لك على طلب اقترانك بابني؟»

مرغو: «مثل من تود زوجة لابنك؟»

البارون هرش: «مثل اللادي كيتي لمتون<sup>(١)</sup> شقيقة درهام»

مرغو: «لا اعرفها. هل تشبهني؟»

البارون هرش: «ليس بينكما اقل شبه على الاطلاق. لكنكما — انت وهي — الفتاتان اللتان لقيتهما ووددت لو اقترن ابني باحدهما»

وقد جدت في الشوق لمعرفة شيء عن منافستي. وغاية ما امكنه ان يقوله لي عنها انها ذات نخافة ورشاقة وعلى جانب كبير من الجمال والذكاء. فقلت له: —

« اذا هي تشبهني جداً » فضحك وقال: —

« ما اظنك تعرفين من تشبهين »

مرغو: « اتعني اني عاجزة عن ادراك ما انا عليه من البساطة؛

---

(١) هي الآن دوقة أوف ليدس

واذا عجزتُ عن معرفة من اشبه فانك مني لاقصر واعجز !  
وما ادراك اني لست من المخاطر اللواتي تخافهنّ اشد الخوف  
فقد اقترن بابنك وبدلاً من محاولة صقل طباعه وتنويع مواضيع  
لذته ومسرته كماشرت اتركه يعنى بجمع النقود القديمة واذهب  
حيث شئت منفقة ماله على ماروم واشتهي . وقد يتفق ان رجلاً  
يهواني ويقضي على سعادة لوسيان قضاءً مبرماً»

البارون هرش : « لا اصدق انك تخونين زوجك »

مرغو : « ان الحتم في امور كهذه فوق استطاعتك » وهل  
تظنّ ان اللادي كيتي لمتون تودّ ان تقترن برجل حياً بثروته ؟  
البارون هرش : « الحق اقول اني لا اظن انها تفعل ذلك »  
مرغو : « ارأيت اداً صدق كلامي . اني اعرف كثيرات من  
الفتيات اللواتي يأين زواجا كهذا . وعلى كلّ انا ارفض  
رفضاً باتاً ! »

وقد طال بيننا الحديث في هذا الموضوع . وبذل البارون  
هرش جهده في حملي على قبول ابنه لكنني قلتُ له صريحاً اني  
اقلّ بنات العالم موافقة وصلاحية لابنه

والصافاً لذكر لوسيان هرش اقول انه لم يعنَ قطّ بي  
وقد توفي بعد ذلك بوقت قصير فقال بعضهم لايه البارون : —

« ما اشد غباوة و حماقة مرغو تننت فلو رضيت ' ان تقترن  
 بابنك لكنت الآن من الارامل الغنيات »

فاحابه : —

« لو اقترن ابني بها لم يمت ! »



## الفصل السابع

افتتح هذا الفصل باثبات وصف مجمل لآخلاقى وملايحى كُتِبَ في غلن في احدى العاينا القلمية في شهر يناير سنة ١٨٨٨ ولما عرض يومئذ على الذين كانوا في الغرفة حزروا كلهم تقريباً انى انا موضوع الوصف لكنهم اختلفوا رأياً من جهة كاتبه . وزعم بعضهم انه صديقنا العزيز الحاذق غودفري وب وقد وضعه من باب المزاح . وهذه خلاصة ذلك الوصف : —

« هي في ظاهرها صغيرة الجسم عصبية المزاج سريعة الحركات شديدة النشاط . وهي دائماً على وجه الاجال ذات ظرف وكياسة لكنها كثيرة الحركة ميالة الى الهياج . ليس في وجهها دليل كاف على ما عندها من الحصافة والذكاء لان عينها مع فرط صفائها وحسن تكوينها شديداً الالتصاق احدهما بالآخرى . وانفها الاقنى ينحنى الى شفتها العليا القصيرة فوق فم خال من الدلالة على شيء . اما ذقنها فهي أدل من سائر ملامحها على اخلاقها لانها كبيرة وبارزة . ولها شعر جعد جميل يتدلى على جبين انيق وهي في مجموع اعضائها قوية البنية صحيحة الجسم سهلة التحرك . وفي اخلاقها دمنة لينة بعيدة عن الفرور حازمة حادة الذهن . ولها في حديثها دقة في الوصف ومبالغة في الاسترسال وعناية باتقان

سياق الكلام . وموهبة حسن التعبير . ومن مزاياها الممتازة بها الامانة والعزم والهودة . لها في الملاحظة ما لعين الفلكي الذي يرقب النجوم من شدة التقصي والتدقيق . وهي خير حكم في شؤون بني البشر . وقلمها تزعجها رياح الحوادث اذا هبت على غير مستهاها . فتراها كلما طمت عليها لجج المكاره والخطوب سمت بها نفسها فارتفعت فوق تيار الامواج غير حافلة بالعجيج والهياج . وقد اعانها على ذلك عرفانها قدر نفسها ونجاتها من الوقوع في فخ الغرور وحصولها على اوفر نصيب من القوة الحيوية وشدة الثقة بنفسها والاعتماد عليها . وهي من حيث المياسرة والمساهلة في ما يتعلق بنفسها لازمة حدة الاعتدال فلا افراط عندها تتهم فيه بمحبة نفسها ولا تفريط يضطرها لانكارها . والفضل في خروجها من مأزق المشقات والمصاعب انما هو لعزمها وبسالتها لا لبعدها نظرها . لا تثق ببصائح جافة عقيمة يبيدها قوم يؤثرون اذاعة الشر على نشر الخير . لا تحابي احدا وقد ينقصها شيء من واجب الاحترام للغير . تحب الطاعنين في السن لانها لا تشعر بانهم شاخوا . ولشدة حرارة قلبها وصحة ولائها لا تصدق ان الضيق مهما يشتد يستطيع ان يحول بينك وبين من احببت . وتصوب رأي الدكتور جونسون في ان الصداقة يجب ان تتمتع دائماً بالترميم والاصلاح . مولعة بالناس والحيوانات والكتب والموسيقى والالعب الرياضية على اختلاف انواعها

ركوب الخيل والصيد والتجذيف وغيرها ، شديدة الكلف بالطبيعة  
 اما من حيث الدين فينقصها العمل بالرسوم والفرائض . وهي في  
 ما خلا ذلك ذات شعور ديني حي صحيح . وهي في حبها غيور  
 وتواقة وامينة . اما في عملها فينقصها شيء كثير من المواظبة  
 لانها تبأشر اشياء كثيرة على وجه حسن ولكنها لا تجيدا كما لها .  
 لها اذن موسيقية ولكنها غير متقنة لهذا الفن . ولها عين المصور  
 ولكن ليس لها ريشته . وهي بارعة كل البراعة في ركوب الخيل .  
 اما من حيث القوى العقلية فهي بنت نفسها وهي ذات طموح  
 واستقلال وارادة . حريصة على اعجاب النساء والرجال بها ومحبتهم  
 لها ولا تقصر في اعجابها بهم ومحبتها لهم »

وقد بعثت بهذا الوصف مع وصف آخر مجمل لصفات المستر  
 غلادستون الى الاستاذ بنيامين حويت . وبعد ما اطلع عليهما  
 كتب اليّ الكتاب التالي :

« ٢٣ اكتوبر ١٨٩٠ »

« عزيزتي مرغو »

« لقد شاقني وصف غلادستون . فزيدني منه كلما سمح لك  
 الوقت . فان تلاوتي له زادني معرفة بصاحبه

« اما وصف الفتاة فحقيقي لا مبالغة فيه ولا تملق ، وقد  
 بدا لي منه ان صاحبه شديدة الاخلاص والذكاء . وقد يبلغ  
 ذكاؤها مبلغ النبوغ . ولو شئت لكنت من المشهورات في فن



الكتابة والتأليف . لكنها تضيع وقتها ومواهبها بالتجوال في العالم والانتقال من بلد الى أخرى على وجه لا يسر تذكره فيما بعد ولا سيما بعد عشرين سنة حينما يكون الشباب قد فرّوا كبا جناحي نعامة

« فان كنت تعرفينها فقولي لها بكل لطف ومحبة اني لا اروم ان ازيد شيئاً من الصبح لكنني أتمنى ان تكون هي مشيرة نفسها . فقد بلغت منزلة رفيعة وان تكن زلقة خطرة أفلا تزين هذه المنزلة بعيشة شريفة بسيطة ؟ لانه بعيشة كهذه يكون للحياة قيمة حقيقية ! ولما ارتفعنا استداحتنا الى الترتيب والاقتصاد وضبه النفس . ومن اصعب الامور ان نعيش في العالم ولانكون منه . نعم يصعب علينا ان نكون في الظاهر مثل بقية الناس ونحن نروم الاحتفاظ بالمثل الاعلى الذي يسمو فوق الحياة كلها ويبلغ الى ما وراء حدودها . وان نذخر في قلوبنا محبة طبيعية لكل انسان ولا سيما الفقراء البائسين وان ننزه انفسنا عن الطيش والسخافة والهيّاج ونعيش لغير انفسنا حسب مشيئة الله لا بمقتضى ازياء الناس وآرائهم »

فهذا التنشيط وبتشجيع صديق جديد — هوليونل تنسن — حدثتني نفسي ان أنشيء صحيفة . ولما اعلنت عزمي على ذلك وافقني عليه كثيرون من صديقاتي واصدقائي وكلهم من نخبة الكتاب ووعدوا ان يضافروني عليه ويشدوا ازري فيه . وبعد

مباحثة طويلة في اختصار اسم الصحيفة اجمعنا على الاسم الذي اقترحته انا وهو « الغد » وتألفت لجنة الكتابة « التحرير » بني انا مرغوتننت صاحبة الجريدة ومن لورانس اولفنت و . ج . ك ستيفن والمستر ونفرد بلنت وجورج كرزن وجورج وندهام اوغود فري وب ودل لدل وهري كست والمستر نولس [ صاحب مجلة القرن التاسع عشر ] والاونورا بل لتلتون والمستر ا . ج بلفور واوسكار ويلد واللورد واللادي ربلسدائل واللادي هورنر والسر الدجرتون وست واللادي فرنسيس بلفور واللورد واللادي بمبروك والآنسة بتي بنسوني ( وهي الآن عقيلة مونغمري ) وجون ادثن سيموندس والدكتور جويت ( استاذ بالبول ) والمسيو كوكلاين والسر هنري ايرفن والآنسة الن تري والسر ادورد برن جونس والمستر جورج رسل وعقيلة سنفلتون ( والآن اللادي كري ) واللادي دي غراي واللادي كونستانس لسلي والاونورا بل ليونل تنسون

وبعد ما اخذنا اهبتنا للعمل واعدنا مقالات العدد الاول وقفنا عند هذا الحد ولم يخرج المشروع الى حيز الفعل . فصدق جويت بقوله اني اضعت وقي « بالتطواف في العالم » ولكنني اكتسبت اصدقاء كثيرين لم يكن يتيسر لي الحصول عليهم بغير هذه الطريقة .

واذا صح انه لم يكن لغيري من الاصدقاء قدر ما كان لي

فبكل اسف اقول انه لم يذق أحد ما ذقنه من مرارة خيبة الامل  
يذني البشر والوقوف على تقلبهم وعدم ثباتهم وشدة ضعف قوة  
الحبة فيهم

غادرنا دونن ستريت حيث قضينا اكثر من تسع سنوات  
وليس لنا سقف يظلنا . وبعد عشرة ايام اقبل اصدقاء جدد  
لمعونتنا والاهتمام بنا . عى انه ينبغي لي ان اقول ان كثيرين من  
اصدقائنا القدماء لم يكن عندهم محل لنا وبعضهم كانوا مقيمين في  
الريف . فاللادي كرو (١) وهي توشك ان تكون في سن ابنتي  
وهي نادرة المثال في نزاهة مقاصدها وصراحة افكارها ادخلت  
ابننا سيريل في كروهوس واللادي غرارد (٢) انزلت زوجي عندها  
وعقيلة كفندش . — بنتنك وهي عمة اللادي غرارد ومن  
شعب الله الخاص صادقت ابنتي اليصابات . وعقيلة جورج كبل  
الكبيرة القلب والنفس اعدت لي مسكناً في بيتها في غروفنر  
ستريت . وعقيلة مكنا (٣) قبلت عندها ابني انطوني  
اما الصديقان اللذان اسعدني الحظ في ذلك الوقت باكتساب  
صداقتهم وكان لهما اكبر تأثير فيّ فهما جويت ( استاذ باليول  
سنة ١٨٨٨ و١٨٨٩ واللادي ويمس ام الارل ويمس في الوقت الحاضر .

---

(١) مركيزة اوف كرو . (٢) الكونتس اوف غرارد

(٣) قرينة الريت اونورابل رجينلد مكنا

كانت اللادي ويمس ممتازة بشدة محبتها وفرط تواضعها. وهي ذات مزاج حاد شديدة الغيرة سريعة التأثر ومقياس رائع للصواب والخطأ. تلقى زائرها او من يروم مقابلتها بوجه طابس جاف وتحاطبه بصوت منخفض وكلام بطيء وصراحة واخلاص تخيفين وبعد ما عرفتھا واختبرتها وجدتها الشخص الذي طالما تصورته في الحلم وكنت اظن ان الله لم يخلقه بعد . وقد قالت لي مرة اني خير صديق يتمنى الانسان الحصول عليه . وكان هذا الاطراء الرائع مقدمة صداقة احكنا كلتانا عقدها وو ثقنا عراها ودامت بيني وبينها الى يوم وفاتها . وقد حفظت عندي كل كتاب كتبه اليّ وهذه الكتب أعدها انفس ذخر وأمن ذكر لا كرم صديقة وكانت اللادي ويمس المحبوبة واسطة تعرفني باستاذ باليول وكنتُ حينئذ في مصيف الارل ويمسُ في غسford بين ايدنبرغ ونورث بروك. ففي مساء يوم من سنة ١٨٨٨ بعد ما عاد الرجال من الصيد جلسنا في رحبة المرمر الفسيحة لتناول الشاي وكنت لابسة تنورة مثناة لأرقص بها اجابة لطاب الارل ويمس فاخذ بعضهم يوقع نفقات الرقص على البيانو وشرعتُ اخطر في رقصي جئة وذهاباً . واخيراً عند ما وقفتُ وانحنيت امام الحضور مبدية علامة شكري لتصفيقهم واطهار اعجابهم علقتم رجلي بذيل ثوبي وسقطت عند قدمي قسيس طاعن في السن . وعند ما نهضتُ رنّ صوت لعنة عال في الرحبة كلها ! فاسترجعتُ

وشدي وقلت له ملتفتة اليه : —

« انك قسيس واخاف ان اكون قد ازعجتك فاجابني : —

« لم تزعجيني قط • وارجو ان تواصل رقصك لانه اعجبني

الى الغاية »

وكنتُ الى ذلك الوقت اجهل من هو • وقد ظننته في اول.

الامر قسيس الابريشية ولكنني علمتُ بعدئذ انه بنيامين جويت

الشهير استاذ كلية باليول في جامعة اوكسفورد

وقبلما اصف كيف تعرفت بالاستاذ وتوفقت الى احكام

علاقات المودة والصداقة بيني وبينه يحسن بي ان اشير ولو باختصار

الى تلك الحوادث القديمة التي وقعت في اكسفورد ومكنتُ

الاستاد من معرفة دخائل الناس وما لقيه في اثناء ذلك من

العنت والازعاج

ففي سنة ١٨٤٢ توفي الدكتور جنكنز استاذ باليول . فخلا

منصبه هذا وكثر المرشحون له والمتسابقون اليه . وكان لجويت

في ذلك الحين شهرة مستطيرة من حيث كونه استاذاً او مدرساً

كبيراً . ولكنه كان متها بانه من أهل المذهب العقلي (١) وهذه

التهمة شاعت وذاعت كشهرة براعته في العلم والتعليم . فاشتد بها

( ١ ) « Rationalism » أي مذهب تحكيم العقل وحده

في التوراة والدين المسيحي ورفض ما يخالفه فيها





ساعد اضداده على انصاره. ولما حان وقت الانتخاب تقصصه صوت واحد وافضى ذلك الى رفضه. وامتد وقع هذه الخيبة عليه. لكنه تجلدها واكب على عمله بما لا مزيد عليه من الجد والمواظبة وقد قال لي مرة انه وجد حينئذ اكبر تعزية وتنشيط بقول مرقس اوريليوس : — « اجتهد دائماً في عمل شيء تخدم به بني البشر. ولتكن هذه المروءة المتواصلة والارحية المستمرة مدعاة مسرتك وابهاجك ولا تنس في الوقت نفسه ما يجب عليك من الاحترام لله » .

وكانت خطبه عن افلاطون والقديس بولس أهم ما عني تلاميذه بسماعه منه. وكان لشدة تضلعه من قواعد التعاليم واصول البحث تأثير كبير في تشويق طلبة اكسفورد الى درس تعاليم افلاطون ومقابلتها بتعليم ارسطوطاليس. وكان يقول : — « ان ارسطوطاليس ميت. اما افلاطون فحي » .

وفي سنة ١٨٦٠ طُبعت مقالاته في تفسير الكتاب المقدس بعنوان « مقالات وانتقادات » فاشتد الهياج عليه لما جاء فيها من التعاليم المخالفة لاعتقاد الجمهور وانبرى كبار رجال الدين لمناهضته ومعارضته وتسفيه آرائه. وظلت هذه الحملة الشديدة موجهة نحوه الى سنة ١٨٦٤ بعدما منعه من الوقوف على منبر الجامعة. لكنه ظل مواظباً على عمله ومواصلاً الجِدَّ في ترجمة تعاليم افلاطون حتى اكملها كلها في سنة ١٨٧٨ حين تقلد منصب  
٧ اسكويت



## استاذ باليول

وشرُّ ما نشأ عن ردود اخصامه على كتابه « مقالات وانتقادات » طعنهم ظلماً وعدواناً في شهرته واساءتهم الى صيته فانه ظلّ عدة سنين معدوداً عند عامة الشعب من أهل البدع والاضاليل وانه رئيس مدرسة كلية ليس فيها الا الكفرة الملحدون . على ان مقالاته في تفسير الكتاب المقدس - وهي التي لقي فيها حينئذ ما لقي من المقاومة والاضطهاد - لا يأتي الآن أي قسيس كان ان يقدم على طبعها ونشرها . وكان ذنبه عندهم قوله ان الكتاب المقدس يصحُّ انتقاده كما تنتقد الكتب الاخرى

ولما عين استاذ كلية باليول التف حوله جميع تلاميذه ومريديه ولم يكثرثوا لطن رجال الدين فيه . والحق ان جامعة اكسفورد لم ترقط استاذاً يضاهيه في شدة المواظبة على العمل وتحمل اتعاب التعليم والتهديب بلا سأم ولا ملل وفي ايامه زهت كلية باليول وازهرت وكثر عدد طلابها وامتازت من جميع كليات جامعة اكسفورد بخرّيجين نبغوا في العلم والسياسة وصاروا فيما بعد من مشاهير الرجال في كل فن ومطلب

بقي السؤال : - « هل كان جويت عظيماً؟ » وذلك موضوع طال فيه الجدل وكثر الاخذ والرد . فليس من ينكر تقوذه وشدة تأثيره . وقد سمعت كثيرين من كبار الرجال مثل هكسلي

وسيموندس واللورد لانسدون واللورد بوين واللورد ملزوالسر .  
 روبرت مورير وغيرهم يذكرونه امامي بملء التجلة والارتياح .  
 وينوهون بفضله عليهم وتقوذه فيهم . وليس من ينكر انه  
 كان رقيق القلب كريم النفس حريص على مراعاة شعور الآخرين  
 وقليل الحرص على جمع المال . وقد يقال انه لم يكن من طبقة  
 المجلين في مضمار العلم والفلسفة مع الاعتراف بخدمته الجليلة في  
 سبيلها . ولكن هل كان عظيماً ؟ ففي العالم كثيرون من كبار الرجال  
 رجال الخدق والذكاء من ذوي العبقرية والنبوغ واصحاب الجد  
 والعمل . ولكن الرجل العظيم يصعب وجوده . لان الحصافة او  
 قوة التمييز وحدها تقصر عن الدلالة على هذه الضالة المنشودة فلا بد  
 من الاستعانة على وجودها بنوع من العظمة ايّا كان . والله سبحانه  
 وتعالى يعدل في ما يمنح ويهب حتى لا يكون لاحد منا ميزة على  
 الآخر في شيء . فلم ألق قط امرأة ذات جمال فائق ولها ذكاء  
 يتجاوز حد الوسط . ربما اتفق لبعضهن ان يكن فائقات في الجمال  
 والذكاء معاً ولكنني انما أدوّن ما عرض لي في حياتي . ومثل  
 هؤلاء النساء لم اشاهد

فقد عرفت رجلاً كان نابغة في سرعة خاطره وتوقد ذهنه  
 وشدة ذكائه وما كان يلوح عليه من صفاء القلب وسلامة النية .  
 ولكنه كان مثلاً مضروباً في الخسة وانكار الجميل وسرعة القلب .  
 واكتشاف القلب والكنود لا يتم الا بعد سنين تقضى في التجربة

والاختصار . ويخيل اليّ ان قليلين منا هم الذين يبدو لهم ان يتهموا غيرهم بلؤم يسوءهم اكتشافه ويكون اشبه باكتشاف دودة في قلب وردة . وقد ترى رجلا حسن الاخلاق ولكنه بليد خامل . وآخر ذكيا المعبى وكريما متلافا لكنه خليع منغمس في لذاته وقاسي القلب . وآية في النفاق والكذب . وهذه المتناقضات على شدتها وكثرة شروعاتها قلما فاتني العثور على واحد منها . ومن نواذر الاتفاق ان يجتمع التواضع الخالص والتزهد عن الغرور والتجرد لمحبة الآخرين بعزم وبسالة لا مزيد عليهما . فاذا اظفرك الاتفاق بقاء هذه الصفات مجتمعة معا فثق حينئذ انك في حضرة العظمة

فالعظمة مؤلفة من اربعة عناصر الاول التواضع الحقيقي [وهذا يجب ان يتميز من الصغار والمصانعة] . والثاني التزهد عن الغرور والثالث البسالة التي اذا اتخذت باوسع معانيها تضمنت الصدق او دلت عليه . والرابع قوة المحبة . وهذا العنصر الاخير اندر العناصر كلها . واذا كانت العظمة تتألف منها فجويت كان عظيما لانه كان حاصلها عليها كلها

ومهما يكن من نتيجة اتقاده للكتاب المقدس — مما اجتنب البحث فيه فاني اراه مستوفيا شروط العظمة واعترف بانه كان له افضل تأثير مفيد في حياتي . وكان شديد الخوف على صيتي في الهيمّة الاجتماعية . وكان في جميع المكاتبات التي دارت

بيننا بعد ما افترقنا في غوسفرد لا ينقطع عن نصحي وارشادي  
وكان متناھيا في بساطه الفكر وذا اعتقاد راسخ في حسن اخلاق .  
جماعة الاشراف البريطانيين وسعة معارفهم وسمو نفوسهم .  
ولم يسره اني كنتُ مخالفة له في ذلك . ومع شدة احترامي  
لنصائحه وانذاراته لم ابال بها اكثر مما تبالي بطة سابحة بنقيق  
دجاجة على ضفة بركة . وفي احدى كتبه طلب اليّ العدول عن  
الذهاب مع ولي العهد لصيد الدببة في روسيا . ولم اسمع به الا  
منه ! وختم كلامه في كتاب آخر بقوله : —

« لا يحسن بي ان ازعجك بتكرار النصائح . ولكن لماذا  
لا تحسنين استخدام مواهبك الشريفة ؟ نعم انك لا تسيئين استعمالها  
ولا تفعلين الا ما يفعله غيرك . ولكنك تفوقينهم اتقاناً ونجاحاً  
وانت فوق ذاك امينة جدٌ لاصدقائك فالرب يباركك  
ويرضى عليك »

ولما بلغه اني ادخن ساءه ذلك جداً فكتب اليّ يقول : —  
« ماذا تفعلين ؟ تكسرين قلب شاب ؟ ليست هذه المرة  
الاولى ولا الثانية ولا الثالثة . مساكين الشبان ! انهم يختصونك  
باعظم اطراء يستطيع رجل ان يسوقه الى سيدة وهم جديرون بكل  
محبة . ان قبلت نصيحتي قلتُ خيرٌ لك . وواجب عليهم ان تبقى  
خبيبة آمالهم مكتومة عن كل انسان لانه لا يخفى عليك ان كلمة  
« مؤتمن على سر الغرام » يصحُّ اطلاقها على كل واحد . والعالم

الحسن الخلق والشديد الغيرة منك يتهمك بالقساوة وسحق  
القلوب . وقد بلغني انك تدخنين !!! فاستأت من ذلك أشد  
الاستياء . لانه ليس من شيمة السيدات في انكلثرة . ومنذ ما  
سمعت بهذا الخبر امثلك لعيني جالسة والدخان يتصاعد متكاثفاً  
من فمك . فاتركيه يا عزيزتي مرغريت اتركه . لانه يضر بصيتك »  
وسألني يوماً هل اخبرت أحداً بأنه كتب اليّ فاجبته : « اظني  
اخبرت حتي كل جمال (شبال) في سكة الحديد ! »

فازعجه ذلك . فقلت له اني اراه يستحي بمحبتني له . اما  
انا فافتخر بها

وبعد سكوت طويل قال لي : — « اتودين يا مرغوان  
تكتب ترجمتك ؟ »

مرغو : — « لا . الا اذا تضمنت كل شيء حقيقي عني .  
ومن ذا الذي تختاره أنت أيها الاستاذ ليكتب ترجمتك ؟ »  
جويت : « لا يستطيع أحد ان يكتب ترجمتي يا مرغريت ؟ »  
( وظل وقتاً غير قصير يدعوني مرغريت حاسباً انه اكثر مراعاة  
لمقتضيات الادب من مرغو )

مرغو : « خلّ عنك هذا ! فانه في استطاعتي ان اكتبها »  
جويت : « لو علمتُ هذا من قبل لما احرقْتُ كل رسائلي »  
وما اظن ان فتاة كسولاً مثلك تصبر على حمل حمل كهذا ! »  
مرغو ( بغیظ ) : « اعني بهذا انك احرق كل رسائلي »

جورج اليوت ومثيو ارنولد وسوندرن وتمبل وتنسون ؟ »  
 جويت : « ابقيت واحدة او اثنتين من رسائل جورج  
 اليوت وفلورنس نيتنغايل . لكن الرجال العظام لا يحسنون  
 كتابة الرسائل »

مرغو : « هل تعرف فلورنس نيتنغايل ؟ اود لو كنتُ اعرفها »  
 جويت ( متعجبا من عدم سماعي بالاشاعة المتعلقة به  
 وبفلورنس نيتنغايل ) : « لماذا تودين ان تعرفيها ؟ »  
 مرغو : « لانها احبت ابا صديقي جورج بمبروك »  
 جويت ( يحذر ) : « سأذهب بك اليها لكي يمكنك الاطلاع  
 على كل شيء »

مرغو : « اتمنى ذلك » ولكن اظن انها لا تعني بي »  
 جويت : « لعلها لا تبالي بك . ولكن هل يهمك ذلك ؟ »  
 مرغو : « كلا البتة ! لاني لست بكبكية بنات جنسي من هذا  
 القبيل . وعند ما يغادر الناس الغرفة لا اقول في نفسي ، ترى  
 هل احبوني بل « ترى هل احبتهم » ،

وقد اثر كلامي في الاستاذ والا لم اشر اليه هنا . وبعد  
 بضعة اسابيع ذهب بي الى فلورنس نيتنغال في سوث ستريت .  
 وكان خارج دارها عدد كبير من مرضات المستشفى ينتظرن  
 ان يقابلنها . ولما دخلنا كانت جالسة على متكا . وبعد التعارف  
 والتحية جلستُ انا والاستاذ . ورفعت نظري اليها فراغني جمال

وجهها البديع • ثم التفتت اليّ وقالت :

« يسرني ان اراك لاني علمت ان بمبروك ابن صديقي العزيز

القديم شديد الميل اليك • فهل تصفينه لي ؟ »

فوصفت اللورد بمبروك لها والاستاذ جالس في كرسيه صامتاً

لا يفوه بكلمة وظل كذلك حتى خرجنا من عندها . وبعد بضعة

اشهر كنتُ راكبة معه في جوار اكسفورد • فقلت له : —

« لم تحدثني قط عن علاقتك بي ولا قلت لي شيئاً عن حبك

في صباحك • مع اني اخبرتك بشيء كثير عني »

جويت : « هل بلغك قط اني احببت احداً ؟ »

فلم اشأ ان اخبره بانى بعد مازرنا فلورانس نيتنغايل سمعت

انه اراد ان يتزوجها فاكثفتُ بقولي له : — « نعم بلغني انك

احببت مرة »

جويت : « مرة فقط ؟ »

مرغو : « نعم »

ثم ساد سكوت تام اخترقتُ حجاب بهذ السؤال : —

« كيف كانت السيدة اتى احببتها أيها الاستاذ العزيز ؟ »

جويت : — « صعبة المراس ..... صعبة المراس جداً »

ثم رجعنا الى باليول

وسأثبت في ما يلي جميع الرسائل التي كتبها اليّ لاني لا

لا استصوب نشرها متفرقة في مذكراتي :

« في ١١ مارس ١٨٩ »

« عزيزتي مرغريت »

« لقد اصبت بقولك ان واجبات الصداقة تقضي بأن يكتب الصديقان احدهما الى الآخر . وقد كدتُ أظنُ انك استأت من انتقادي الشديد لحياة شبيبتهك وسعادتها

« وهل يمكن ان يبقى الشباب شباباً اذا تحولت الحياة فيه الى حياة جدٍ واهتمام ؟ اما انا فاقول نعم يمكن . وهل في الحياة افضل من ايثار العناية بسعادة الآخرين على العناية بسعادة انفسنا وكانت أختي المأسوف عليها [ التي سأحدثك عنها يوماً ما ] تقول : —

« يسعدني ان أرى الآخرين سعداء ، وكانت حريصة على العمل بمبدأ سدي سميت : لا تدع يوماً يمرُّ بك من غير ان تصنع فيه معروفاً مع بعض الناس ، ولا بدّ ان تكوني انت كذلك والا لم تكوني هكذا معروفة ومحبوبة

« تسألين عن الاشخاص الذين لقيتهم مؤخراً . ولا أعلم هل يهيك ذكركم . فمنهم المستر ولدن رئيس اساتذة هارو وهو رجل امين قدير وامامه مستقبل باهر . ولولا شدة تناهيه في الامانة والصراحة لترجح ان يكون في المستقبل رئيس اساقفة كنتبري والمستر ج . م . ولسن كبير اساتذة كلية كلفتن وهو رجل لين العريكة كبير الهمّة كثير المواهب . ثم اني اجتمعت بالورد روزبري



وهو كما تسمعين عنه من حيث المقدرة والاقدام وغير بعيد عنه .  
 ان يكون كبير الوزراء في المستقبل . ويعجبني في اللادي روزيري .  
 انها رقيقة الشعور شديدة الادراك شريفة المبادئ وهي تأتي .  
 ان تضحي يهوديتها في سبيل احراز رضى الناس . وعندها .  
 كليهما ثروة كبيرة وبيوت جميلة وهما على جانب عظيم من اللطف  
 ودماثة الاخلاق . ثم اني عدت تنسن في دائه الذي اناخ عليه .  
 منذ ستة اشهر واخاف انه لا يشفى منه لانه ابن ثمانين سنة . وقد  
 مرتني ان وجدته يتحملة بالصبر وبلا اقل خوف من الموت على  
 خلاف المعهود به من قبل : وقد أعدّ جزءاً جديداً من ديوانه  
 للطبع وفيه جانب كبير من القصائد البليغة الرائعة . فهل سمعت ؟  
 قبلا بشاعر بلغ الثمانين وظلّ قادراً على نظم قلائد القصائد ؟  
 « كان الدكتور جونسن يقول انه لم يأكل قط في حياته .  
 من الثمار قدر ما اراد . ويخيل اليّ اني لم اكل قط على قدر رغبتى .  
 المخلص بـ . جويت »

« كلية باليلول »

« في ٢٢ مايو ١١٩١ »

« عزيزتي مرغريت »

اشكر لك تفضلك بالكتابة الي وارجو ان تكوني الآن .  
 قد تعافيت . وعندي ان الناس قادرون على شفاء انفسهم من .  
 الامراض التي تعترهم اذا تذرعوا الى ذلك بالفطنة والصبر والشجاعة

« وقد سررتُ بزيارة صديقك لي يوم الاحد الماضي .  
 اولي امل ان يكونا صديقي . ان اسكويث رجلٌ ناهيك من رجل  
 وهو مستوف للشروط التي تمكنه من بلوغ ارفع مناصب  
 القضاء والسياسة علاوة على كونه انيس المحضر حلو المعشر .  
 واعجبني من صديقتك حصافة عقلها ورقة عواطفها وتزهرها عن  
 الكبرياء والتحامل

« بدأتُ استلين مضجعي واستلذ المكث في فراشي وذلك .  
 ليس من تراخ وكسل بل لانه يسهل عليّ التفرغ للعمل  
 فرغتُ الآن من تلاوة ترجمة نيومان الغريب الاطوار .  
 وعندي انه أشد رجال هذا الجيل تصنعاً ورياءً . وعند التأمل  
 في حقيقة ما كان عليه يأخذني العجب من الفراغ الذي شغله في  
 عيون الناس . ولما كان صادقاً في قوله وعمله . ان الصدق في  
 الغالب حمل ثقيل على البشر ولكنهم لا يستطيعون السير بدونه  
 » هو ذا ساعي البريد على الباب والساعة ١٢ . وقدومه أثقل

على الطبع من قدوم جابي الضرائب  
 « آتمنى لك نوماً هادئاً واحلاماً سارة واتوقع ان اراك مع  
 اللادي ويمس . ودمت لصديقك المخلص

ب . جويت »

« كلية باليول »

« في ٨ سبتمبر ١٨٩٢ »

« عزيزتي مرغريت »

« طالعتُ كتابك الرقيق اللطيف فكان اجمل عزاء لقلبي  
الاسوان وتنقي الحزينة على فقد نتاشب المأسوف عايه كل الاسف  
وحقاً ان فقدته خسارة كبيرة على اكسفر لا تعوض . لانه كان  
من خيرة الرجال النوايح . وقد مات موت الابطال والشجعان  
حاضاً الادلاء ان ينبذوا عنهم الجبن جانباً ويخلصوا انفسهم .  
وكان محبوباً جداً من تلاميذه لانهم علموا يقيناً انه كان يعنى بهم  
عناية لا توصف »

« وقد اطلعت على بعض آثاره القلمية . وله علاوة على ماقرأته  
بحث مطول في افلاطون في كتاب سده ( اليونانية ) وهو غاية في  
الجودة . والباقي مما كتبه قليل جداً . ولو فسح الله في اجله ل زاد  
واجاد . وكان فوق ذلك خطيباً بليغاً حسن اللقاء . والمستر  
اسكويث يخبرك بما يعرفه عنه »

« وقد جاءني كتب تعزية كثيرة عن وفاته . ولكن كتابك  
كان المنفرد كلها في الاشتغال على التعزية القلبية الحقيقية . وذلك  
ما اشكره لك من صميم فؤادي »

وقد علمتُ الآن انك وطنت نفسك على الكتابة والتأليف  
فحسناً تفعلين . انه عمل شاق يتطلب شيئاً كثيراً من التفرغ له  
والاهتمام به . ولكنه من اسر الاعمال وابهجها . فامضي فيه  
موفقة وتحفيني بما يخضه يراعك لاطلعه بملء السرور »

» كلية باليول

» في ٢٧ ديسمبر ١٩٢

» عزيزتي مرغريت

» اطلعت على مقاتلي اللادي جان ومرتني جداً انك لم تكتبيهما ولا كتبت شيئاً من هذا النوع . لان انتقادات كهذه للهيئة الاجتماعية التي بعضنا فيها ، يحيا ويتحرك ويوجد ، ليست من الصواب في شيء . وذلك لان بناء الهيئة الاجتماعية او نسيجها من الاسرار التي لا يحق لنا المداخلة فيها والتعرض لها . ولا يصح الكلام عنها في محادثاتنا الانفرادية ان يتجاوز حد المسارة والهمس . واني لمقتنع كل الاقتناع بان هذا امر لا يجوز الكلام عليه . ومهما يكن السعي في اصلاح فساده وتقويم اعوجاجه — سواء كان مني انا رئيس احدى كليات اكسفر د أو منك أنت احدى سيدات الطبقة العالية ] ولا أجهل انك لا ترومين ان تلقي هكذا — فهذا السعي يجب ان يبذل بمالا مزيد عليه من الهدوء والسكوت

» تزعم اللادي جان ان العالم يسهل اصلاح شأنه اوعلى الاقل تحسين حالته لولا حديثو النعمة او جديدهو الثروة فيه . وبهذا المعنى كلني بعض اساتذة ايتن . اما انا فيعجبني قول صديقتنا العزيزة اللادي ويمس ، ان الذين ساءت احوالهم من قدماء الاغنياء يحسدون حديثي العهد في الثروة والغنى ، فعلينا ان نبذل جهدنا في التأليف والاتحاد بين طبقات الهيئة الاجتماعية ولا يجوز ان

نظاھر طبقة منها على طبقة أخرى

« لقيتُ الليلة البارحة صديقك المستر اسكويث . وهو باق على عهدي به من حيث التواضع ولين الجانب . فلم أر عليه أقل أثر للانتفاخ او الافتخار بمنصبه الجديد <sup>(١)</sup> السامي . أما مستقبل هذه الوزارة فمحفوف بالريب والشكوك

» وأرجو ان كل شيء يجري على مشتهاك . أطلعيني على افكارك . شرعتُ في مطالعة كتاب اللورد ملر . واني معجب به كل الاعجاب . لانه من أهم ما تلذ مطالعته وتجل فائدته . صديقك المخلص ب . جويتُ»

« كلية باليول

» في ١٣ فبراير ١٨٩٣

« عزيزتي مرغريت

» أودُّ ان أحدثك عن أمور كثيرة . وارجو ان لا تقولي لي كما قال جونسن لبوسول « ليس عندك ياسيدي سوى موضوعين وهما أنت وأنا . وقد مللتها كليهما ،

لقد سرنني نجاح المستر اسكويث . واني أرى فيه ثقة الرجل العظيم بنفسه — قوة وبساطة واستقلالاً وتفوقاً . ولقد اسعدك الحظ جداً بان مكنك من مصادقة ثلاثة رجال مثل المستر اسكويث

واللورد ملتر والمستر بلقور . وان لم يكونوا اعظم رجال عصرهم  
فهم بلا شك من اعظمهم

« وارى المستر بلقور غير صالح لقيادة حزبه خارج الحكومة  
أو في المعارضة كما يصلح لها عند ما يكون زمام الحكم في يده  
فهو في أثناء توليه زعامة حزب المعارضين يسرف في التناول  
والافتئات وينقصه شيء من جلالة القدر ورفع الشأن . واخاف  
عليه من اختلال التوازن وتغيير مركز الثقل . ويرجح عندي  
انه سيضطر مثل السرر . ييل الى العدول عن كثير من آرائه في  
أثناء الثلاثين سنة المقبلة والا فالتمادي في خطته الحاضرة يكرهه  
أخيراً على ترك مباحثه السياسية [ في نقود المعاملة والكنيسة  
والاشتراكية ]

« ترى هل يكون هذا آخر يوم من حياة غلادستون في مجلس  
النواب ؟ ومن اكبر المحزنات ان نراه يحاول آخر مرة عرض ما  
يكاد يكون مخالفاً لما كان يعتقد في حياته كلها . . واني لارجو  
انه يتصرف تصرفاً حسناً شريفاً . وسيان حينئذ ان عاش مدة  
طويلة أو مات كاللورد شاتام بعد بضعة أيام . ويظهر لي ان  
وزارته لم تسيء التصرف في الاسبوعين الاخيرين . فان رجالها  
سعوا في ازالة ما علق بالاذهان من جهة كونهم انصار الخلل والعبث  
بالنظام . ولعله يهمل ان تعلمي اني اشرف في داخلي بميل الى  
حزب الاحرار يرجح على ميلي الى حزب المحافظين . وعلى كلِّ

أرى سعي كلا الحزبين في ان ييغت الحزب الآخر باظهار تفوقه  
عليه في الهوادة والتساهل والتزهد عن التعصب قد افاذ انكسرة  
فائدة عظيمة . »

« هدتن هل

« قرب اكسفورد

« في ٣٠ يوليو ١٨٩

« عزيزتي مرغريت

« حدثني الآسة نيتنغايل عن الشعور المعبر عنه غالباً بالحب  
لكنها كانت بطلة او الالهة

« ان المغازلة او مطارحة الحب أمر ذو شأن وان سخرت  
به الهيئة الاجتماعية . ولعلها تفعل ذلك لتسبر غور العشاق وتقف  
على صحة دعوى أهل الشوق والغرام

« وليس بخاف عليك يا عزيزني اني بلغت سن الشيخوخة  
ولست من المعروفين بشدة رقة الشعور ولا من المولعين  
بالتصورات الغريبة في مثل هذه الامور . ولكي مستعد ان  
ابذل ما استطيعه من الجهد لارشاد من يعنى بنصحي ووقايتهم من  
التعرض لارتكاب الخطأ من هذا القبيل

« فأهم ما اراه في مسألتك جديراً بالاهتمام انما هو مشكلة  
الاولاد . افلا تعمين نظرك في هذا الامر وتستعينين برأي والدتك  
فيه ؟ . فبالامس كنت في مرقص حافل بالمقنعين والمقنعات كما

قلت لي وبعد بضعة أشهر تكونين منصرفة للعناية بخمسة أولاد  
ومعرضة لتحمل ثقل الاهتمام بما يطرأ عليهم من الامراض والمكاره .  
ومع انهم ليسوا بأولادك فانك مضطرة ان تكوني أمأ لهم .  
وهذه الحالة ستبقى على هذا الموال مستغرقة اكبر جانب من  
حياتك . وهذا الفرق العظيم الذي سوف تقضي الضرورة بوقوعه  
اغني بين حالتك الماضية وبين حالتك المستقبلية هو أعظم مما يقوى  
الطبع البشري على احتماله . نعم انه اشرف منوال للحياة ولكن  
هل انت قادرة عليه ؟ فان آنتست من نفسك المقدرة الكافية  
فاني منذ الآن اقول لك ، بركة الله عليك أيتها الفتاة الباسلة ! ،  
ولكني لا أود ان تخفي عن نفسك شدة خطارة هذا الامر .  
لانه لن يبقى في استطاعتك ان تكوني زعيمة سيدات الطبقة  
العليا ومربية خمسة أولاد في وقت واحد

« هذا من وجه . اما من الوجه الآخر فان لديك رجلاً  
حسبك من رحل . بالغاً ما شئت من الحذق والذكاء ، ومتحلياً  
باحسن الصفات . وقد ترقى الى منصب يحسده عليه كثيرون من  
كبار الرجال . وقد كنت اكبر معينة له على ذلك بما لك من  
المعرفة الواسعة والخبرة الطويلة في شؤون العالم . وستعترف لك  
الهيئة الاجتماعية بالفضل وتوفيك حقك من الثناء والشكر  
وتتمنى لك اكبر نجاح وأعظم أجر . وان استطعت القيام بما وطنت  
نفسك عليه بلغت اسمى مقام في الحياة واحرزت ابقى فخر



« قرأت اليوم ترجمة هيوم التي كتبها بنفسه . وهي شائعة ومؤثرة الى الغاية . وانك تجدونها في مقدمة كتابه تاريخ انكلترا فيبين المعدودين كفرة ملحدين كثيرون من القديسين مثل هيوم وسبينوزا وغيرهما من الذين أسلمتهم الكنيسة الى النار الدائمة الاستعار  
صديقك المحب المخلص

« باليول ب . جويت »

« يوم الاحد سنة ١٨٩٣ »

« عزيزتي مرغريت »

« لقد اصبت بقولك ان الراحة والسلام أهم ما نحتاج اليه في هذه الحياة . فيكفيننا ان نعمل بما أوتينا من المعرفة . ولا حاجة بنا لان نحمل انفسنا مالا يطاق من العناء في محاولة فهم العقائد الدينية التي يعسر ادراكها . ولا أن نقلق ونضطرب من جهة الحقائق التاريخية كالمعجزات وغيرها مما تغير رأي العالم فيه على كروور العصور . ويدخل في هذا الباب بعض المسائل مثل قولنا هل قام ربنا من الاموات بالمعنى الحقيقي الذي تدل عليه هذه الكلمات . فهذا السؤال يختلف كل الاختلاف عن السؤال هل تقتدي به في حياته

« ويسرنى انك تهتمين بهذه المسائل . وبملاء الالبهاج ارتاح الى محادثتك عنها . وكل ما عندي لا قوله عن الدين ينحصر في كلمتين لا غيرهما الحق والصلاح . ولا ارضى ان يكون

أحدهما بدون الآخر . ولكن لو خيرت فيها لاخترت الحق  
ومن رأيي انك تستطيعين ان تعرفي الدين بانه التسليم المطلق  
لمشيئة الله ونظام الطبيعة . وقد يكون له تعاريف أخرى كلها  
صحيحة ولكن ليس فيها ما يلائم اخلاق البشر مثل الاقتداء  
بالمسيح او الحق الذي في جميع الاديان فانه وصف شامل له  
ومنطبق عليه . . واني أرى الدين المسيحي يتناول في  
اتساعه كل اطوار الحياة واحوالها ثم يعود الى قلوبنا وضمائرنا  
وعندي ان الطريقة المثلى للتأمل فيه هي النظر اليه عن طريق  
سيرة أهل الصلاح في كل زمان ومكان سواء كانوا مسيحيين او  
غير مسيحيين كسقراط وافلاطون ومرقس اوريليوس والقديس  
اوغسطينس او سيرة المسيح او يوحنا بنيان او سبينوزا . فان  
درس تراجم هؤلاء وامثالهم خير معوان على احياء الشعور المسيحي  
«وعندي ان من ينتمي الى كنيسة يجب عليه دائماً ان يجدد  
ويسعى لكي يعيش عيشة تسمو به فوق كنيسته — فوق الوعظ  
وفوق جانب كبير من الصلاة وفوق قانون الايمان وصيغة الرسامة  
والتنظيم والاميال الحزبية والاجتماعية الجمهورية . فالافراد الافاضل  
كانوا دائماً خيراً من الكنائس . هذا وان كنت لا أوافق  
أحد أساتذة الالمان على رأيه في ان الناس لن يصيروا متدينين  
حتى ينقطعوا عن الذهاب الى الكنيسة فاني أرى ان السامعين في  
كل كنيسة يجب عليهم ان يرفعوا نفوسهم فوق صوت الواعظ .

ومستوى فرائض العبادة

« وسأتوقع مجيئك اليّ لكي تعوديني اذا اشتدت وطأة الداء عليّ . ولكني لا أظن ان المرض الذي أعانيه الآن بالغ من الشدة مبلغاً يشغل بال أحد أصدقائي عليّ »

ب . جويت «

وقد توفي هذا الصديق المحبوب سنة ١٨٩٣

وقبل وفاته بسنة اعتراه داء شديد الخطر . واليه أشار في رسالته الاخيرة . وجميع اصدقائه توقعوا وفاته به . وكان قد املى على كاتبته الآنسة نيت رسائل وداع بعث بها الى اصدقائه . فلما وصلتني هذه الرسالة وكنت يومئذ في غلن قلقت أشدّ القلق وعلى الفور أسلت اليه التلغراف الآتي : —

« جويت : كلية باليول في اوكسford

« ارفض قبولها كرسالة وداع

المحبة مرغو )

وكان لهذا التلغراف تأثير<sup>١</sup> سحري فيه . فانه ما أبطل ان فصل من دائه وبعث اليّ بكتاب طويل تمليت تلاوته بلذة لا مزيد عليها

وكان الاستاذ يهتم أشدّ اهتمام بزياراتي له في باليول . وفي احدى هذه الزيارات سألني بجانب أي مدعو آخر افضل الجلوس على مائدة العشاء . فقلت له اني افضل الجلوس بجانب المستر

هكسلي أو اللورد بوين . قال : —

« أروم ان يكون الى جانبك الآخر — الليلة أو غداً —  
صديقي اللورد سلبورن (١) »

مرغو [متعجبة] : « ومتى كان صديقك ؟ كنت أظن انك  
تكرهه وتعاف الاجتماع به »

جويت : « نعم ولكنه الآن صديقي . وارجو ان لا  
أكون قد عتبه بشيء »

مرغو : « لم تقل عنه سوى انه مغرم بالترانيم الدينية وغير  
ميال الى المزاح »

جويت : « اذاً قد تسرعت في اقتراحي . وسيكون مجلسك  
على المائدة بين اللورد بوين والسر الفرد ليل . ومن الغريب انك  
قلت لهكسلي عن ليل انه يذكر كرك احد رجال الحرب الصليبية  
وانه يخفي درعاً تحت ثيابه لان هذا القول نفسه سمعته عنه من  
أختك اللادي ربلسد ايل »

وقد عجبت لهذا لان ذكر السر الفرد ليل لم يرد قط في  
حديثي مع شقيقي شارلوت ولم نكن نعرفه من قبل  
وفي تلك الليلة جلست لتناول العشاء بين السر الفرد ليل

واللورد بوين . ولما فرغنا من تناول الطعام جاءني هكسلي  
فجلسنا نتحدث وافتتحنا الكلام عن الدين

وتعدّى هكسلي حد الاعتدال في كلامه وقال ان الله انما  
وجد لان الناس اعتقدوا وجوده وان قوله تعالى عن نفسه « ابيه  
الذي ابيه » انما كان على سبيل المزاح الخ . الخ . وختم كلامه  
بقوله انه لا يصدق ان واحداً من رجال الجد والعمل كان مسوقاً  
بالهام ديني . وحينئذ استغث باللورد بوين فاسرع الى معوتي  
على خصمي الغيد في هذه المناقشة الخطيرة . ولما جلس بجانبني  
قلت له : —

ان المستر هكسلي يطلب من باب التعجيز ان اذكر له رجل  
جد وعمل كان مدفوعاً اليهما بمجرد الهام ديني

بوين [مبتسماً] : « نعم يجب ان نكون قادرين على اجابة  
طلبه . فأني رجل تذكّرين ؟ »

ولاح لي ان ذاكرتي خانتني . لكنني ما ابطأت ان ذكرت  
على الفور وبلا ترو : « غوردن »

واتفق لحسن الحظ ان هكسلي كان من أشد الناس اعجاباً  
بالجنرال غوردن واحتراماً له . فقال لي : —

« حقاً لقد افحمتني ! »

ثم تحول نحو بوين وقال له : —

« اعلم يا عزيزي بوين ان غوردن كان اشهر رجل لقيته في حياتي . وقد عرفته جيداً . وقد كان شديداً لالاخلاص ومنزها عن

كل غرض ولم يقل شيئاً لم يعتقد صحته »

وفي زيارتي الاخيرة للاستاذ المحت عليه قبل مفارقتي له ان يحدثنني قليلاً عما اختبره في مرضه الاخير . فامسك يدي ورفع نظره اليّ وقال : —

« يجب عليك يا عزيزتي ان تؤمني بالله »



## الفصل الثامن

في ٦ مايو ١٨٨٢ وقع حادث سياسي خطير نشأ عنه هياج في ذلك الحين . الا وهو مقتل المستر برك واللورد فردرك كفنشدش . ولكننا وقتئذ في لندن . وذاع خبر هذه الفاجعة في يوم أحد . واخبرني الفرد لتلتن ان اللادي فردرك كفنشدش سمعت الخبر من رئيس سقاتها اذ دخل الى غرفتها وقال : —  
« طعنوا اللورد بسكين ! »

وما لبث الخبر ان انتشر في اطراف المدينة واصبح الحديث عنه مدار الالسنه وملء الشفاه والافواه ولم يبق أحد لم يستفزع الجناية . والكل اجمعوا على توقع نتائج تجاوز عقاب الجناة وهذه الجناية في فنكس بارك زادت غلادستن رسوخاً في اعتقاده من جهة كون الارلنديين شعباً لم نعرفه كما يجب وانه ينبغي تنشيطه وتشجيعه على تولي حكم نفسه بيده . وكان يرجو ان يتمكن من اقناع زملائه بهذا الامر لكنه اختلف عليه هو والمستر تشمبرلن

وكما اني اسائل نفسي اية نتيجة كنا نشاهد لمؤتمر باريس لو ان بريطانيا العظمى جعلت موضوع عصبة الامم في أول برنامجها بدل وضعه حاشية او ملحقاً له هكذا اسائلها ماذا كان يحدث لو

ان تشمبرلن انحاز الى غلادستن في ذلك الحين . فقد كان غلادستن يومئذ قابضاً على ناصية الحال — كما كان ولسن في مؤتمر باريس — ولم يكن يرجح انه يتراخى . ولو ظلّ الاتفاق سائداً بينه وبين تشمبرلن لما اضطر هذا اخيراً ان ياتقي نفسه في احضان المحافظين وكان مصير منصب رئاسة الوزارة اليه

ولما اعلن المستر غلادستن ميله الى منح ارلنده الاستقلال الاداري هاجت الهيئة الاجتماعية هياجاً شديداً وحمي وطيس الجدل في هذا الموضوع حتى بين اصدقائه المخلصين . ووقع في بيتنا انشقاق بخصوصه وكنتُ انا في جانب المنشقين عنه والساخطين عليه . ولكن الحوادث في ما بعد ارتني اني كنتُ على جانب كبير من الخطأ فيما يتعلق باستقلال ارلند الاداري . . والآن وقد رأينا بعيوننا ولمسنا بايدينا نتائج انكارنا على ارلند الاستقلال الاداري الذي ظلت مدة طويلة مواصلة للمطالبة به فهل يبقى عندنا أقل ريب في انه كان يجب علينا ان نشدّ أزر غلادستن شداً محكماً ونظاهرة على سعيه في حل هذه المشكلة ؟ اما وقد قصرنا كل التقصير في هذا السبيل فان مسألة ارلند لعنة على حياة هذه البلاد السياسية من سنين طويلة

وفي اشهر مايو ويونيو ويوليو من سنة ١٩١٤ اي قبل شوبوب الحرب الكبرى بثلاثة أشهر اتحد الجميع على مقاطعتنا واجتناب الاختلاط بنا لمجرد رغبتنا في حل المسألة الارلندية . وكان حضوري



مع الاصابات — وكانت ابنة سبع عشرة سنة — في أحد المراقص يعدُّ غيضاً لغيري وخطراً عليّ. وكان جميع ارباب الاملاك في ارلند ونصف ارباب الاملاك في انكلترا قد تألبوا واجتمعوا على تأييد السر ادورد كرسن وجيشه وعهده. ولما ذهب فون كهلمان كاتم اسرار السفارة الالمانية الى ارلند — ولم يزرها قبل هذه المرة — كان الارلنديون قد حوّلوا حقوقهم معسكرات ويوتهم مستشفيات وأسّرت نساء الطبقة العليا في اعداد اللقافات والعصابات للجرحى. وبعد رجوعه قال لي انه مقتنع كل الاقتناع مما رآه وسمعه بان الحرب الاهلية قاب قوسين أو أدنى فاجبته : —

« قد يزعم انكثاره وقوعها ولكنه لا يفت في عضدها »  
هذا وان الخرق العظيم الذي ارتكبناه في مسألة ارلند لم يكن لعنة على حياة هذه البلاد السياسية فقط بل على حياتها الاجتماعية أيضاً

ولم اكن قط مدركة مبلغ القوة الاجتماعية التي كانت لي ولا صدقائي في اواخر القرن الماضي حتى تجدد ظهور المسألة الارلندية سنة ١٩١٤

قال لي المستر بلفور مرة انه قبلما انتظم عقد اصدقاؤنا الخصوصي المعروف غالباً باسم « مجمع الارواح » لم يتفق قط لمشاهير رجال السياسة المختلفين في النزعات والاميل ان يجتمعوا بعضهم مع

بعض الا نادراً . الى ان قال : —

« لن يعدّ تاريخ وقتنا هذا كاملاً الا اذا دوّن فيه ما كان لجمع  
الارواح من التأثير في الهيئة الاجتماعية »

والمسألة الارلندية التي اضطربت لها الخواطر في لندن سنة  
١٩١٤ كانت نارها في سنتي ١٨٨٦ و ١٨٨٧ بالغة أعلى درجات  
الإحتدام والاضطرام . ولكن كان بيتنا في غروفنر ستريت  
ومجمع الارواح فيما بعد نادياً يؤمه من شاء من كبار رجال السياسة  
على اختلاف الاحزاب كندولف تشرشل وغلادستن واسكويث  
ومورلي وتشمبرلن وبلفور وروزبري وسلسبري وهردتن  
وهركورت وولي العهد وكل سفير في لندن . فلم تقاطع قط احدّاً  
ولا خطر لنا ان نلهو بازجاج أحدٍ . وكان شعارنا ان نحصر على  
الصداقة الخصوصية ولا نضحي بها في سبيل الاحزاب السياسية .  
هذا الشعار كان مرموقاً في جميع عواصم أوربا بعين الغيرة والحسد .  
وبه اصبحت لندن مركزاً أهم هيئة اجتماعية في العالم وتمهد السبيل  
امام اناس مختلفي الطباع والاعتقادات ان يجتمعوا ويتباحثوا  
بروح الرضى والهوادة . وليس في وقتنا الحاضر في امكان شخص  
أو جماعة ان ينشئوا مجتمعاً على هذا النمط

ففي غروفنر سكوير رقم ٤٠ اجتمع غلادستن واللورد  
رندولف تشرشل . وقد اشتهر ثانيهما بمحملاته الشديدة المنكرة  
على اولهما الشيخ الخطير الجليل حتى زعم الناس كلهم انه يذو

اجتماعهما على مصافاة ومسالمة . ولكن هذا الزعم لم يثني عما عزمت عليه . فدعوتهما لتناول الغداء وكلاهما قبلا الدعوة . ولما التقيا طاب لهما تجاذب الحديث في شؤون مختلفة على ما يرام من المياسرة والمساهلة . وانتشر خبر تناولهما الغداء عندنا في لندن كلها وتواردت عليّ الاسئلة من كل جهة وأخذ التعجب والاستغراب كل مأخذ من جميع السيدات المشتغلات بالسياسة وفي طليعتهن دوقة أوف منشستر . وكلهن اردن ان يعرفن هل في عزم رندولف ان ينضم الى حزب الاحرار . وكنتُ أجيبهنّ عن هذا السؤال جواباً غامضاً يؤخذ منه ان حزبنا خسر المستر تشمبرلن ولكنه سيتعوض رندولف تشرشل

وكانت ادوقة منشستر [ وهي التي صارت فيما بعد دوقة ديفونشير (١) ] آخر من عرفتُ من زعيمات سيدات السياسة في هيئة لندن الاجتماعية . ولم يكن سرُّ قوتها ونفوذها منحصراً في سمو منزلتها ورفعة مقامها — لان كثيرات غيرها غنيات وعظيمات وذكيات ولهنّ افخم القصور — بل في مرونة طبعها ودقة انتقادها ورقة شعورها وقوة تمييزها وشدة حرصها على العدل والانصاف . وكانت مستودعاً أميناً لاسرار غيرها كما

---

(١) لانها اقترنت بالمركيز هرتن الذي صار فيما بعد دوق

لاسرارها الخصوصية . وقد اضافت الى جسارتها الفائقة وبساتها  
المتناهية كرم النفس وحنو القلب . وقد سمعتها باذني توبخ ضيوفها  
وتسخر بهم من ولي العهد الى رئيس الوزارة  
سألتها يوماً عن رأيها في سيدة شهيرة ازعجتنا كلنا بشدة  
غطرستها وغرورها وغلاظتها فاجابتني « ان شدة كرهى لها تحول  
دون صلاحيتي للحكم عليها »

وحدث بعد هذا الوقت بعدة سنين انها تناولت العشاء عندنا  
ثم خلت بي للمحادثة . وفي أثناء الكلام التفتت اليّ وقالت : —  
« اني ارى بيننا يا مرغو مشابهة شديدة »

وكنْتُ ارى انه يتعذر وجود شخصين يختلفان احدهما عن  
الآخر اختلافاً أشدّ مما كان بيني وبين دوقه ديفونشير — اديباً  
وطبيعياً وعقلياً — ولذلك سألتها عن وجه الشبه بيننا فاجابت : —  
« كلتانا مقترنة بملاك . فعند ما يتوفى الله هرتن يذهب رأساً  
الى السماء » — [رافعة ابهامها الى ما فوق رأسها] — « وهكذا  
المستر اسكويث . اما اللورد سلسبري فليس كذلك » [خافضة  
أصبعها الى ارض الغرفة]

وفي أحد أيام سنة ١٩٠١ كنتُ أنا وزوجي نازلين عندها .  
وكان هناك عدد كبير من الزائرين وبينهم ارثر بلفور وتشمبرلن  
وقبل نزولنا الى غرفة الطعام لتناول العشاء دخل زوجي هنري  
الى غرفة النوم المعدة لي وقال انه جاءه تلغراف ينبئ ان الملكة

فكتوريا مريضة جداً . وطلب الي ان اكتم هذا الخبز ولا ابوح  
 بسره لاحد . وبعد الفراغ من تناول العشاء طلبت الي " حفيدتا  
 الدوقة وهما اللادي الدرا واللادي ماري اتشسن ان اشاركهما في  
 لعبة « البلاشت (١) » فاجبت طلبهما ووضعت يدي على اللوح  
 وأملت اذني الى سماع ما كانت الدوقة تقوله وانا خالية الدهن .  
 وبعد ما كتبت أنا واللاعبات معي بضعة أسطر ممحوة مطموسة  
 نزعنا احداها الورقة عن اللوح وقرأت بصوت جهير : —

« الملكة تموت . فاية ملكة هذه؟ »

فاحطنا كلنا بها ونظرنا الى الكتابة الهيروغليفية وقرأت

منها : —

« الملكة تموت »

ولو اننا نحن الثلاث اجتمعنا معاً وقضينا الليل كله سعيّاً في  
 كتابة هذه الجملة لما امكننا ذلك

ولقد اختبرت بنفسى عدة حوادث عرضت لي من قبيل تراسل  
 الافكار والمنابات الخفية الاثر . ومع شدة تخطئتي لمن ينكرونها  
 لا ارى فيها ما يصح نسبته الى الدين اكثر مما الى التفراف  
 اللاسلكي . بل اني اعجب لاناس يلتمسون لا نفسهم عزاء بما  
 يصغون له في جلسات يخيم عليها الظلام الحالك

حضرتُ يوماً انا وشقيقتي لورا احدى هذه الجلسات في غرفة مظلمة حسب العادة . وكانت الوسيطة مدام بلافتسكي وهي يهودية روسية . وكانت الغرفة غاصة بالحضور ومعظمهم من السيدات . واذ لم اجد كرسيّاً خالياً بالقرب منها جلست على مقعد بجانب الشباك . وبعد ما فرغنا من تناول الشاي نظرنا اليها فرأيناها تتنهد وتضطرب وترتعد ارتعاداً هاج خواطرها كلنا . ولما سألناها عن اسباب هذا الاضطراب المفاجيء قالت : —

« مرّ قاتل تحت شباييكننا »

فأخذ الرعب مأخذاً عظيماً من اكثر السيدات الحاضرات فسألنها بلجاجة واحترام كيف عرفت ذلك ؟ وبماذا شعرت ؟ وهل نظرت القاتل ؟ وهل تعرفه اذا رأته ؟ واذا عرفته فهل يطاوعها ضميرها ان لا تسلمه الى الحكومة ؟ . واقترحت احدى السيدات ان نسرع كلنا في الذهاب الى اقرب مركز للبوليس قائلة ان حادثة كهذه ان امكن اثباتها تقني عن كثير من الوسائط المستخدمة لتبديد سحب الشكوك في مناجاة الارواح . واذ كنتُ اقرب الجميع الى الشباك اطللت منه ونظرت الى الشارع متقصية باحثه عن القاتل ولكنني لم ار اثرّاً لشخص ما على الاطلاق

واتضح اخيراً ان مدام بلافتسكي مخادعة وقحة

والآن أعود الى الكلام على زيارتنا لدوقة ديفونشير فاقول

ان مضيفنا الدوق ديفونشير نفسه كان رجلاً منقطع النظر .

وحقاً انه نسيج وحده وفريد عصره ولا يمكن ان يكون غرسه  
الزكي قد نبت في غير تربة انكلترة . فقد أوتي حكمة لا حد لها  
وحرية ليس فيها أقل أثر لسلطة اهواء نفسه عليه وصدقاً منزهاً عن  
شوائب الخوف وابعاء تقياً من كدر الخسة والدناءة

لما زار انكلترة المستر بريان الخطيب والسياسي الاميركي  
المعروف وسمع هدير مدافعا الصحة — اعني خطب كبار  
رجالنا — كروربري وتشمبرلن واسكويث وغيرهم سأله بعضهم  
عن رأيه فيهم . فقال اما امثال تشرلي في اميركا فكثيرون وفي  
وسمها ان تنحب لطير روربري او اسكويث . اما هرتن —  
يريد دوق ديفولشير — فليس في الامكان ان يوجد له ثان

وكان الدوق والدوقة اعظم من عرفتهم في صباي من قادة  
السياسة وزعماء الهيئة الاجتماعية بعد البرنس والبرنسس اوف  
ويلس [الملك ادوارد والملكة الكسندرة فيما بعد]

وقد اتصح لي ان الموت كان اعظم شيء تخافه الدوقة ولذلك  
كانت تتطير من مشاهدة مواك الجارات وتعد ملاقة مركبة  
الموتى في الطريق من اكبر علامات الشؤم . ولما حادثها مرة في  
هذا الموضوع قال لي : —

« اتعين يا عيرتي انك لا تتالين بالموت ؟ اداً قولي لي بماذا  
تشعري من جهته » . فاحتها بكل احلاص اني لا ادعي عدم  
المبالاة بالموت وهو اهم شيء اعني به ولكسي لا اخافه . وادا



مستور علاء دسین





اتفق اني لقيت في طريقي مركبة موتى او مركب جنازة وقفت لها  
او مررت بها غير مكترثة ولا مبالية

ولما سألتني يوماً ما هو أعظم شيء يلذ لي الاهتمام به بعد الصيد  
قلت لها هو البحث في الشؤون السياسية وزدت على ذلك قولي  
لها اني طالما تنبأت باني سأقترن برئيس وزارة وأعيدش بين كبار  
رجال السياسة . فسر لها كلامي هذا الى الغاية

وأول من ضاقنا من مشاهير رجال السياسة في ايام حدائتي  
المستر تشمبرلن والسر تشارلس ذلك . وكنا فيما بعد عند ما ألفنا  
« مجمع الارواح » نتساءل فيما بيننا من ياترى يحوز قصب السبق  
على غيره في ميدان السياسة ؟ اجورج كرزن أم جورج وندهام  
ام هري كست ؟ وهكذا كان الناس في تلك الايام السالفة يتساءلون  
من جهة تشمبرلن وذلك اما انا فكنت على حداثة سني لا ارى  
أقل صعوبة للجزم من أول وهلة بان تشمبرلن يسبق « ذلك »  
وكثيرين غيره . ومن الخطأ الفاضح ان غلادستن لم يوسع له  
محلا في وزارته سنة ١٨٨٦

لم ينجح المستر تشمبرلن نفسه قط . وهذا اعظم ما يمكن ان  
يقال عن بعض مشاهير رجال السياسة في تلك الايام وكان . من  
حيث الذكاء وفصاحة اللسان وبلاغة الحجة بالغاً مبلغاً لم يستطع  
ذلك ان يدانيه فيه . وقد أتيح لي ان سمعتهما كليهما يخطبان  
فوجدت الفرق بينهما عظيماً جداً . نعم ان ابي اعجب بالسر تشارلس  
٩ اسكويث

ذلك اعجابه بكل من كان غلادستن راضياً عنه ومظاهراً له . ولما  
زارنا هذه المرة في غلن بالغ في اكرام وفادته والترحيب به .  
وبعد ما سمعته يتكلم ساعات متوالية بلا انقطاع قلت لشقيقي  
لورا : —

« قد يكون المعيا شديد الذكاء ولكن كلامه جافٌ ليس  
فيه قطرة من ندى الرقة والنضارة . واقواله كثيرة القشر قليلة  
اللب . فلو كان حصاناً لما اشتريته ! »

وقد وافقت لورا على كلامي هذا كل الموافقة  
وفي مساء اليوم التالي لقي ضيفنا الكريم لورا في الدار  
فقال لها : —

« ان قبّلتني اعطيتك صورتني موقعا عليها بامضائي »  
فاجابته : — اشكر لك ذلك أيها السر تشارلس . ولكني  
ارفض قبول ما عرضته عليّ اذ انه لا حاجة لي بالصورة على الاطلاق »  
. . . . .

كان المستر غلادستن اعظم سياسي في عصره وأهم رجل كثر  
عدد الراضين عنه والساخطين عليه  
وبعد ما رجعت من زيارتي الاولى له في هواردن بعث اليّ  
بمقطوعة بليغة نظمها موشحاً التزم فيه قافية اسمي [مرغو] ونوّه  
بي فيها أعظم تسويه وأشار اليّ بابدع الاستعارات واجمل التشابيه.  
وكان تاريخها ١٧ ديسمبر ١٨٨٩ . وبعد اطلاعي عليها كتبتُ

إليه في التاريخ نفسه ما يأتي : —

« الى الاجل الاعز المستر غلادستن

« طالعتُ الساعة ايباتك الشائقة الرائقة فاسكرني رحيق  
بلاغتها . وخب لبى سحر بيانها واذا بدأتُ بالشكر لك والثناء  
عليك وجب ان تنتهي الحياة قبلما ابلغ نهاية الشكر والثناء .  
انك العزيز الغالي في عيون محبيك وقلوب مريديك . وقد يتعذر  
عليّ ان اُصدق انك تكون غداً ابن ثمانين سنة . لكنني اود  
الافتكار في ذلك لانه يُتيح لمعظم الناس فرصة التأمل في الحياة  
وكيف يجب ان يحيوها من غير ان يقضوها »

« وما من بركة أو سعادة الا تمنيتُ من صميم فؤادي شمولك  
بها وحصولك عليها

« واني بملء المحبة والاخلاص ابقى صديقتك المحبة

مرغو تذنت »

وقد وجدت بين اوراقى يومية قديمة وصفت فيها اجتماعي  
بالمستر غلادستن بعد وفاة شقيقتي لورا قلت فيها : —

« يوم السبت الواقع في ٢٩ مايو سنة ١٨٨٦ زارنا المستر  
غلادستن وعقيلته في غروفنر سكوير رقم ٤٠ . فرحبنا كلنا بهما  
حسن ترحيب وبالغنا في اكرامهما . وبعد الغداء خلوت بالمستر  
غلادستن في مقصورتى لاني كنتُ في أشد اشتياق للتمتع بلذة  
حاديثه ولم اجتمع به منذ وفاة اختي لورا

« وفي اثناء حديثنا عن لورا سألتني هل كانت تتكلم عن الموت ؟ فاجبته : — نعم . وقد كتبت عنه كتاباً تدل على انها على انها لم تستخف به ولكنها لم تخف منه . ثم اطلعت على بعض الصلوات التي كتبها عفو القريحة بلا ترسل ولا تعمل . فاطال تأمله فيها بخشية واهتمام لا مزيد عليهما ثم قال لي : —

« قل من يصعب عليه الايقان بان مخلوقة نادرة كاختك ناعمة الآن ببركة الله ومجده في السماء ،

« ثم صعدت الينا عقيلته ودار الحديث بيننا على انتقاد لورنس اوليفنت لعادة زيارة قبور الاحباء والاعزاء . فصوبت عقيلته الانتقاد وشددت النكير على هذه العادة . اما هو فخالفها في ذلك بقوله : —

« ينبغي للمرء ان ينشط الى التماس العزاء بما يمكنه الحصول عليه من التذكارات المحسوسة . ومن المحقق عندي ان في زيارة الرموس عبرة وذكري للنفوس ،

« ثم جاء أبي وامي ونزلنا كلنا لنتناول الشاي . وكانت هذه الزيارة قد روحت نفسه وجددت نساظه وراحته ولو وقتاً قصيراً من مناق اعماله وتكاليف جهاده السياسي المتواصل فطابت نفسه وارتاحت الى الكلام فطفق يتحدثنا عن امور مختلفة كلها مما يشوق استماعه ويلذ اجتناؤه . ومما قاله لنا انه آسف جداً لاسف على اضاعة فرصة التعرف بالسر ولترسكوت والدكتور ارنو

« ولما اراد الرجوع الى دونن ستريت ذهبتُ به في مركبتي  
وسرنا حول الحديقة الى نيتسبردج وهو يشنف أذني ويطيب  
نفسه بالاماليح والنوادر والمباحث الجامعة بين الجد والهزل .  
وكان من وقت الى آخر يُسرُّ ويطرب بما اقصه عليه من النكات  
التي يخطر لها سياق الكلام ببالي . وقد اضحكه على الخصوص  
ما ذكرته له عن اللورد كبرلي لما كان حاكم آرلند . فانه جاءه  
يوماً كتاب هذا نصه : —

« سنتعمد غداً قتلك أيها اللورد في عطفة كلدر ستريت .  
وزوم ان تعلم انه ليس في عملنا هذا شيء ضدك انت شخصياً ،  
« وهنا انتقل على سبيل الاستطراد الى الكلام عن ذكاء  
الارلندي ونشاطه وحسن صفاته فهاجني ذلك وقلت معترضة ان  
الارلندي كنود ينكر الجميل وجوح يطمح الى غير غرض .  
فاجابني قائلاً ان روح الدفاع عن النفس يخلق اخس الرذائل  
حتى في اشرف الامم . والارلنديون من جيل الى جيل يدب في  
عروقهم كره الحكومة الانكليزية . الى ان قال : —

« ان المحافظين بلا رجاء ولا ايمان . فترين افضل رجالهم  
شديدي الاحتفاظ بمصلحة الطبقات وروح قدم العهد . وهذا  
الامر الاخير قد نسي ذكره ولم يبق سوى مصلحة الطبقات . كان  
دزرائيلي ( اللورد بيكونسفيلد ) زعيماً كبيراً للمحافظين . ويسوءني

ان ارى البعض يزعمون ان رندولف تشرشل جدير بان يكون خليفة له . لانه يعوزه كثير من النبوغ والصبر وبعد النظر وغيره مما كان دزرائيلي معروفاً به ،

« ولما انتهى بنا المسير الى رقم ١٠ في دونن ستريت اوقفتُ المركبة فخرج المستر غلادستن والتفت اليّ رافعاً برنيطته بيده وشعره الابيض يعوج على جبهته وردائه الاسود مرخي على كتفيه وقال لي بارق لهجة والطف نعمة انه «سر» جداً بنزهته في مركبتيّ! ويرجو ان تسنح له مثل هذه الفرصة مرة أخرى وان لهجة صوتيّ! وطريقة حديثيّ تذكّرانه باختي لورا . وكان محياه من شياً بسحابة القلق والاهتمام . فودعته ورجعتُ ادراجيّ وعيناي مغرورتان بالدموع »

جلس زوجي يوماً محدثني عما يعرفه من ميل غلادستن الى النكات! والمفاكهات فقصّ عليّ الحادثة الآتية قال : —

« حدث في أثناء عرض لائحة استقلال ارلند الاداري في فصل التثام مجلس النواب سنة ١٨٩٣ اني جلست بجانب المستر غلادستن في صدر مجلس الامة المختص باعضاء الوزارة ولم يكن منهم احدٌ غيرنا كلينا . وكان مطبقاً عينيه بعض الاطباء وهو موجه كل انتباهه الى المناقشة الدائرة في المجلس عن سلطة البرلمان . ثم التفت اليّ بفتة وعلى وجهه سياء النشاط والانتعاش وقال : —

« هل خطر قط ببالك ان تعلم من هو اسمج رجل في حزب المعارضين ؟ »

اسكويث : « نعم . وهو بلاريب ك . ( مسمياً رجلاً سياسياً مشهوراً وكان هندياً انكليزياً الاصل )

« غلادستن : « اخطأت . فان ك . سمج كما قلت ولكن ي . اسمج منه ( مسمياً أحد مستشاري الملكة في ذلك العهد )

« اسكويث : « ولماذا هذا التفضيل ؟ »

« غلادستن : « ذلك يتضح لك اذا تصورت امكان تكبير حجمهما الى اقصى حد يستطيع فتجد سماجة ك . لائحة امامك كأنها تتضاءل وتصغر . وأمائي . فكلما كبرت حجمه زاد خسة ولثماً ، »

• • • • •

عرفتُ سبعة من رؤساء الوزارات وهم غلادستن وسلسبري وروزبري وكبل بنرمن وارثر بلفور واسكويث ولويدجورج وكلّ منهم يختلف عن غيره في شيء . وسألت ارثر بلفور يوماً هل من اختلاف ذي شأن بينه وبين خاله ؟ وبعد ما وصفت خاله على قدر ما أعرفه عن سعة معارفه وحسن تدينه وشدة ميله الى المفاكة والمزاح قال : —

« الفرق بيننا انه هو محافظ وانا من حزب الاحرار »

وكان المرحوم اللورد سلسبري يعجبني منه رقة احاديثه



وبلاغة خطبه . وكان يخيل اليّ انه قادر على الدوام ان يفوقي  
في نباهة الشأن وسرعة الخاطر من حيث لا أدري . وقد سألتني  
يوماً عن رأي زوجي في ابنه هيو كخطيب او متكلم في مجلس  
النواب فاجبته : —

« لا اقول لك لانك لا تعرف شيئاً عن زوجي فلا تقدر  
رأيه قدره . ثم انك أيها اللورد سلسبري لا تعرف شيئاً عن مجلس  
نوابنا . وبالأمر قلت على مسمع الجمهور انك لم تنظر بارنل قط »  
فقال مشيراً الى صدرته : « ان جسمي اضخم من ان يسمعه  
احد المقاعد الضيقة في رواق الاعيان في مجلس النواب ! واطنك  
لم تنصفي في حكمك عليّ من جهة زوجك . لاني كنت في طليعة  
المتنبئين بان امام المستر اسكويت مستقبلاً باهراً . لاني لا ارى  
نداً له بين ابناء جيله بل بين من هم دونه سناً . والآن افلاتشفين  
نفسى وتبرئين سقمها فتقول لي ما رأيه في ابني هيو ؟ »

حينئذ قلت له ان زوجي يعدّ اللورد هيو سسل ابرخ متكلم  
في مجلس النواب وفي غيره فاستطرد سائلاً : —  
« اترينه يظل على رأيه ماذا اذا سمعه يتكلم على غير  
مواضيع الكنيسة ؟ »

فاجبته : « ثق يا حضرة اللورد ان اسكويت سمع ابنك  
يخطب في شؤون مختلفة ولم يتغير قط رأيه فيه »  
ثم سألته : « هل سمعت المستر تشمبرلن يتكلم » ( وكان

تشمبرلن حينئذ وزير المستعمرات )

سلسبري : « اتسأليني سؤالاً كهذا وقد سمعته يتكلم بعد ظهر اليوم ؟ »

مرغو : « أين سمعته ؟ وعمّ تكلم ؟ »

سلسبري : « سمعته في غروفنر هوس . وقد تكلم عن .. ؟  
عن .. ؟ ( متفكراً ) . عن الفسالات الاوستراليات أو عن شيء آخر كهذا »

مرغو : « وما رأيك فيه ؟ »

سلسبري : « اظنه وفي الموضوع حقه من الكلام »

مرغو : « افلا تظن الناس يبغضون المستر تشمبرلن الآن كما كانوا يبغضون غلادستن ؟ »

سلسبري : « ان بينهما فرقاً عظيماً . ان كان بعض الناس قد ابغضوا المستر غلادستن فان الذين احبوه كانوا كثيرين جداً .  
أما المستر تشمبرلن فهل يحبه أحد ؟ »

وقد زارني يوماً بعد ما دار بيننا هذا الحديث ومعه صورة موقعا عليها بخط يده . ولما كنتُ من حزب الاحرار فقد استنكرت موضوع حماية التجارة الوطنية الذي عرضه المستر رتشي الذي كان حينئذ وكيل خزانة الدولة واضعاً ضريبة على الحبوب . وكان حزب المحافظين وزعيمهم المستر بلفور رئيس الوزارة في ذلك الحين لا يحسنون التصرف من هذا القبيل .

فافتتحتُ حديثي معه عن ابن أخته وعن المسألة المالية وسألته : —  
 « الا توجس على انكثرة خوفاً من خطر قبولها لمبدأ  
 حماية التجارة ؟ »

سلسبري : « كلا البتة ! نعم سنرى على الدوام بعض الحمقى  
 يؤيدون هذا المبدأ . ولكن الغلبة ستكون لاصار حرية التجارة  
 وهل رأيت قط رجلاً فيناً مشهوداً له باصالة الرأي وهو من  
 القائلين بحماية التجارة

مرغو : « لم افكر في هذا من قبل . ولكن الرجل الوحيد  
 الذي يخطر ذكره ببالي في هذه الدقيقة هو اللورد ملنر

سلسبري : « نعم ولكن على كل حال لا يحسن بك ان نقاقي  
 على حرية التجارة في هذه البلاد لان فوزها على حماية التجارة  
 محقق لا محالة . ولن يكون هذا منشأ الخوف في المستقبل »  
 مرغو : « اذاً ممتخاف : »

سلسبري : « ان الصعوبة التي اتوقع حصولها في المستقبل  
 انما هي مسأله مجلس الاعيان »

مرغو ( بدهشة وريب ) : « اني يا عزيزي اللورد سلسبري  
 سمعتُ كثيراً عن محاسن الاعيان في حياتي كلها ! وليس من يعنى  
 باصلاح حالته السيئة . فلماذا تنبئُ عنه بانه سيكون منشأ  
 قلق وتعب ؟ »

سلسبري : « لعلك تتهميني بالغرور . ولكن ثقي بانه لا خوف

على مجلس الاعيان من هذا القبيل ما دمت فيه لاني خير باعضائه  
كلهم . . انما الخوف كل الخوف لعددهابي منه . فحينئذ يشجر  
الخلاف ويشدد الخصام بينه وبين مجلس النواب «

مرغو : « كان يجب عليك ان تصلح شأنه وتقوم طريقه !  
ويخيل اليّ انك مسؤول عن حالته الراهنة ! »

ساسبري (باسماً) : « ربما كان الامر كما ذكرت . ولكن  
ماذا تظنين في موضوع الخلاف في المستقبل . وعن أي شيء  
سوف يختصمون ؟ »

مرغو : « اذا صح ما قلته لي من جهة تعدد قيام حماية  
التجارة فني رايي ان الخصام القادم سيكون عن كنيسة انكلترا  
لان حالتها على غير ما يرام »

وبعدما بحثنا ملياً في موضوع الكنيسة نهض وقال : —

« ينبغي ان اذهب . ولن اراك فيما بعد »

وقد آنت في صوته شيئاً رابني . فنظرت اليه مضطربة  
وسألته ثم يشكو فاجابني انه عازم على الذهاب الى الريف . ولم  
اره قط بعد ذلك . ولما بلغني نعيه أسفت كل الاسف على ان  
فرص اجتماعي به لم تكن اكثر مما كانت



# الفصل التاسع

وكانت معرفتي باللورد روزبري تفوق معرفتي للمستتر  
غلاستون واللورد سلسبري

وفي ايام حدائتي ذهبت امي بنا الى فندق توماس في بركلي  
سكوير حيث اقنا مدة اخذت فيها دروس رقص على الاستاذ  
الشهير المسيو المسيو دغفل . فأنشأت في هذه الدروس روح  
الجسارة والاقدام وقال لي استاذي اني بلغت من البراعة في الفن  
مبغاً يمكنني اذا شئت من تحصيل اسباب معيشتي باتخاذ حرفة  
لي وبعد عشر سنوات تأيدت شهادته هذه من مصدر أعلى —  
من لندن « كايث فوغن » الراقصة الشهيرة في المسرح المعروف  
باسم « غايي تياترو »

وقد تعرفت بها على الوجه الآتي :

كان لي شغف شديد بفن التمثيل . فبدأ لي ان استعين بصديقتي  
الآنسة « أني شلتر » — التي هي الآن من شهيرات الممثلات —  
ونترك كلتنا في تمثيل احدي روايات مولير في حفلة خيرية .  
واتفق ان كوكلين الاصغر ابرع ممثل لروايات مولير كان حينئذ  
يمثل في لندن فوعد ان يدريني على تمثيل الفصل « الدور » المعين  
لي في الرواية وزاد على ذلك ان تبرع باعارة فرقته كلها لنستعين

بها على التمثيل فاخذتُ عليه اثني عشر درساً وكابدتُ عناءً شديداً في سبيل اتقان العمل . ونسرتُ ابي سروراً لا مزيد عليه بما قاله له كوكلين عني حتى انه ابتاع نسخة قديمة من روايات مولير وطلب اليّ ان اهديها الى كوكلين . فابي قبولها وكتب اليّ في ذلك يقول : —

« عزيزتي مرغو الصغيرة

« اني مستاء جداً منك وغير راض عنك . لاني كصديق قبلتُ ان ادربك قليلاً على بعض أمور في هذه الرواية . فلماذا لم تعامليني أنت أيضاً كصديق ؟ وعلى مَ ارسلتِ اليّ هذه الهدية النفيسة ؟ . لم يكن قط من داع اليها . لان جميع كتب مولير عندي . ولا يسوغ لك ان ترسلي شيئاً ولا شبه شيء الى صديقك كوك . واني سأبذل جهدي في ان اراك اليوم ان استطعتُ . نوبي عني بتقديم شكري لصديقتك مارلون . وقولي لها انها هي أيضاً غير مديونة لي بشيء . وعنددي ان قليلاً من الشعور بالجميل افضل من انفس الهدايا واكرم التحب . فلنحرص كلانا على الاحتفاظ بذكرى الوقت الفصير الذي اجتمعنا فيه على أحسن ما يرام . هذه الذكري تلدُّ لي كثيراً فاذا وفيها انت حقها من الرعاية عددتُ ذلك اكبر وفاء منك للمخلص كوك »

وتولى كوكلين بنفسه ادارة المسرح وتمثيل الفصل المهم في الرواية . ولما انتهى التمثيل وارخي الستار أخذ الحضور يتوقعون

بفروغ صبر ظهور « كاي ت فوغن » لتمثيل فصل رقص قصير يدعى  
« درس الرقص » وهو اجل فصل رقص انفرادي شاهده في  
حياتي . وكنتُ حينئذ وحدي في المسرح . فزعمت انه لا يستطيع  
أحد ان يراني . فنزعتُ طوق مولير الحرير المرصع بالازهار  
وظفقت اخطر في تنورتي المزركشة على نفمة الموسيقى الشائقة  
واذا بي اسمع صوت صارخ بلهجة اهل لندن من جناح المسرح : —  
« عجباً ! كيف تستطيعين الرقص ؟ قولي لي من علمك ؟ »  
فالتفتُ فرأيتُ كاي ت فوغن الحسنة وهي بارزة في مطرف  
حريري اسود ضافي الذيل وعلى رأسها قبعة صغيرة سوداء لها  
ذوابة من نخل متدلّية على شكل قوس فوق احدى اذنيها وهي  
حاسرة عن عنقها وذراعيها . ثم قالت لي : —

« اراك قادرة ان تنوبي غني عند الحاجة بكل سهولة ! واذا  
تقصك شيء فاني في وقت قصير أطلعك عليه وامكنك من  
معرفته والتضلع منه وحينئذ تستطيعين ان تنوبي غني وتمثلي جميع  
فصولي « ادواري » كلما حال مانع من الموانع دون حضوري »  
ثم اوضحت مرادها بقولها اني اذا قبلتُ اقتراحها ورشحت  
نفسي للنيابة عنها جمعتُ من ذلك ثروة كبيرة . وقد دهشتُ لما  
علمت انها ظننتني من الساعيات في اتخاذ هذا الفن حرفة لهن .  
ولكنها فاقنتني دهشة وتمجباً لما اخبرتها بانني لم اتلق قط في حياتي  
درساً في الرقص التمثيلي

ولما مرضت معلمتي اعطتني كتاب توصية الى استاذها في  
الرقص الميسو دوبان فدرست عليه عدة سنوات  
وفي ذات يوم رجعت من درس الرقص الى فندق توماس  
فوجدت ابي يحادث اللورد روزبري . ف اشار اليّ ابي بالخروج .  
وبعد ما قبلته وصافحت ضيفه فادرت الغرفة . وفيما انا اغلق الباب  
سمعت اللورد يقول له : —

« ان ابنتك جميلة العينين »

ولما صعدت الى حيث كان الباقون من أهل البيت أعدت  
على مسمعهم ما قاله اللورد بملء السرور وبعض الافتخار . فاذا  
بهم موافقون على وصفه لولا ان يزين عيني التصاقاً يزيد قليلا عن  
القدر اللازم . فأخذت مرآة ونظرت فيها ورأيت نفسي مضطربة  
ان اسلم بصحة قولهم

وسألت ابي بعد ذلك عن اللورد روزبري فقال : —  
« انه أشد الشبان حصافة وذكاءً . ولا بد ان يتقلد منصب  
رأسه الوزراء يوماً ما »

برى الله اللورد روزبري مزداناً باكثر المزايا الطبيعية .  
فقد كان بهي المبسم وضاح الحيا رقيق اللهجة عليه سيماء النفوذ  
والسيادة . ولما كان في جامعة اوكسفورد كان كثيراً ما يلهو عن  
دروسه بالاهتمام بالسباق فيعاقب على ذلك بالطرد من المدرسة  
— وفي هذا العقاب شاركه فيما بعد لاسباب مختلفة سيامي آخر



شهير هو المعروف الآن باسم الفيكونت غراي — ولكن لم يستطع أحد ان ينكر عليه انه كان عند ما عرفته مثال الجسد والاجتهاد ونموذج الاستنارة والتهديب. وقد هلّ هلال شهرته عند ما رأس الاجتماعات السياسية التي عقدها المستر غلادستون للبحث في بعض المسائل المتعلقة بسكوتلند. واصبح من ذلك الحين معشوق السكوتلنديين. وكنت كلما اشتدت زحام الجماهير في غلاسكو او ايدنبرغ أو في محطة احدهما وسألت عن سببه لا اسمع الا جواباً واحداً وهو :

« روزبري ! »

وعندي ان اللورد روزبري لو لم يكن غنياً بهذا المقدار لكان اسعد حالا واعم بالا . وأرى في كتاب العهد القديم افراطاً كبيراً لتقدير قيمة الغنى فالرجل الصالح الناجح تكثر مواشيه وزوجاته وقروده وعنازه وطواويسه بخلاف العهد الجديد فان المسيح يسير بنوع آخر من الكمال ويعد بثواب يختلف كل الاختلاف عن الثواب الموعود للصالحين في العهد القديم . لا يدين ربّ الثروة . ولا يعنفه على غناه . ولكنه يوضح له ان كثرة مقننياته تحول دون سعيه في الحصول على ملكوت السموات وانه خير له ان يبيعها كلها . ويختم مشورته هذه الحكمة البالغة : —

« ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ »

وقد كان للورد روزبري من شدة رقة الشعور ودقة الادراك

ما عاقه عن التمتع بالسعادة الحقيقية . ولما تقلد زمام الحكم كان حزب الاحرار في اسوأ حال . فاذا اضفنا الى هذا ما كان ممتازاً به من رقة الشعور علمنا مبلغ الجهاد العظيم الذي خاض غماره وتحمل اعباءه . وذهب بعضهم انه نابغة مصاب بداء دقة الشعور وسرعة التأثر وحب العزلة والانعزال . وذهب بعضهم انه صعب المراس مع اصدقائه وشديد الوطأة على اعدائه . ولعل الصواب في انه مزيج مما ذهب اليه الفريقان

وقال لي عن اللورد سلسبري انه كان ابلغ خطيب سمعه . وحقاً انه كان متفرداً بهذه الموهبة . وكثيراً ما زارنا في غلن في ايام صباي فكنا كلنا نحتفي به احتفاءً يقرب من العبادة

هذا وكانت بعض الصحف الخاملة الذكرك قد اشاعت ان اللورد كان عازماً على الاقتراح . فافضت هذه الاشاعة الى فنور صداقتنا في السنين التالية . وقد احفظه هذا الخبر وكان من رأيه انه يجب عليّ ان ابادر الى تكذيبه حالة كوني لم اسمع به الا عند ما كنت في القاهرة . فجاءني كتاب من سيدة في باريس تطالب اليّ ان اختصها بشرف اعداد جهازني . ولا اعلم ماذا عرض لي بعد ذلك حتى نسيت هذا الموضوع نسياناً تاماً الى ان لقيت اللورد يوماً في لندن فاستقبلني استقبالا جافاً اثر فيّ اشدّ تأثير . وبعد بضعة اشهر اشاعت صحافتنا الرزينة العاقلة اني سأقترن بالمستر ارثر بلنور . ولما كنت قد انقطعت عن الاجتماع باللورد روزبري

لانه كان في هذا الوقت ملازما العزلة والانفراد بداعي الحداد  
 وتودت الاستغناء عنه ولكنني لم اطق الافتكار في احتمال  
 خسارة صداقة ارثر بلفور لاني كنتُ أعدُّ خسارة صداقته ،  
 لايسهل تعويضه . على انه لم يكن بي حاجة للخوف من هذا  
 القبيل لان المستر بلفور قاما كان يحفل بثروة الجمهور  
 وهذيان الصحافة

وكان خصما اللورد روزبري وهما السروليم هركورت والسر  
 هنري كبل بنرمن يختلفان أحدهما عن الآخر كل الاختلاف  
 اما السروليم فكان يجب ان يعيش في القرن الثامن عشر .  
 فمن امثلة مزاحه قوله لي يوما ان النساء يجب ان يعاملن كالسمك  
 فمن يصطاد سمكة يحتال على رفعها ثم بعد ذلك يحطها . هكذا يجب  
 ان تعامل النساء . وقد كان على جانب عظيم من سرعة الخاطر  
 وكرم النفس وكان في ايام حدائه صعب القيادة شديد التحامل  
 متوقد الذهن كثير اللغط حنون القلب

ولما انشق حزبنا بسبب حرب اليوير وكنا نحن في جانب  
 المعارضين واصبح القول « الطرق الوحشية » ملء الالسنه  
 والافواه كان اصدقائي الخوصيون في أشد حالات الهياج  
 والاضطراب وكان اللورد سبنسر في ذلك الحين يصحبني راكبا  
 معي كل صباح تقريبا . فكان يشكو اليّ بلهجة الاسف من  
 الخطة التي اتخذها زوجي . وقال ان في انفصال زوجي عن

المسلمين الممالئين للبوير خطراً على مستقبله وخاف ان انصار  
هركورت يقاطعوننا ولن يكلمونا. ولما كنت أودُّ آل هركورت  
ولاسيما ابنهم لولو [ وهو الان الفيكونت هركورت ] وزوجته  
وهما لا يزالان من اصدقاءى الاعزاء فان اذار سبنسر ازعجني  
وحدث اننا دُعينا ذات ليلة لتناول العشاء عند السر هنري كبل  
بزم من. وكان السر هركورت وقرينته من جملة المدعوين. ولم تسنح  
بفرصة الدنو من أحدهما قبل العشاء. فلما فرغنا من تناول  
لطعام وخرج الرجال من غرفة المائدة اختصر السر وليم طريقه  
ليّ وجلس بجانبى واخذ يديّ بين كلتا يديه وقال : —

« لا يهمنك يا صديقتي العزيزة الصغيرة شيء من المنازعات  
لحاصلة الآن. فالاجتماعات الجارية مساء عند اسكويث وبعد  
لظهر عند روزبري كلها ستنقضي. لكن رجلك سيكون  
جل المستقبل !

وكان ذلك منه لطفاً يفوق الوصف. ولما استقال غلادستن  
ندّ اللورد مورلي وزوجي وغيرهما ازر اللورد روزبري .  
لو انهم نصروا السر وليم هركورت لكان من المحقق انه صار  
ئيس الوزراء

. . . . .

كانت معرفتي بالسر هنري كبل بزم من بسيطة جداً. ولكننا  
كنّا كلما التقينا نسترسل في الاخذ بالمطايبات السامية والمفاكهات

المضحكة . وكان مطبوعاً على الميل الى المزح والطرب وخفة الروح  
ومعاشرة الناس . وحدث في وليمة غداء رسمية أقيمت لاحد  
سفراء الدول ان كبل برمن القى خطبة بليغة باللغة الفرنسية  
التي كان يعرفها جيداً فوصف ارثر بلفور الذي كان جالساً بجانبه  
بانه ولد السياسة الانكليزية المدلل ووصف تشمبرلن الذي كان  
أيضاً في الولىمة بانه ولد مخوف

ولما افتتح البرلمان في اليوم الرابع عشر من شهر فبراير  
سنة ١٩٠٥ القى خطبة نفيسة جمعت بين كثير من الهزل المبطن  
بالجد . وكان ذلك في ابان اشتداد الخلاف على المسألة المالية التي  
قضت بعود الاحرار الى الوزارة بعد الانتخاب العام الاول  
والثاني . ومما قاله في خطبته ان ارثر بلفور « اشبه بقائد اصدر  
امره لرجاله بالهجوم ثم وجدهم يهاجمون بعضهم بعضاً » ولما بلغ  
بلفور هذا الكلام هز كتفيه وقال : « ما حيلتي اذا لم يفهموا ووامري  
وعلى رغم النزاع الذي وقع في حزب الاحرار وانشقاق زوجي  
وغراي وهلداين تقلد كبل برمن رئاسة الوزارة سنة ١٩٠٥

ولما ركب الى دونن ستريت لاح للعيون متعباً منهوك القوى  
لان زوجته كانت مريضة من وقت طويل وكان يتحمل اشد العناء  
في تمريرها والسهر عليها . وزاد على ذلك تحمل عبء منصبه  
الجديد والسهر كل ليلة الى ساعات متأخرة في مجلس النواب .  
هذا كله اضناه وضاعف وهن عزيمته وخور قواه فاضطر ان

يتخلى عن جانب كبير من عمله ويمهد به الى زوجي

وفي مساء يوم استدعى زوجي اليه في دونن ستريت رقم ١٠  
وابلغه انه مشرف على الموت وشكر له كل ما عمله لاجله  
ولاسيما عناؤه الشديد في وضع دستور جنوب افريقيا . ثم التفت  
اليه وقال له

« انك يا اسكويث تختلف كثيراً عن الآخرين . ويسرني جداً  
اني عرفتك . . . . فليباركك الله ! »  
وبعد بضع ساعات قضى نحيبه

. . . . .

والآن انتقل الى الكلام عن رئيس وزارة آخر وهو ار ربلفور  
لما كان اللورد مورلي يكتب ترجمة غلادستن قال لي ارثر  
ربلفور — :

« ان رأيت جون مورلي فبلغه سلامي وأوصيه نائبة غني  
بان يتشجع وليندفع ما شاء في الكلام بلا تحذر ولا تبصر »  
« من يقدم على كتابة ترجمة يجب عليه ان يطيل الكلام فيها  
ويجتنب الاختصار سواء كان ذلك في مدح صاحب الترجمة أو في  
ذمه . ولا فرق بين من يكتب ترجمة غيره ومن يكتب ترجمة نفسه  
فعند ما تروم ان تكتب ترجمة عن نفسك تدون فيها سيرتك  
وسيرة غيرك من الاحياء ينبغي لك ان تمسك شجاعتك بكلتا  
يديك . وكنت عازمة ان اجعل هذه الجملة « سيان شنقت في

نمجة او في خروف « شعاراً لكتابي هذا ولكنني عدلتُ عنها  
لما اذاعها اصدقائي وتناقلتها الصحف

فان كنتُ قد اثبتُ في كتابي هذا شيئاً يسوء صديقاً او  
عدواً فاتي أحيله على المعروف والمشهور من طبعي واطلب اليه ان  
يحامكني بموجبه . لم احاول قط ان احقد على أحد ولا تعمدت  
جرح شعور أحد في حياتي . اما في هذا الكتاب فالواجب يقضي  
عليّ ان ادوّن كل ما يبدو لي بلا خوف ولا محاباة غير متوخية  
مراعاة شيء سوى الحق الصريح الجليّ

فارثر بلفور لم يكن قط من حملة اعلام الشهرة ولا متفوقا في  
سلامة الذوق وحسن التناول . وكان مطبوعاً على المياسرة  
والملاينة . وكان عند المتوسطين في المعرفة لغزاً يصعب حله —  
كان يصعب عليك ان تعرفه ولكن يسهل عليك ان تحبه . قد  
يقال انه يتعذر على المتوسط في المعرفة ان يقف على حقيقة امر  
واحد من رؤساء الوزارات . ولكن كثيرين منا لقوا غرباء فاستجلوا  
افكارهم واطلمعوا على خفايا امورهم بلا معرفة ولا عناء . كما ان  
بعضنا وجدوا بعد الاختبار المدهش المحزن ان اصدقاءهم الذين  
عرفوهم سنين طويلة ووثقوا بهم واعتمدوا عليهم صاروا اخيراً  
غرباء عنهم

صعب عليّ ان افهم بلفور لاني لم اتحقق قط انه احتاج اليّ  
ولم يسهل عليّ ان اعرفه معرفة حقيقية لانه كان منفصلاً انفصالا

يتعذر الاتصال به . وغاية ما استطاع كثيرون من ان يعرفوه عنه  
انه كان يعني بنا عناية الانسان بساعة او اناء خزف

وقد كان — لحسن حظه أو لسوء بخته — فتاناً وسريع  
الخطاير . وكان عنده من قوة الفتون أو اعجاب الناس واستمالتهم  
اليه مبلغ لم يُفقه فيه قط أحد ممن عرفتهم سوى جون مورلي .  
فكان يجلس لمحدثه جلسة الممتاز بمعرفة آداب الاجتماع ويبيدي  
انتباهاً شائقاً وتأملًا دقيقاً خلافاً واستيعاباً جميلاً جذاباً فلم يكن  
منصتاً متملقاً فقط بل كان جليساً سهل عليه جذب غيره اليه  
ويتعذر انقياده على غيره . اما ضرر موهبة الفتون فلانها تستميل  
كل واحد الى تمهيد السبيل امام صاحبها طول مدة حياته ولذلك  
قلت انها كانت فيه لحسن حظه أو لسوء بخته . وكما ان الخادمة  
الامينة المجتهدة تحرص دائماً على نظافة البيت ونفض الغبار عن  
اثاثه ورياشه هكذا كان اصدقاء بلفور كلهم يواظبون على ازالة  
كل عائق من طريقه وبهذه الوسيلة اراحوه من عناء الاهتمام  
بامور كثيرة ووسعوا له مجال التفرغ من الاعمال اكثر مما يجب  
ان يكون

اما سرعة خاطره التي قلت انها كانت أيضاً لحسن حظه او  
سوء بخته فقد اولته ثقة غيره بما عنده من البدائه والمرئيات  
وما له من قوة التأييد لكل رأي في كل موضوع — سواء  
اعتقد صحة ذلك الرأي أو لا — مدعياً استصوابه واستحسانه



حسب رغبته في التخلص منك أو من الموضوع . وهذا التخلص  
 اما ان يكون قد تذرع اليه بما عنده من آداب السلوك أو انه  
 ناله عن طريقة المراوغة والاحتيال . وذلك ما جعل فهمه متعذرا  
 على الرجل المتوسط في المعرفة وعظم ذنبه في عين المتعصب وصيره  
 الهاً عند المغالط الكثير الهفوات

اما ما اعجبني منه فبق كل شيء فلم يكن فتونه ولا سرعة  
 خاطره ولا تضلعه من الشؤون السياسية بل كتاباته وتديُّنه

وكل من يطالع كتبه بعين التدبر والتأمل يجد أن إيمانه بالله  
 كان منشأ حركاته وسكناته في حياته . وقد اظهر فيها شغفاً من  
 هذا القبيل لم يخف على أحد من قارئها وكانت تأملاته الدينية  
 أهم الاشياء كافة عنده . وهذا ما سوغ له بعض التردد في المباحث  
 السياسية والشؤون الاجتماعية

وكانت أمه اللادي بلانش بلفور وهي شقيقة المرحوم اللورد  
 سلسبري ربة جاه ونفوذ وذات تقوى وصلاح . وقد تلوت سيرة  
 حياتها في كتيب وضعه عنها المرحوم المستر روبرتسن قسيس  
 وتهاجم فشاقي جداً ما عرفته عن صحة تدينها وصدق إيمانها .  
 وليتني استطيع ان اعلم كم في هذا الجيل من النساء والرجال الذين  
 لهم أمهات متدينات . اظنهم مهما يكثرُوا فهم أقل جداً من بنات

جيلي وابنائہ . اما أم زوجي وام المستر مكننا وام اللورد هالدين  
فقد كنّ سديدات الدين والتعب

وفيا يلي احدى صلوات اللادي بلاش بلغور التي كتبتها وهي  
ابنة ست وعشرين سنة : —

« من مخاطر التدقيق في علم ما وراء المادة ومن التأمل الباطل  
في أهـال الشر — اللهم نجني

« من صعوبة المراس وشكاسة الطبع والميل الى التهم  
والاستهزاء جميع نقائص السلوك وعيوب التصرف ومن  
الكلمات والاعمال التي بسببي يفترى بها على صلاحك —  
اللهم انقذني

« علمني واجباتي لمن هم فوقي ومساوون لي ودوني . هب  
لي رقة القلب وحنو النفس وحسن السلوك . واعني على  
الاهتمام حتى بطفائف شؤون الآخرين وعودني ان اتحقق  
حالتهم وشعورهم

« هب لي نعمة لكي استودع اولادي محبتك وعنايتك  
وسلامك الذي يفوق كل فهم . علمني كيف احسن استخدام  
تفوازي ولا سيما في اولادي وخدي لكي يمكنني ان اعطي  
حسابا عنه وعن كل وزنة أخرى بفرح وسرور ولكي استطيع

ان ابشر تهذيب اولادي الديني بالمحبة والحكمة اللتين من فوقه  
 « كتبتها اللادي بلانش بلفور سنة ١٨٥١ »

• • • • •

اما عن الاثنين الباقيين من رؤساء الوزارة فلا يستطيع ان  
 اكتب حالة كوني اعرف الناس بهما . لاني لا اقدر على اخفاء  
 شعوري من نحوهما . وسيبقى اسم كل منهما مكللا باعقد والبها  
 من غير تعرضي لتهمة محاباتهم أو التحزب لهما



## الفصل العاشر

لم يلم أحد قط لماذا أطلق عليّ وعلى اصدقائي الاخصاء « مجمع الارواح ». وقد سبقت فأشرت الى نشأة مجمعا . وكانت فرص اللقاء تسنح اكثر مما لو بقيت اختي لورا التلتون حية لاننا لحدادنا عليها انقطعنا عن الاجتماعات العامة . ولكن لماذا دعينا « مجمع الارواح » ؟ لا أعلم

وكان الكبراء — المعروفون في ذلك الحين باسم « الطبقة النابهة » — يلتفون حول البرنس ( اوف ويلس ) ولي العهد الذي صار فيما بعد الملك ادورد السابع متخذين نيومركت مركزا لهم . ولما ذهبت الى نيومركت وكان ذلك المرة الاولى والاخيرة استقبلني القوم استقبالا شعرت فيه بانني اشبه بغريبة عنهم

وكان المستر بلفور قبلة الانظار في مجمع الارواح وهو اشهر اعضائه ومرمى عصي الشغف في كل طبقة من طبقات الهيئة الاجتماعية . وكان شبان طبقتي كلهم تقريبا من الاذكياء الذين اشتهروا فيما بعد . اما الفتيات فان لم يمتزن بالذكاء فقد كن ممتازات بكونهن اقل اهتماما بالامور الدنيوية من معاصراتهن من « الطبقة النابهة » . وكثيرات منهن كن من حيث صلاح السيرة وجمال المنظر جديرات بان تمد الايدي اليهن وتقع العيون عليهن

وأهم ما يلذ لي تذكره الآن عند ما اردد في ذهني حوادث تلك السنين العشر ما كان كل منا يذخره للآخر من صفاء المودة وصدق الولاء وصحة الاخلاص وما تمتعنا به كلنا من السرور الصادر عن صداقتنا الحقيقية. وهذه الامور كلها لم نكن نرجو دوامها اسبوعاً واحداً لو شأها شيء من الهذر والفضول أو الاستهزاء أو الحقارة الشخصية . وكان لاكثرنا من عمق الشعور والطموح الادبي والديني ما لا اثر له على الاطلاق عند الطبقة الذكية من شبان وشابات هذه الايام . فكنا بعد ظهر كل يوم نلهو بتسليات والعاب اتنع للصحة وافيد للعقل مما يلهو به هؤلاء الآن . وعادة « نشر الاخبار » مثلاً كانت من التسليات الشائعة بين الفتيات والفتيان قبل الحرب . وذلك بان يتفق شخصان على تسقط الاخبار ثم ينقلان الى جمهور الحاضرين نبأ وفاة صديق أو نسيب باساليب مختلفة . وكانوا يعدون ذلك من البراعة والتفوق في ضروب المزاح . لكنه لم يكن قط ليروق أو يحلو لواحد من أعضاء مجمع «الارواح» . ومما يغيظني ولا اطيع احتماله عادة مستفيضة في هذه الايام وهي اقتفاء آثار البسطاء واكتشاف ما فيهم من بواعث الهزل والسخرية واذاعته على وجه يحط شأنهم ويعبت بكرامتهم . فاللوزعية أو نباهة الشأن — آية كانت — قد تجمع الناس للهو وترويح النفس . ولكن عمر شملهم المجتمع قصير جداً

وكان اللورد كرزن — ارل كرزن اوف كدلستن — كالستر  
 بلفور قبله الانظار و اليه كان مرجع الفضل الاكبر في تأليف  
 مجمع الارواح

كان فتى مشهوراً ببراعة اليراع و بلاغة اللسان و معروفاً بأمنه  
 و بشاشته في عيشته البيتية و شدة بسالته في حياته الاجتماعية .  
 و قد لقب بالمغرور . و هو لقب كانوا يطلقونه في تلك الايام على  
 كل فتى توسموا فيه مخايل التفوق في الذكاء و كان بعض اصدقائي  
 يزعمون ان معاضديه في مجلس النواب و هما جورج و ندهام  
 و هري كست سوف يحرزان قصب السبق عليه لان اولهما اجمع  
 لادلة الحصافة و ثانيهما أشد تبجراً في العلوم و المعارف . اما انا  
 فقد طالما قلت — و دونت ذلك في يومياتي الاولى — ان جورج  
 كرزن سوف يزاقرانه و يفوز على جميع منافسيه . لانه كان  
 يمتاز بمزيتين — فرط اجتهاده و شدة اعتماده على نفسه . و كان  
 فوق هذا و ذاك سليماً من داء الانبعاث في الذات . فكان معتدلاً  
 في اكله و شربه و تدخينه — غير مفرط ولا مفرط في شيء

و لم يكن له مشبه في شدة مرونته و سهولة انتقاله من العمل  
 الى اللهو . و كان اكبر مضياف و خير جليس لا يمل حديثه .  
 و قد اختصني انا و ذوي قرباي بمحبة صادقة مدة سنين طويلة  
 حتى اني لو مت الآن فمع انه ينتمي الى حزب شديد المحافظة  
 على التقاليد و يجتنب الاختلاط بمن يخالفونه في المبادئ السياسية

لا يتأخر عن رثائي وتأبيني

وفي هذا الوقت الذي أدون حوادثه اعتلت صحة جورج كرزن وحتم اليه أطباؤه بوجوب الذهاب الى سويسرى . فجزعنا جداً واجتمعنا لوداعه في مأدبة عشاء أعدها لنا في «نادي العزاب» يوم ١٠ يوليو سنة ١٨٨٩ ولما دخلنا غرفة الطعام وجدنا قصيدة بليغة من نظمه رحب فيها بنا ونوه باسم كل منا ووضع على كل كرسي من كراسي المدعوين نسخة منها وكان عددنا ٣٥ وكانت مأدبة جورج وقصيدته المشهورتان مبعث شيء كثير من المزاح والحوار والغيرة والاستغراب ومنشأ مناقشات لانهاية لها . وهذه المأدبة تلاها بعد سنتين مأدبة عشاء أخرى أدها جورج لمدعوي المأدبة الاولى انفسهم في اليوم التاسع من شهر يوليو سنة ١٨٩١<sup>٥</sup>

وقد ساء تكرارها أهل غرب لندن واستهدفتُ بسببه لقدح عنيف وطعن شديد فمن ذلك اني كنت يوماً جالسة لتناول العشاء مع السرستانلي واللادي كلارك بقصد الاجتماع بالملك جورج الذي كان ولي العهد في ذلك الحين . فقالت لي مضيفتي بصوت عال رنّ من أول المائدة الى آخرها : —

« ينبغي ان لا يبرح من بالاك أيتها الأنسة تننت انه كان في العالم بعض من ربات الحصافة والذكاء قبلما ولدت ! »  
فاجبتها على الفور وقد شعرت بآلم اللذع والقرص : —

« ليس من الاوصاف أيتها اللادي كلارك أن تحمل انا وحدي  
تبعة الاغبياء الذين نعاشرهم اليوم . »

قلتُ هذا غير متعمدة شيئاً من الخشونة والفظاظة ولكن  
عذري اني كنتُ حينئذ صغيرة السن وقائلة الاحتمال  
واني احياءً لذكري الوليمة الاولى وحرصاً على فائدة اولادي  
سأجهد ان أثبت في ما يلي وصفاً وجيزاً لكل من أعضاء « مجمع  
الارواح » المذكورة اسمائهم في القصيدة ولبعض اصدقائي الذين  
لم تذكر اسماءهم فيها

فالسر الدجرنن وست كاتم اسرار غلادستن والمستر غودفري  
وب كلاهما احبا أختي لورا وظلا يكاتبانها الى يوم وفاتها . وكانا  
يمضيان كل أيام عطلتهما في « غلن » واولهما — وقد ناهز  
التسعين — لا يزال متمتعاً بصحة الشباب ورونقه وهو من  
صميم الاحرار . لم يكن قط عضواً في مجمع الارواح لكنه كان  
من أعز اصدقائنا القدماء

وكان غودفري وب اكبر أعضاء مجمع الارواح . وكانت  
صداقته لي ولوالدي ولاخوتي واخواتي محكمة العرى وثيقة  
الارتباط . وكان علي جانب عظيم من توقد الذهن وسرعة الخمار  
ودقة الملاحظة . واذا انتقد كان انتقاده مزيجاً من الدهاء والرفق .  
ومن امثلة سرعة خاطره وجودة قريحته انه طالع يوماً في احدي  
الصحف وهو جالس في غرفة الطعام في غلن ان رجلاً كان جائئاً



على ركبتيه يتصلي وعند نهوضه من مجشاه سقط وكسر ساقه .  
فكتب على الفور ما ترجمته : —

« على ركبتيه خرّ لله ساجداً ليطلب فيض العون من بحر فضله .  
ففاجأه ابليس وانقض رائغاً عليه بضرب كاسر ساق رجله .  
وكان يقضي ايام عطلته كلها في غلى . ولا اذكر انه غاب  
عنا في واحد من اجتماعاتنا التي نقيمها كل سنة تذكاراً لوفاة  
لورا . فقد كان رجلاً في مليون وقل من وجدته يدانيه في مصاء  
الذهب وشدة الذكاء . ففي كل يوم اذكره شاعرة بوحشة فراقه  
والاورد مدلتين المعروف باسم ست حون برودريك كان  
أول صديق عرفته ولدت لي معاشرته . وكان ذلك قبلما لقيت  
ارثر بلفور وغيره من اعضاء مجمع الارواح بستين وقد زارنا  
في غلى يوم كان مقبلاً عند بعض حيرانا

ومنذ وقت غير طويل بعثت اليه بتلغراف هنأته فيه برتبة  
« ارل » وطلت اليه ان يخبرني في أية سنة جاء أول مرة الى غلى  
فاجابني بما يأتي : —

« في ١٢ يناير سنة ١٩٢٠ »

« عزيزي مرغو »

أشكر لك من صميم فؤادي تهنتك التي عظمت قيمتها عدى  
لاسباب كثيرة اهمها ان الرتب والالقاب الاسمية التي ليس لها  
شأن كبير عندك وعد قرينك الذي منح كثيراً منها واني قبول



مستر وائرد لب



شيء منها لنفسه. وحقاً ان قلة اكثر انكما لها من اكبر العلامات  
الدالة على روح الديمقراطية فيكما ولا يفوق هذه العلامة ظهوراً  
سوى محبتكما للجميع بني البشر وذودكما عن الانسانية ووقوفكما  
على الدوام في جانب الضعفاء الذين لا نصير لهم . وقد سرّني جداً  
انك اخترت نزول قراءة مسودات مذكراتك لانه معروف بالبراعة  
وهو خير من يصح الاعتماد عليه من هذا القبيل

« اما زيارتي الاولى لغلن فكانت في شهر اكتوبر سنة ١٨٨٠  
حين كنت ابنة ست عشرة سنة يوم لحّت بيننا أنت وشقيقتك  
لورا كما تلوح الشهب الشواقب ممزقة حجب الغياهب . وكنت  
منذئذ الى الآن مجلى الولاء والاخلاص لصديقتاتك واصدقائك  
غير ناسية أحداً منهم في اثناء ارتقائك السريع الى يفاع الشهرة  
واليك طمحت انظار الجميع على اختلاف الاحزاب والطبقات  
» ان سيرتك في سني حياتك الاولى كفيلة باعظم رواج لكتابك  
بارك الله فيك وانجح مسعاك  
« سنت جون »

وكان سنت جون موثناً من فالة الصدق النادرين . فبعض  
الناس لا يكذبون ولكنهم لا يقولون الصدق . وبعضهم يكذبون  
لانهم كثيرو المجاملة أو شديدو الخوف . ومعظم الناس واقفون  
من هذا القبيل موقف الحياء أو عدم الاكترات . فهم يشاهدون  
ما يعرض عليهم من مناظر الحياة ولا يشعرون باهم مسؤولون  
عن أنفسهم أو عن جيرانهم

وكان من نخبة المخلصين القليلي العدد. وهذا الاخلاص الشديد انشأ فيه شجاعة أدبية طالما مكنته من اطلاعي على العيوب التي رأينا كلانا انه يمكن اصلاحها قبل الافضاء بها الى غيرنا من الاصدقاء الاخفاء . وهذا كان شأنه مع غيري من الذين أحبهم . ولقد اختبرت الاصدقاء الاخفاء اختباراً طويلاً لم انقطع في اثناؤه عن تذكر المثل الاسباني القائل : « لاتنس أن لصديقك صديقاً » . وعندي انك اذا حضرت مجلساً سمعت فيه اهانة من تحبهم على طريق الوقعة والاغتياب فأما ان تغادره في الحال أو أن توقف المتكلمين عند حدهم ولو كانوا من اصدقائك . وقد أراني الاختبار ان هذا التصرف الصريح الشريف تنقل وطأته على معاشر الاصدقاء وبه خسرت صداقة كثيرين منهم . ومع هذا كله بقيت متمسكة برأيي الذي وافقني سنت جون عليه وهو ان الاخلاص الحقيقي لا يجوز لك الاشتراك في تعريض صديق للضحك والاستهزاء لوجود عيب أو خلل فيه

وارثر بلفور نفسه وهو أكثر الناس حرصاً على صيت أصدقائه وأشدهم سعيًا في اصلاحهم قال مرة على سبيل المزاح : « ان لسنت جون اخلاصاً لذاعاً اتبع لنا من ظاننا » ومراده أن سنت جون غير منفصل عن أصدقائه الاتصال الشائع بين كثيرين منهم بل هو شديد الاتصال وحريص على تنبيه كل منهم على حدة الى عيبه لكي يصلحه ويأمن التعرض للذم والظمن . وعندي

اننا ما دُمنّا مسؤولين عن أعمالنا لا من رجال البوليس فقط بل من غيرهم أيضاً يجب علينا أن نسعى جهداً في مساعدة من نحبهم ولما تعين سنت جون وزيراً للحرية استهدف لكثير من المطاعن الحادة ولكنه تلقاها كلها بلا شكوى ولا ملام . لانه كان معروفاً بشدة ضبره وشجاعته وشعوره بالواجب عليه . وهذه الامور الثلاثة بوأته مكاناً رفيعاً في قلوب الناس اغناه عن الاهتمام باستعطاف رجال الصحافة

وكان اللورد بمبروك (١) وجورج وندهام أشد أعضاء « مجمع الأرواح » كياسة وظرفاً . أما بمبروك فهو ابن سدني هربرت الذي كان وزير الحرية في أيام حرب القرم . وقد لقّيته أول مرة قبل ظهوري في الهيئة الاجتماعية بسنة . وتفصيل ذلك ان اللادي واطر فورد صديقة اللورد كتشنر وشقيقة دوق بوفور كتبت يوماً الى والدتي تسألها هل تأذن لاختي لورا في تناول العشاء عندها لتسد فراغاً على المائدة حصل برفض احدى المدعوات الحضور في آخر ساعة . وكانت لورا يومئذ متغيبه عن البيت فأرسلتني امي عوضاً عنها . فجلست بجانب المستر بلفور وكان اللورد بمبروك على الجانب الآخر . واذكر جيداً اني ثملت بما أبديته من البراعة في الحديث على أسلوب استمال ارثر بلفور

وجورج بمبروك الى مشاركتي فيه من غير أن أعرف شيئاً عن ذلك الغريب النبيه الشأن الجالس بجانبى . وقد قال لي فيما بعد انه ارسل في اثناء العشاء يسأل بلانش واتفورد عن اسم الفتاة ذات الحذاء الاحمر الكعبين وانه لما اطلع في جوابها على الاسم « مرغو تننت » لم يزد علماً بصاحبته . وكان ذلك في سنة ١٨٨١ والورد بمبروك واحد من أربعة رجال كانوا اجل من شاهدتهم في حياتي . والثلاثة الباقون هم - كما سبقت وذكرت - المرحوم ارل اوف ويمس والمستر وفرد بلنت - الذي نُشرت مذكراته مؤخراً - والورد دابرنون (١)

كان طول جورج بمبروك ست أقدام و ٤ بوصات . وكان جمال طلعتة أبعث على النظر وادعى الى الالتفات من طول قامته . وفي اسرته شيء من الدم الروسي . وهو أكبر اخوة اللادي ريبون (٢) التي كانت من ربات الحسن والجمال

ومما قاله لي في اثناء ذلك العشاء انه يعرف دزرائيلي جيداً وقد وعدد أن يقلده أحد المناصب الصغرى في وزارته . ولكن اعتلال صحته حال دون قبوله له . وقد وثقتُ معه عرى الصداقة وظللنا نكتب أحداً الآخر الى ان توفاه الله بعد زواجي بسنوات قليلة

---

(١) سفيرنا في برلين

(٢) المرحومة قرينة المركز ريبون في الوقت الحاضر

ولست أرى الآن على الإطلاق مشبهاً للمرحوم جورج بمبروك .  
فانه أحرز من توقد الذهن وسلامة الذوق وحسن التناول وسعة  
المعارف وحسن التدرب على الالعب الرياضية . وجمال الصورة  
واضافة الغرباء ما جعله قبلة أنظار جميع الذين عرفوه . وكانت  
أول هدية أهداها اليّ ترجمة الاودسيا (١) وقد كتب عليها :  
« الى مرغو التي تذكرني أيام هوميرس ١٨٨٤ » . وآخر هدية منه  
كانت هدية زواجه وهي حجر الماس على شكل خنجر اعلقه  
دائماً على صدري

ومن انسيادات أعضاء « مجمع الارواح » اللواتي اشار اليهن  
اللورد كرز في قصيدته وكنّ على الخصوص موضوع الاعجاب  
وقبله الانظار ملي سذرلند (٢) واللادي ونسور (٣) واللادي  
غراني (٤) . وكانت اللادي برونلو (٥) شقيقة اللادي بمبروك من  
المشهورات بالجمال في عهد الملكة فكتوريا . واللادي غلادس  
ريبون (٦) من كبيرات سيدات البلاط . وكانت اللادي ونسور

- 
- (١) اسم قصيدة شهيرة لهوميرس (٢) دوقة سذرلند الارملة  
(٣) كونتس اوف بليموث في الوقت الحاضر (٤) دوقة رتلند  
في الوقت الحاضر (٥) كونتس برونلو التي ماتت منذ بضع سنوات  
(٦) صديقتي لادي غراي



متفردة على الخصوص بشدة براعتها في كشف الخفيات وتسكين  
العواصف وايضاح المجهولات. ولذلك شغقت بها شغفاً لا يوصف  
منذ مارأيتها أول مرة

ومنهن الأنسة بتي مونغومري ابنة السر هنري بونسي  
كأتم أسرار الملكة فكتوريا المشهور الذي كان من أكبر رجال  
حزب الاحرار عزيمة وأشدهم دفاعاً عن هذا الحزب. وكانت بتي  
واختها مانغي واسطة التعارف بيني وبين اللادي دسبورو التي  
كانت تفوقنا كلنا حدقا وبراعة. وكانت اسلمنا ذوقاً وادقنا  
شعوراً. يضاف الى ذلك ما كان لها من سرعة الخاطر والمقدرة على  
الجبه أي ملاقة الغير بما يكره. لم تكن من ربات الفنون فلم تبد  
ارتياحاً الى الموسيقى والفناء والتصوير. ولم تكن مقامة ولا  
من المتدربات على الالعب الرياضية. ولا من السيدات اللواتي  
كن يشتركن في التسلية المصطلح عايتها في الاجتماعات البيتية.  
ومع هذا كله كانت اقدر السيدات على ادخال الفرح والسرور  
الى قلوب الحضور ويمكنني أن أقول عنها انها كانت أصدق الناس  
ولاءً واصفاً مودة. وهي الشخص الوحيد الذي لجأت اليه عند  
ما شعرت بشيء كدر صفاء عيشي وسأظل أفعل ذلك كلما حوجتني  
الضرورة. لان لها براءة نادرة المثال في الحصول على ادراك  
عميق خارق يبلغ صميم القلب الانساني ومعه عزم راسخ وطيد  
على تسكين عاصفة الغم وكبح جماح الشقاء. وقد تزوجها

ولي غرقل (١) وهو رجل كان لي به اتصال شديد وقد بلغ من المهارة في التجذيف مبلغاً لم يفقه فيه أحد قط

أما عن ابنيهما الجنديين جوليان وبلي فلا أستطيع ان اكتب شيئاً لانهما قُتلا في الحرب مع أصدقائهما ادورد هونر وتشارلس لستر وريموند اسكويث • ان اخيلتهم لا تبرح مترددة الى قلبي • واني لأراهم الآن نصب عيني مواظبين على حراسة الشباب والرجولية وكانت آتي دسبورو شديدة الميل الى المسرات وايلام الاولائم ومع هذا كله كنت أراها تنعم بالآ وتغليب نفسها اذا خلت بأهل بيتها أو انفردت في غرفتها لا يؤسها غير كتبها وأوراقها وكنت اذهب اليها اذا اعتراني غم أو حزن • ولكني لم افعل ذلك قط متى كنت مذنبه • هذا وكثيراً ما نتساءل قائلين الى من نذهب عند ما نرتكب اثماً أو نفعل شراً ؟ والمهم في هذا السؤال اننا في الجواب عنه نقف على افضل ايضاح ممكن للطبيعة البشرية • فمن قائل أو قائلة لي جواباً عن هذا السؤال « اني اذهب الى فلان أو فلانة حيث اجد من يفهم تجربتي فيعذرني عليها » أو « أعدو كالطائر الى فلان أو فلانة حيث انال تعزية وسلوانا » • ولكن معظم الناس يختارون من يؤتمن على الاسرار وهو أهل لان يدل على طريق النجاة • وآتي دسبورو كانت دائماً امينة على الاسرار وقادرة ان تدل على طريق النجاة من الاخطار

وكانت لطيفة أي مات أبواها فرباها صديقي الخالدا الذكر  
الطيبا الاثر المرحومان اللورد واللاادي كوبر وكانا من نخبة أعضاء  
« مجمع الارواح » النابيين المشهورين. وقد شبت على صحة ضمنت  
لها شباباً دائماً ونشاطاً ملازماً

وكنْتُ اذا اضطرتُّ لاعتلال صحي أو لسبب آخر ان  
انفصل عن اولادي في حدائتهم استودعهم محبة آتي ووليّ  
دسبورو وعنايتهما بثقة واطمئنان لا مزيد عليهما

• • • • •

وكانت ماري ويمس ( ١ ) شريكة غاي ونسور ( ٢ ) في أعظم  
امتياز نالتاه كلتاهما بين فريق النساء في مجمع الارواح . فقد كانت  
من المبرورات بالفطنة والاستقامة والصدق والذكاء والاحسان  
الى الفقراء . وكانت مبعث ابتهاج ومسرة لقلوبنا ونفوسنا . على  
انه كان ينقصها كثير من قوة النفوذ والاثير لانه لم يكن في بنيتها  
ومزاجها استعداد كاف لمعالجة طوائف الامور وصغار الحوادث  
في هذه الحياة ولا يخفي ان النظام أو الترتيب ضروري لافكار المرء  
كما لعاداته . ومثل ماري من هذا التبيل مثل مائدة كتابة جميلة  
عليها دواة أنيقة ولكن لا ورق معها أو عليها ورق ولكن لا أقلام .  
هكذا ماري كثيراً ما كانت في لندن ولكن قل من استطاع ان

يمجدها ومتى وجدتها رأيت جانباً كبيراً من نسيج كلامها الجميل مخلوطاً بتفاسير ومشاريع تتعلق بالزمان والمكان والحالة التي يمكنك ان تلقاها فيها مرة اخرى . وكثيراً من مازى الناس يلهون بوضع المشاريع والخطط عن حقيقة التناسق أو التناسب ويقضون جانباً كبيراً من وقتهم باطلاً في صفار الامور وبسائطها ولكن اذا أعوزتها ملكة ترتيب الوقت ولم تستطيع ان تفرز منه جانباً كافياً للاجتماع بنا فقد كانت مزدانة بصفات اخرى اعظم شأنها مما كان عند غيرها من النساء اللواتي عرفتهن وتوشك ان تكون المرأة الوحيدة التي استطيع الحكم بتنزهها عن النزق وصغر النفس . وقد كنت ولا ازال شديدة الاعجاب بافكارها الثاقبة واراتها السائبة في جميع الامور العقلية والادبية والاجتماعية ويصح أن يقال عنها انها كانت بعيدة عن الخسائس والمبتذلات .

. . . . .

وكانت اللادي هورنر أقرب اليّ والصق بي من كل من عرفت من غير أسرتي . لقيتها وهي بعد فتاة - الآنسة غراهام - وكنتُ ومئذ ابنة اربع عشرة سنة فشاقي جداً ما توسمته فيها من نبالة الطلعة ونباهة الشأن . وقليلات هن النساء اللواتي عرفتهن وكنّ مثل اللادي هورنر في صلاح القلب وذكاء العقل وحسن الاخلاق . كثيرات منهنّ كان ميلهنّ الى القدح يتغلب فيهن على الميل الى المدح وينقصهن شيء كثير من جلال الاخلاق وعظمة الصفات .

أما اللادي هورتر فقد جأها الله بكل ما يزين بنات جنسي من هذا القبيل

ولا يضاح مانشأ عن مجمع الارواح من الغيرة وتضارب الافكار رأيت ان أنشر فيما يلي خلاصة الحديث الذي دار في هذا الوقت بيني وبين اللادي لوندندري (١)

كانت هذه السيدة جميلة الطلعة كثيرة البشر شجاعة شديدة العنف شديدة التشبث بما يبدو لها من ظواهر الامور ومع ما في طبعها من الخنو وفرط التسرع والان دفاع لم يكن عندها روح الصفح والنفو . قالت لي يوماً بلهجة الانفة والكبرياء : —

« ان صداقتي حلوة المساغ لكن عداوتي مُمرّة المذاق . فلا أُؤخذ يا عزيزتي بالملك والتملق ولا أُغرى بيد تصافحني أو بفهم يقبلني ! » تعنى انها صديقة صالحة وعدو رديئة

ولم ازل من ذلك الحين الى الآن أسأل ولا أجد مجيباً عن الفرق بين عدو صالح وعدو رديء

لم يكن لهذه السيدة من توقد الذهن ما كان للادي دي غراي . وكان بينهما منافسة شديدة . على ان اللادي لوندندري كانت أقوى ارادة واصح مزاجاً . وكان ذكاؤها ونشاطها مقرونين بالعتوّ والخشونة

ومما أتهمنا به أننا في غرور فنهرف بما لا نعرف وتتكلم عن كتب لم نطالعها قط . وتلك عادة لم يبلغ بي الطيش مبلغ الأخذ بها والجري عايتها . وكان جون ادتن سيموندس قد نشر كتاباً جمع فيه مقالاته فلم تهج لها الخواطر ولا اتجهت اليها الا نظار لاها لم تكن غاية في الجودة ولا جاوزت حد المألوف في ما يطبع وينشر

وفي ذات ليلة ضمنا مجلس مؤلف من نخبة رجال الطبقة العالية ونسائها . وكانت علاقتي بكل منهم علاقة معرفة بسيطة لاعلاقة صداقة . وفيما كان الحديث دائراً على شؤون مختلفة حولته اللادي لوندندري الى الكلام عن الكتب فشاركها فيه بحسن قصد وسلامة نية . ثم استطردت الى ذكر كتاب سيموندس ولظني انها بارعة في فنون الادب قلت في كلامي عن نمط الكتابة أو أساليب الانشاء ان هذا موضوع كثر الكلام عليه بما لا طائل تحته ولكن ينبغي للكتاب كافة ان يتوخوا البساطة في ما يكتبونه وبعد ما تكلمنا ملياً عن بعض مشاهير الكتاب وتناقشنا في الحكم على منزلة كل منهم سألتني اللادي لوندندري هل استحسن أسلوب كتابة سيموندس فأجبتها لا لكني استحسن بعض كتبه وكأنها آنت في جوابي هذا شيئاً من التبجح فهزت رأسها هزة العجب وعدم الموافقة وقالت قول من يستفز خصمه للمبارزة : -

لست ادري وليتني كنت ادري ما طالعت ايتها الانسة تنت  
من كتب سيموندس : « فعلمت اذ ذاك انها مستعدة للنزال  
واجبتها بصقاعة : —

« طالعت منها جانباً »

فغاضها جوابي وسألتني بلهجة الواثق بالتصاهر على قرنه —  
« هل قرأت شيئاً من مقالاته في التخيلات والتأملات ؟ »  
مرغو : « قرأتها كلها »

لوندندري : « الا تستحسنيها ؟ »

مرغو : « استحسنها ؟ لا أدري ماذا تستعين ؟ »

لوندندري : « الا تظنين انشاءها جيداً . . . اعني اسلوب  
كتابتها ؟ »

مرغو : « لا استحسن فيها شيئاً علي الاطلاق ثم اني لست معجبة  
باسلوب سيموندس الكتابي »

لوندندري : « اظنك لم تطالعي الكتاب »

فازعجني قولها هذا ورأيت علامات سرور الحضور به ظاهرة  
علي وجوههم وسخضت من خرقهم ! وشدة تحاملهم وقتل لمحدثي  
برزاة وسكون جأش : —

« تظني لم اطالع الكتاب وانا اظنك لم تطالعي مقدمته .  
فهو مهدي اليّ . كان سيموندس صديقي وكنت مقيمة في دافوس  
عند ما كان يكتب هذه المقالات في ايطاليا . وقد حمله شدة  
اندفاعه على طلبه اليّ ان اقرأ احدى المقالات قبل طبعتها واعلق

عليها ما يعن لي في الهامش فاجبت طلبه وكتبت ما بدا لي في الحاشية  
فغاظه بعض ما كتبتهُ وعجبت من ذلك وقلت له انه لا ينبغي له  
ان يطلعي بعد الآن على شيء مما يكتبه قبل طبعه . وحينئذ  
صفح هما كتبه واهدى الكتاب اليّ »

وأخر من اروم الاشارة اليه من اعضاء مجمع الارواح هو المستر  
هري كست الذي كان من بعض الوجوه انورهم وابرعهم وسيظل  
اسمه مذكوراً ما ذكر الناس قرار البرلمان المختص باراضي ارلند  
على ان عنايته بالعلوم كانت أشد منها بالشؤون السياسية ولولم  
ينقصه شيء من ضبط النفس لكان من مشاهير السياسة والاداب  
معاً

وبعد ما توفي كتب عنه أحد عارفيه فقال وقد أصاب كل  
الاصابة بقوله : —

« تبرع كأُس الحياة الى الثمالة غير موجس أقل خوف من  
سمومها ولكنه كان ضعيف الارادة ككثيرين غيره من ذوي  
الصلابة والعناد في آرائهم .

ركان أول مرة لقيته فيها يوم زارنا في غروفنرسكوير ليري  
شقيقتي لورا . وبعد بضعة اسابيع سافر الى استراليا التماساً للصحة  
حيث قضى بضعة عشر شهراً . وفي ليلة عيد يوبيل المكة فكتوريا  
سنة ١٩٠٠ زارنا بعيد رجوعه من استراليا . ولما علم بوفاة لورا  
أسف أشد الاسف .

كان هري كست شديد الشغف بالحياة وكثير الولوج بمسراتها



واطاييها . وكان قوي الذاكرة كزوجي واسع الاطلاع يسهل عليه جداً الاقتباس والاستشهاد بمحفوظاته الشعرية والنثرية وظل متولياً رآسة كتابة « البال ميل غازت » عدة سنوات اظهر فيها ما عنده من المقدرة والبراعة ولولا شدة انبعائه في لذات نفسه لاستطاع القيام باعمال تجعله في مصاف مشاهير الرجال . وجملة القول انه كان تقادة صعب المراس وصديقاً شديد الاخلاص لا ينسى اصدقاءه ولا يخاف في سبيل الذود عن ولائهم لومة لائم .

. . . . .

وسأختم هذا الفصل برسالة مختصرة بعثت بها الي صديقتي اللادي فرنس بلفور احدى النساء اللواتي اعجبت بشدة ذكأهن وكانت هذه الرسالة من ايها المرحوم الدوق اوف ارغيل الخطيب البليغ المشهور الذي قيل عنه انه كان في كلامه اشبه بمدفع يطلقه كناري ( الطائر المعروف برخامة الصوت )

وكانت ابنته فرنس قد دعنتي للاجتماع به في بيتها حيث تناولنا العشاء واجلستني بجانبه على المائدة . وفي اثناء حديثه معي اقتبس الكلمات الاتية من عظة سمعها من الدكتور كارد : —

« آه : متي يأتي على الناس حين لاتبقى فيه كل من الكنيسة والحكومة شعار ( كلمة السر ) الجماهير المتنازعة المتخاصمة — حين يصبح كل اسان كاهنا وكل كاهن ملكا — كاهناً متسر بلا بالبر والتقوى وملكاً لا بساً حلة القوة »

فطلبت اليه ان يكتبها لي بخطه ثم قضينا جانباً من الوقت  
 نبحت في الدين والوعاظ والسياسة ورجالها .  
 وفي صباح اليوم التالي كتب الى ابنته يقول :  
 « عزيزتي فرنسس  
 كيف تجاسرت ان تدعوني للاجتماع بحورية (١)



(١) في الاصل « سيرن ( Syren ) وهي في الاساطير  
 الخرافية الالهة كانت في احدى جزائر البحر المتوسط وكان غناؤها  
 الرخيم يسحر الباب البحارة فينتطعون عن المسير ويظلون يسمعونها  
 حتي يموتوا من شدة الطرب

## الفصل الحادى عشر

قبل ختام قصة صبوتي اذكر الحادثة التالية التي عرضت لي واكسبني صديقاً جديداً

استيقظت في صباح يوم جميل من ايام شهر يونيو ونظرت الى الساعة فاذا هي الثامنة ورأيت انه لم يبق لي سوى ساعة واحدة للاستحمام واللبس والفقطور والذهاب الى محطة بدنن

فاسرعت في النهوض من سريري وأهبت بوصيفتي التي لم تمض ثماني سنين في خدمتي باطلا ولم تلبث ان اعدت لى كل شىء واخذت تمشط شعري وانا أتناول قليلاً من من الخبز المحمص وبعدما اكملت استعدادي عدت الى مركبة وشددت على حوزيها ان يغذ السير بي الى محطة سكة الحديد في بدنن لكي اصل اليها قبل فوات الوقت لاني كنت عازمة على ركوب القطار الى المدينة (لندن) حيث أزور احد تجار الخيل المشهورين في لندن وأتقي بعض جياذ الصيد لي ولرلسدايل وغيره من اهلي واتفقنا ان نجتمع كلنا بعد الظهر في بيت شقيقتي عقيلة غراهام سمث . فان فاتني القطار سببت لهم كلهم انزعاجاً واضطرت الى ركوب جواد لم اختبره من قبل في القفز والثوب وعرضت نفسي للخطر

ولسوء الحظ ابطأ الحوذي في السير على رغم شدة الحاجة في الامراع . ولما بلغت المحطة كان القطار قد صفر صفير المسير وشرع يتحرك متباطئاً فاندفعت اليه واتفق ان احد الجمالين [الشياطين]

كان في مدخل احدى المركباب فقفزت الى درجة المدخل واخذت بطرف ثوب الحمال وصحت به « لا تغلق الباب ! » . وما ابطاً ان وثب من موقفه خارجاً الى الرصيف وصعدت من موقفي على الدرجة الى المدخل

وكان شعوري بحسن صنيع الشيال لا يوصف . ولذلك كافيته عليه بخمسين غرساً . لانه لو اغلق الباب أو استسلم للخوف هلكت لا محالة

وبعد ما دخلت احدى غرف المركبة ورتبتُ مجلسي فيها رفعتُ نظري الى من معي فرأيت شيخاً جليل الطلعة مكشوف الرأس بجانب النافذة يقرأ وعليه جبة زرقاء وهو اشمط الرأس والاحية أشم الانف وله عينان كأثهما « الجزع الذي لم يشقب » . وبجانبه شاب عليه ملامح الزهد في العالم وهو مشغول بترتيب ما لديه من كتب وصحف واوراق مختلفة وشدها بربط من الصمغ الهندي [ اللستك ] ثم نظرت في المركبة فرأيت أوراقاً صغيرة مطبوعة وملصوقة على نوافذها . فشعرت على الفور بخطايي ورأيت من الواجب عليّ ان اعتذر عن جلوسي في مركبة محجوزة لغيري . واذا ذاك وقعت عين الشيخ عليّ فقلت له : —

« اني آسفة يا سيدي لدخولي الى مركبة علمتُ الآن انها محجوزة لك . لكنني انسقت الى ذلك اضطراراً مدفوعة بشدة الاسراع لانه كان يهمني جداً ركوب هذا القطار »

الشيخ : « لا حاجة للاعتذار . لاني لم انزعج من دخولك على انه كان في عمالك هذا خطر شديد على حياتك . فلا تقدي عليه مرة أخرى . ولماذا همك جداً ان لا يفوتك هذا القطار ؟ الى أين تذهبن ؟ »

مرغو : « اني ذاهبة لانتقي جياداً لي ولصهري وغيره من أسرتي . فالى أين تذهب أنت ؟ »

هو [بما لا مزيد عليه من التأني والتأمل] « اني ذاهب الى حيث أسمى في تخليص النفوس »  
مرغو : « انك دموي المزاج ! »

هو : « الاعمقدين صحة هذا العمل — تخليص النفوس ؟ »  
والحق أقول اني كنتُ أعدُّ هذا العمل مجرد ادعاء فارغ . ولكن بسالة الشيخ وهيبته حالتا دون تصريحى بما اعتقده  
مرغو : « اظنني علمتُ مرادك وان كنتُ لم اقف على الطريقة المتخذة لذلك فقد سمعتُ كثيراً بما يطلق عليه الهداية والتجديد لكنني أدبياً لا استحسن محاولة التعرُّض لنفوس الناس »

هو [بغیظ] : « عند ما تعاملين السكارى وفاسدي الاخلاق يجب عليك أدبياً ان تتخلي عن منزلتك الرفيعة . اراك تجهلين الحياة الحقيقية ولا تعرفين عنها شيئاً . ومن مجرد نظري اليك أرى انك حديثة السن وليس لك أقلُّ اختبار بامور العالم . فانظري اليّ أيتها الفتاة وقولي لي متى رأيت النفوس تهيم مضطربة

لشدة احتياجها الى شعاع النور ؟ وماذا تعرفين عن فساد الاخلاق  
الذي طما شره وعم البلاد كلها ؟ ان العالم الذي تعرفينه ليس العالم  
الحقيقي على الاطلاق ! ففي أي عالم تعيشين ؟ ماظنك رأيت قط  
فقيراً متسولاً ! هل دخلت يوماً أحد ملاجيء فقراء العمال  
البهّل ؟ ما أظنك رأيت قط مجنوناً . هل دخلت يوماً أحد دور  
المجانين ؟ ما أظنك شاهدت محكوماً عليه بالسجن . هل زرت  
يوماً أحد السجون ؟ هل دخلت يوماً إحدى الخانات وشاهدت  
الرجال — نعم والنساء أيضاً — في عراك وكفاح أمام الله والناس  
من شدة تأثير المسكرات فيهم ؟ »

ثم رمقني بعين التوبيخ واستأنف كلامه : —

« ماذا تعرفين عن المسكر ؟ لعلك لم تشاهدي قط أثراً للمسكر

في حياتك »

مرغو : « كيف لا وانا سكو تلندية ؟ »

هو [غير صاغ لي] : « في عراك وكفاح لا بايهم أيتها  
الفتاة بل بنفوسهم . فلا فائدة لنا أدياً من رفعة الشأن وسمو  
المنزلة . اننا في احتياج شديد الى عاملين وعاملات . . اني مفكر  
في العالم الآتي واما انت ففي هذا العالم تفكرين ، اراك مشغوفة  
به وبمسراته . ولعلك من أهل طبقته العليا ؟ »

مرغو : « كلا البتة ! »

هو : « من هو صهرك ؟ »

مرغو: « ربلسد ايل »

هو: « ما اسمك ؟ »

مرغو: « لا يهملك ان تعرف اسمي . لاني لست بذات شأن »

هو: « أراك على خلاف ما تقولين . هل تؤمنين بوجود

جهنم ؟ »

مرغو: « لا . ولا انت تصدق »

فادهشه جوابي هذا . وخلق جبته وانحنى نحو ي فرأيت

شعار « جيش الخلاص » مرسوماً على سترته . وكان هذا الشيخ

الجليل الجنرال بوث ! وكنت قد سمعت كثيراً عنه وعن قرينته

واختبرت بنفسي عملهما في هويتشايل . فاستطردت على الفور : —

« تظن انك تعتمد ولكنك لست كذلك . فرفع جهنم فوق

رؤوس السكارى وفاسدي الاخلاق كسيف مسلول عبارة عن

الهجوم على اضعف جانب حتى من أولئك المساكين . وهذا محل

الانتقاد في تعليمك . فانك تهيج فيهم عوامل الخوف وتنشئ

نوعاً من الحمى الروحية »

الجنرال بوث : « لو لم تكوني أيتها الأنسة غنية ومنبعثة

في اللهو والبطالة لاتضح لك ان ما تسمينه حمى روحية هو في

رأبي جوع روحي . وهو منتشر في ارفع جانب من الانسانية

فالسبات الروحي جهنم

مرغو: « ان كان هذا مرادك بجهنم فاني لموافقة عليه

ومصدقة له . وطالما افكرتُ في وجود جهنم داخلنا . وهكذا  
السماء . والله فوقنا

الجنرال بوث : « ان في كلام كهذا شيئاً كثيراً من اللغو .  
فالصلاح صلاح والشر شر والله هو الله والسماء هي السماء وجهنم  
جهنم . فكوني صريحة في ايمانك واتركي المواربة جانباً ولا تتشبهني  
بأعضاء الكنيسة العالية . اني مؤمن بوجود جهنم وموقن بوجود  
السماء . تقولين ان السماء داخلنا . فهل هي داخلنا فقط ؟ هل هي  
طريق لا غاية ؟ »

مرغو : « لم اعن هذا قط ؟ وما من انسان يسير في طريق  
أو يجاهد في سبيل لغير غرض او غاية الا اذا كان من الحقى او  
من القديسين ! على اني لا استصوب استخدام الخوف من جهنم  
لاثارة الخواطر وتهيج الافكار . فليس لطرق التهديد أقل تأثير  
في . واراني دائماً ميالة الى الانسياق بعامل المحبة لا بعامل  
الخوف . وعلى مَ هذا القلق والاهتمام بجهنم ؟ فالسماء هي النور  
الذى يحسن بك ان ترفعه امام النفوس الضالة . لست بقادرة  
على الخوض في المباحث اللاهوتية وارى نفسي كولد يطير طيارته  
في يوم مطبق بالسحب . فاذا قيل له اينذ لك ان تطير طيارتك  
هكذا من غير ان تراها ؟ قال : « نعم لاني اشعر دائماً بشدة  
جذبها لي ، »

فسر الجنرال بهذا التشبيه وقال : —



« لم أبحاثك في اللاهوت بل دافعت عن نفسي اذ اتهمت جيشي بأنه لا يعنى بالأهم وأنا أقول أنه يعنى . ولو شعرت بمه اسميه جوعاً روحياً وانت تدعينه حى روحية لما كنت تقضين وقتك سدى في انتقاء الجياد لصهرك »

فسرّى عن قلبي تركه للمباحث اللاهوتية . واذا آنستُ في وجهه بعض البشاشة قلتُ له اني لا أرى عليّ غضاضة في انتقاء الجياد لصهري

الجنرال بوث : « حدثني شيئاً عن صهرك »  
مرغو : « انه بارع في ركوب الخيل وخبير كبير بها »  
الجنرال بوث : « أ صالح هو ؟ »

مرغو : « انه من خير الرجال ! والآن ارى أيها الجنرال انك تود أن تعلم سعة المجال فيّ وفي اهلي للهداية أو التجديد وتروم اختيار الطريقة المثلى لمباشرة هذا العمل فينا . لكنني أراه خطراً الى الغاية وهو أشبه بمزاح سيء مزعج لن تستطيع أن تضمن له حسن الخاتمة . دعنا من الحديث عنه . وتفضل عليّ بالحديث عن زوجتك وعن جمعيتك »

الجنرال بوث : « كانت زوجتي اعجب امرأة خلقها الله . والفضل كل الفضل في الشاء جمعيتي انما هو لها هي لا لي انا »  
ثم طفق يحدّثني عن شدة صلاحها وبراعتها في الخطابة بما لا مزيد عليه من الارتياح والاهتمام . هذا ما سمعته منه عنها .

وقد أعجبت كل الإعجاب به وبأسرته وبعمله . على انه لم يكن شديد الصراحة . فقد وددت ان اعرف اكثر مما عرفت عنه وعن منشأ جيش الخلاص وغير ذلك من الامور التي تفت الى الوقوف عليها ولكنه لم يطل قط البحث في موضوع بل كان ينتقل في الكلام مقتضباً ويصغى اليّ قلقاً مضطرباً . سألته هل آمنت زوجته بوجود جهنم فأجابني بتحفظ واحتراس : —

« اظنها كانت من رأيك . ماهو اسم ابيك ؟ »

مرغو : « تشارلس تننت وهو صاحب معامل كياوية في غلاسكو ومناجم ذهب في الهند »

الجنرال بوث : « اذاً انت مرغو تننت . اني عارف كل شيء عنك . وابوك أبي أن يتبرع بشيء من ماله لجيشنا »

مرغو : « لا اظن ان أبي امتنع يوماً عن التبرع بماله لاحد . فهو من أعرف الناس بقيمة المال واعقل من أن يكون ممسكاً . وهو سعيد جداً ومنزّه عن المخاوف والريب والخسائس التي يسفّ لها الاغنياء . لكنه يرى جيشك لغزاً لا يعنى بحله . هذا فضلاً عن كونه يكره الجلبة ولا يطيق الضوضاء »

الجنرال بوث : « الجلبة ! »

مرغو : « نعم . جلبة فتياتك اللواتي يطنن في الشوارع ويسرفن في الصراخ والصياح والنقر على أطباق الشاي . وأبي مريم الهياج شديد التأثير »

الجنرال بوث : « وهل انت مثله؟ »

مرغو : « نعم بل أشد منه ! ان الجلبة تؤلمني كثيراً »

الجنرال بوث ( يراقبني غير مستمع لكلامي ) : « هل تتلين

صلواتك ؟ »

مرغو : « على الدوام »

الجنرال بوث : « اترومين أن نصلي الآن ونحن في المركبة؟ »

مرغو ( برزانة ) : « من كل قلبي ان كنت تروم ذلك »

وكأني بالجنرال بوث لم يكن يتوقع مثل هذا الجواب مني

زاعماً اني على جانب عظيم من الجسارة والاستهتار وقد حولته

عن موضوع التجديد فأراد الرجوع اليه . وبعد ماخيم علينا

سكوت عميق قال مشيراً الي يده . اشارة لطيفة :

« لنجثُ ونصل »

فجثونا - انا والضابط الشاب والجنرال - في صف واحد

ومرافقنا مسندة الى المقاعد التي امامنا . وافتتح صلاته بالابتهاال

الى الله طالباً « ان يبارك اختنا هذه ويكون قريباً منها » . وقد

شدد لفظ كلمة الهدوء عند ما اقتبس الآية من نبوءة اشعياء

« بالهدوء والطمانينة تكون قوتكم »

وقد صلى مستوياً على ركبتيه منتصب الرأس وشعره الطويل

مرسل الى الوراء . فلن انسى صلاته هذه . لأنني شعرت حينئذ

باني لم اكن موافقة عليها فقط بل كنت راضية بها ومشاركة فيها .

أما هو فلاح لي متجرداً كل التجرد عن شعوره بنفسه. ومتواضعاً على عزة وشمم. وشكوراً من غير مجاملة. ومتفرداً بلا شذوذ. وممتلئاً احتراماً وتصوراً وشعوراً

ولما فرغ من صلاته نهضنا جميعاً. وتناولت يده وضغطتها بكلتا يديّ وشكرته من صميم فؤادي. ثم جلسنا ساكتين كأن على رؤوسنا الطير. وسألني عما في قطري (١) فأخرجت بعض الكتب والصور وغيرها وأريته إياها. فلم يرقه شيء منها على الإطلاق. وكنت دائماً أسافر ومعى دفتر ادون فيه مقتبسات من أقوال المؤلفين والكتاب عن الموت والصلاة. فأخذني وسألني ان اعيره إياه فلم أشأ ان اجيب طلبه لان الاختبار اضعف ميلي الى اعارة الكتب حتى للاصدقاء. وكان في دفترى هذا بعض صفحات غير مكتوبة فقلت له :-

« اكتب لي شيئاً في كتابي هذا. لا يمكنني ان اعيرك إياه. لاني لم اطلع قط أحداً عليه »

فلم يردّه الي بل ابقاه في يده وقال :-

« اظنك عازمة بعد رجوعك الى البيت على تأليف قصة طويلة

عن حديثنا وسفرنا اليوم ؟ »

مرغو : « ان كان ذلك يسوءك فاني اكتبه ولا اذكر عنه شيئاً والا قصصته على اختي ؟

الجنرال بوث ( باسم ) : « وعلى للصهر ؟ »

مرغو : « نعم . وعلى الباقيين كلهم . ولكن لا أعلم مرادك . بقولك « قصة طويلة . قان كنت تظنُّ اني اعدُّ الصلاة من المضحكات فظنك في غير محله »

الجنرال بوث : « هل جثوت كثيراً للصلاة في القطار ؟ »  
مرغو : « لم اجث قط . اني أصلي غالباً في نفسي . ولكنني كثيراً ما تلوتها بصوت عال مع فتيات المعمل ولم لاحظ قط ان واحدة منهن استخفت بهذا الامر وكنا قد اقتربنا من المحطة التي تشرق فيها . فاعطيته عنواني لكي يكتب اليّ به . واسفتُ كل الاسف على مفارقتي لهذا الصديق العزيز الجديد . فارجع اليّ الكتاب وقرأتُ ما كتبه فيه : —

« هل تصلح الحياة لشيء آخر غير المسير حسب مشيئة الله والحصول علي ما يؤرثلنا لسكنى السماء وصحبة من فيها والتمتع بما فيها وقضاء وقتنا بل وقف حياتنا على اصلاح شأن العالم المتالم واسعاد اهله في الدارين ؟ ولیم بوث »  
ثم تناول يدي بكتا يديه وقال : —

« سرنى جداً لقاءك . سيصلي كل منا لاجل الآخر . وارجو ان تتجمع ثانية عما قليل » فبلغته سدة ابتهاجي بصلاته ، واني لن انساه . وطلبت اليه أن يزورني أو يدعوني لزيارته . ثم ودعنا احداً الآخر وافترقنا . وظللنا صديقين حتى توفاه الله

لقيت بيتر فلور أول مرة في رانلاغ حيث دعا شقيقتي شارلوت  
 ريسدايل لمشاهدة المتسابقين في لعب «البولو» وكانا جالسين تحت  
 شجرة أرز يتناولان مثلجاً (جلاني). وكنتُ لابسـة رداء من شاش  
 رمادي اللون ونطاقاً أسود و برنيطة سوداء ومتطوقة بعقد مرجان .  
 ولما دنوت منهما سمعته يقول لأختي :-

« تسع عشرة سنة ؟ لا يمكن ! كنتُ اظنها ابنة خمس عشرة !  
 هل هي تلك البارة في ركوب الخيل ؟ »

وبعد ما تصافحنا جلستُ ونظرت حولي  
 وكنتُ دائماً شديدة العناية بملاحظة ملابس الرجال . وقد  
 نظرت الى بيتر فلور فوجدته أشد من عرفت من الرجال عناية  
 بملاسه وتأنقاً فيها . ومما شاقني منه على الخصوص بعد اتقان  
 ملابسه جمال تركيب جسمه وتناسق أعضائه وابتسامه الخالب  
 وقوة حيويته المعدية أو التي لها خاصة الانتقال منه الى غيره .

قالت لي لورنس اوليفنت يوماً :- « الناس كلهم قسمان .  
 قسم يعطيك حياة وقسم يأخذها منك » وكثيراً ما تحققت صحة  
 هذا القول بالاختبار لاني كنت ولا ازال شديدة الشعور بقوى  
 النفوس الحيوية . وعند ما اراجع في ذهني صفات الذين عرفتهم  
 في حياتي لا أستطيع ان اجد اكثر من ثلاثة أو اربعة اشخاص  
 كانوا متمسكين بالحياة مثل بيتر فلور . وهم انا واللادي كند

واللادي دسبور و ابني انطوني . والمتصفون بهذه الاخلاق  
على أنواع مختلفة فمنهم من تكون طباعهم غليظة والسنتهم حادة  
يتناولون بها ما ارادوا من الطعن والوقية ويخرجون غيرهم عن  
رقة الشعور . ومنهم من يكونون شديدي اللجاج والالحاح  
فيرهقونك ويكادون يزهقونك . اما بيتر فلور فكان ينعمش ويروح  
قلب كل من يجتمع به . ولما ودعته ذلك اليوم في رانلاع فمع  
شدة تذكري باني لم اكلمه ولا كلمني هو عن امر ذي شأن اتجهت  
أفكاري للاهتمام بهذا السؤال — متى يمكنني ان اجتمع به  
مرة ثانية ؟

وفي شتاء تلك السنة ذهبت مع شقيقي شارلوت وزوجها  
اللورد ريسدايل لزيارة اللورد باترسي اخي بيتر فلور حيث اقنا  
برهة قضيناها في الخروج غير مرة للصيد والقنص في الغياض  
والحرجات . وكان بيتر معنا . وهو مشهور بالبراعة في ركوب  
الخيول والولوع بالصيد وعنده جميع المعدات اللازمة من جياذ  
مروضة وكلاب سلاقية مدربة وغير ذلك . وقد عرضت لي  
حينئذ عدة حوادث استهدفت فيها غير مرة لخطر السقوط  
والاشراف على الموت . وشهد لي بيتر فلور بشدة المهارة في  
الفروسية واتقان ركوب الخيل والتضلع من اساليب الصيد قائلا  
ان هذه البراعة الفائقة هي سرّ نجاتي من الاخطار التي تعرضت  
لها . وقد ركبْتُ غير واحد من جياذه فاحسنت سوقها واحكمت قيادها

وتلك البراعة الفائقة التي شهد لي بها وقتني حقيقة من مخاطر  
عديدة في اثناء الاغارات وهبوط الاحادير وتسلق الهضاب  
وخوض الجداول والقفز فوق الحفر والسيارات ولكنها قصرت  
مرة لسوء الحظ عن وقايتي من خطر تعرضت له حين جمع بي الجواد  
جوحاً لم استطع كبجه وانتهى أخيراً بسقوطي عن ظهره . فحملت  
مغمى عليّ الى بيت عقيلة بنبوري التي كانت معنا في الصيد . وقد  
صارت فيما بعد من اعزّ صديقاتي

ولما أفقتُ قليلاً من اغمائي سمعتها تقول لبيتر بلهجة الغيظ  
والتوبيخ :-

« ألا ترى انه من الحق ان تعرض الناس لخطر ركوب  
هذا الجواد الجوح الذي بالجهد تستطيع انت ان تكبح جماحه  
وتسلس قياده ؟ »

على ان سقوطي كان سليم العاقبة فلم أصب بأقل اذى . وكان  
اغمائي ناتجاً عن شدة الخوف وفرط الاعياء

اما قلق بيتر واضطرابه عليّ فحدث عنهما ولا حرج . ولما  
فتحت عيني وجدته جالساً يفرق قدمي بكليتيديه لتدفئتهما والخوف  
أخذ منه كل مأخذ . وتلك الايام التي قضيتها معه في الصيد  
كانت مبدأ التعارف والتآلف . ثم ترقّت صداقتنا على توالي الايام  
وتحوّلت الى غرام وهيام وقضيت عدة اسابيع من ذلك الشتاء



عند عقيلة بنبوري في مقاطعة غرافتن حيث كنت اخرج للصيد  
ممتظية صهوات الجياد غير حافلة بما كان يعترضني من مصاعب  
قرس الزمهرير وتهطال المطر الغزير

ولما كان بيتر معدوداً من الاساورة المشهور لهم بالقروسية  
وحسن الرماية وقاما سمح لغيري من النساء ان تصحبه الى الصيد  
كان خروجه معي واهتمامه بان يُركبني نجبة جياده مبعث غيرة  
وحسد لا مزيد عليهما . واول مشهد عرض لي من هذا القبيل  
كان في براكلي حيث اقام بيتر في بيت للصيد مع صديق له  
يدعى هتفيله هرتر

وكانت في تلك الناحية سيدة بارعة الحسن والجمال معروفة  
باسم عقيلة بو . وقيل انها كانت في صباها ماهرة في ركوب الخيل .  
ولكنني لم ارها مرة استطاعت ان تقفز بجوادها حتى فوق غصن  
ملقى في طريقها . وعند ما كنت اذهب مع بيتر لانتقاء الجياد  
كانت عقيلة بو كثيراً ما تصحبنا . ولم تبدُ على بيتر اقل علامة  
تدل على شدة ميله اليها . على انني لم اتفرع حينئذ لملاحظة شيء  
من هذا القبيل . وقلتُ له يوماً وقد خيل اليّ انه مقصر في ايفائها  
حقها من الاحترام

« لا بد انها كانت جميلة جداً في صباها . وما اظنه يليق بك  
ان تبدو في مظهر المغيظ المحنق كلما صحبتنا »

بيتر : « تعديتها كبيرة ؟ »

مرغو : « على الأقل كهة . لانها جاوزت الثلاثين . أليس كذلك ؟ »

بيتر : « وهل تعدين من تكون في سن كهذه عجوزاً ؟ »

مرغو : « لا أعلم ! كم سنة عمرك ؟ »

بيتر : « لا أقول »

وفي ذات يوم عدت من الصيد و ثيابي كلها مبللة من شدة ما اصابني من المطر . وكنت قد تركت مركبة عقيلة بنبوري في اصطبل بيترو ولم اشأ ان ارجع و ثيابي في هذه الحالة فصعدت الى بيت عقيلة بولا أستعير ثياباً جافة . فلم اجد لها في البيت لكن وصيفتها قضت لباتي واعطتني ما كنت محتاجة اليه

وبعد ما تناولت الشاي مع بيتر الذي كان مريضاً ومضطرباً في سريريه ركبته راجعة الى عقيلة بولا شكر لها جميلها فوجدتها في غرفة النوم متكئة على اريكة انيقة تدخن سيجارة واريج البنفسج يتضوع من جوانب الغرفة . فلم تستقبلني بما وجب من الحفاوة والتأهيل . ولما رأته هممت بالخروج القت بسيجارتها الى النار واستوت في مقعددا وقالت : —

« قفي ! عندي شيء اروم ان اقله لك . ألا ترين ان تناول

الشاي مع رجل في سريريه امر لا يُقدم عليه احد ؟ »

مرغو: «حقاً اني لا ارى بأساً في عيادة رجل مريض!»  
 عقيلة بو: «إذا انصتي لي فاخبرك بما يراه غيرك في امر كهذا.  
 اني اكبر منك سنًا. ويحق لي ان اندرك واحذرک من ارتكاب  
 فعل مثل هذا بعد الآن! فعلى م تأتين الى هنا بين اناس كلهم  
 أصدقاء بعضهم لبعض وتقدمين على ما ينكرونه عليك ويكون  
 سبباً للقال والقليل؟»

فأخذتني قشعريرة انتفضت لها كل اعضائي ونهضت قائلة:-  
 «خير لي ان اتركك الآن لاني متعبة جداً وانت في غيظ  
 وحنق لا مزيد عليهما»

عقيلة بو (منتصبه على قدميها ومقربة اليّ): «لو أُصيب  
 بوتر فلور بالحمى الصفراوية لواظبتُ على تمريره ولكنني مع  
 اقامتي هذه السنين الثلث في دار لصق داره ما كنتُ قط لأفعل  
 ما فعلته انت اليوم»

قالت هذا وقد لاحت على وجهها علامات سخط شديد ذاهب  
 بها كل مذهب فأسفتُ على حالتها وقلت لها بما استطعت من  
 اللطف والرفقة:-

«لا ارى سبباً يوجب امتناعك عن فعل ما فعلته انا لاسيما  
 وانما صديقان متجاوران كما قلت. ومهما يكن فلكل انسان  
 رأيه في ما يعتقده صواباً أو خطأ. اما الآن فينبغي لي ان اذهب»

ومشت نحو الباب عازمة على الخروج . لكنها اضاعت صوابها  
وخاطبتني بعنف وخشونة قائلة  
« تقولين لكل رأيه في الصواب والخطأ أما انت فلا رأي  
لك فيها

وحينئذ غادرت غرفتها وذهبت .  
ولما قصصتُ على عقيلة بنبوري قالت لي : —  
شرُّ أهرَّ ذاناب فهي غيور منك على بيتر فلور . لانه قبل  
جميعك كان يحبها »

فراغني جداً سماع هذا الخبر وعزمت على مغادرة غرافتن  
والرجوع الى البيت لانه طال غيابي عن والدي . وعلى الفور كتبت  
الى بيتر مظهرة أسفي على اضطراري الى السفر من غير توديعه .  
وفي اليوم التالي . وكان يوم أحد . جاءني منه كتاب الحب الذي  
اعتاد ان يكتبه الي كل يوم سواء نظرت أم لم انظره . وقد  
أخبرني في كتابه هذا بان درجة حرارته عادت فارتفعت . وانه  
سيعطيني غداً — الاثنين — أفضل جوادين عنده لان الطبيب  
لا يأذن له في مغادرة الغرفة . لكنه زارنا بعد ماتناولنا الغذاء  
وعليه علامات الضعف والنحول . فحيتته عقيلته بنبوري بلطفها  
المعتاد وقالت له : —

« كان ينبغي لك ان تبقى في سريرك . أما وقد جئت فسأعهد  
الى مرغو ان تعتني بك ريثما اذهب لتعهد الجياد في الاصطبل »  
م ١٣ اسكويث

ولما خلوت به نظر الي وقال : -

« وصلني كتابك. فما الداعي الى التعجيل في السفر ؟ ألم تعلمي اني انتظر وصول جوادين من ارلندا في هذا الاسبوع . واروم ان تركيهما عني ؟ »

وقد رأيت محياه مغشياً بسحب الانزعاج والاضطراب فقلت له اني راجعة الى البيت لاني اطلت غيابي عن أهلي  
بيتر « هل كتبوا اليك »

مرغو : « يكتبون الي دائماً . . . »

بيتر [ وقد انكشفت له مواربي ] : « اذاً ماذا ؟ اخاف ان تسكوني بخلاف ماسبق اليه ظني فيك : »  
مرغو : « ماذا تعني : »

بيتر : « أعني انه لم يستقدمك احد من أهلك فلا بد من حدوث امر مفاجيء حوّل عزمك عن البقاء وحملك على التعجيل في الذهاب . فما هو هذا الامر ؟ هل سمعت شيئاً من عقيلة بو ؟ »  
مرغو : « لا اود التعرض لشؤون أحد اصدقائك »

بيتر [ بغیظ لكنه يحاول ضبط نفسه ] « وماذا يهمك كلام عجوز كانت بالامس طفيلية تأتينا بلا دعوة » وصارت اليوم تتعرض لملا يعניהها ، »

مرغو : « قات لي انها صغيرة السن »

بيتر . ان هذا من اوضح الاكاذيب ، فقد قلت انت انها

سيدة جميلة وانا خالفتك في ذلك » [ سكوت ]

« ماذا قالت لك ؟ ينبغي ان تعلمي انها غيرى منك في ميدان

الصيد »

مرغو : « لا . ليست غيرتها من هذا القبيل . بل هي بسبب وجودي في مخدعك . وتقول اني لا أعرف الصواب من الخطأ »  
فأجفل بيتر في أول الامر ثم أغرب في الضحك وقال : —  
« ليس في ذلك شيء من الغرابة ! »

مرغو : [ بحلق ] « اتعني ان هذا امر زهيد واني لا افرق بين الخطأ والصواب ؟ »

بيتر ( آخذاً يدي ومقبلا لهما وهو يتنفس الصعداء )  
« يا للعجب ! »

مرغو : ( ناهضة ) « على كل لا أرى ما يغريني بالبقاء هنا أو يحملني على ركوب احد جيادك بعد الآن وما من قوة تحت السماء تستطيع ارغامي على البقاء »

بيتر : « أ الى هذا الحد يبلغ بك الطيش والحق يا عزيزتي مرغو ؟ ومن ذا يستهجن أو ينكر عليك ان تذهبي لتعودي مريضاً مسكيناً ؟ فقد كان من المحتم عليك أمس ان ترجعي جوادي الى الاصطبل وقد قضي عليك الواجب ان تمر بي وآسألي عني وتشكر لي حسن صنعي لك واهتمامي بك ووقف جيادي على خدمتك »

مرغو : « ان لسان حال هذه المقاطعة يناديني » ليس هذا بعشك  
فادرجني وبهذا القول جبهتني عقيلة بو . وكان من الواجب عليك ان  
تخبرني بانك كنت تحبها . قلت لي اني لست كما ظننتي . وهذا القول  
نفسه أقوله عنك : «

فنهض بتر وقد تحول ابتسامه الى تقطيب وعبوسة وقال : -  
« التعنين ما تقولين ؟ وهل استنتجت هذا من حديثك مع عقيلة  
بو ؟ »

مرغو : « نعم »  
بيتر : « اذا سأذهب اليها واسألها لارى ايتكما الكاذبة :-  
فان كنت انت لم يبق لك أقل احتياج للاهتمام بانطلاقك من هنا  
لاني سأبيع جيايدي كلها . . . آه : ليتني لم اجتمع قط بك »  
واذ ذاك شعرت بقلق وانزعاج لامزيد عليهما . لاني علمت  
ان عقيلة بو لم تقل قط ان بيتر كان يحبها ولم تبد أقل اشارة الى  
شعوره من نحوها . ولم ابطىء ان نهضت لاعترضه واحول دون  
خروجه وقلت له : -

« ان حالتك المرضية غير خافية عليك . ونبغي لك ان تذهب  
الى فراشك . وما الفائدة من جعل اسمي مضغة في الافواه ولماظة  
بين اللسنة والشفاه ؟ »

بيتر : « تنحي من طريقي . اني مريض واروم الذهاب »  
فلم اتحرك قيد شعرة . وكان الغيظ قد أخذ منه كل مأخذ

حتى كاد يفقدهُ الرشاد . ولم يكن يهون عليه ان يبیت اسمي  
موضوعاً لاحاديث القوم . فقلت له محاولة تسكين هياجه : —  
« ان شئت مباحثتي أو مناقشتي الحساب فاني مستعدة لذلك  
بملء الارتياح . ولا شيء أسهل اليّ من الاستماع لحديث يتعلق بي  
بيتر : » أرجو ان تغادري الباب : انك تريدين ارهاقي وقد  
خيم الظلام »

مرغو : « هل تعذني انك اذا سمحت لك بالخروج لانهذه  
الآن الى عقيلة بو ؟ والا فاذا كنت مصرأعلى الذهاب اليها الان  
فاخبرني ماذا انت عازم ان تقوله لها »

بيتر : « لم تخبريني قط بما قاله لك سوى اني كنت احبها  
فلماذا يجب عليّ ان أخبرك بما أروم ان أقوله لها : لقد تغيرت  
جداً منذ جئت الى هنا حتى . . . »

وقبلما اكمل جملته فتحت الباب على مصراعيه وهرعت صاعدة  
الى غرفتي ،

• • • • •

كان بيتر معدوداً في حكم النساء من المعنّتين المزعجين  
وذلك من جهة غيرته التي كان يبيديها من حيث يروم ان يخفيها  
ومما كان يغيظه مني على الخصوص رقصي مع الملك ادورد الذي  
كان يومئذ ولي العهد ( البرس اوف ويلس ) ، فقلت له ذات  
ليلة اني مستعدة للرقص معه اذا تدرب عليه واتقنه والا فاني



حرة في اختيار من أراه بارعاً في هذا الفن لسكي ارقص معه ،  
وعلى هذا الموضوع اختلفنا وطال بيننا الحوار والجدال ، وبعدما  
رقصت مرتين مع ولي العهد انصرفت الى رقم ٤٠ في غروفر  
سكوير من غير ان اودع بيتر . وفيما انا في غرفتي في لبسة المتفضل (١)  
وقد حالت عقد شعري سمعتُ صوتاً في الشارع . فنظرت  
من شباك فرأيت بيتر على حائط مدخل بيتنا موجهاً نظره نحو  
شباك المكتبة المفتوح وقد خيل الي أن نفسه تحدته بالوثوب  
من موقفه الى داخل المكتبة . وعلى الفور اسرعت نازلة لاحول  
دون هذا الخرق الخطر والطيش الجؤوني . لكن سبق السيف  
العذل . ولما فتحت باب المكتبة كان بيتر قد استعار خفة القط  
ووثب الى الداخل ووقف بجانبى . قاو قدت شمعتين على منضدة  
الكتابة ووبخته على هذا الطيش الفاحش . وبينما كان يحدثني عما أتاه  
من أعمال القفز التي نال عليها أكبر الجوائز المالية سمعت لغضاً  
في العرصة . وكأني بيتر من كبار الاصوص المحنكين انبطح على  
الارض وراء المتكأ وظلمت انا واقفة بجانب المنضدة ادخن  
سيجاري . ثم انفتح باب المكتبة ونظرت فبهرني نور ساطع من  
مصباح . ولما تحول المصباح عن ناظري رأيت مفتش البوليس  
ومعه اثنان من رجاله وخادمنا . فتقدمت نحوهما متناقلة أمني

الخيلاء حتي دنوت من المتكابر فجلست على ذراعه أو مستنده  
لا حجب عن عيون الناظرين ما خشيت ظهوره من جسم بيتر • ثم  
خاطبت مفتش البوليس بلهجة الالفة والاباء : —

« امن المعتاد اتيان مثل هذا المزاح ؟ »

المفتش ( برصانة ) : « كلا ياسيدي • ولكن اسمحي لي ان  
اقول لك ان حوزيا أخبرنا بأنه رأى منذ بضعة دقائق رجلا وثب  
داخلا من ذلك الشباك »

ثم ابتعد غني ورفع مصباحه بيده وأخذ يجيل نظره هنا  
وهناك فعثر على أصيص الزهر المنكسر الذي كان في الشباك وصدمه  
بيتر عند وثوبه • وحينئذ ايقنت انه لا فائدة من الانكار وان  
قول الصدق كثيراً ما أخرجني من اخرج المواقف • فرفست خادمنا  
رفسة شردت النعاس من عينيه وقلت

« نعم • ذلك صحيح فان احدا صدقائي وثب داخلا من  
ذلك الشباك منذ نحو ربع ساعة • ولكن لم يكن لصاً • • • »  
هنري هـ ( خادمنا ) ! « مرة قاتك ياسيدي انه ما دام  
الخواجه أدورد يضيع مفتاح البوابة الخارجية فلا بد من وقوع  
مثل هذه الحوادث • واخاف انه يوماً ما لا يضيع المفتاح فقط بل  
نفسه أيضاً »

المفتش ؟ « يسوءني جداً ياسيدي اني أزعجتك • والآن  
ينبغي لي ان اكتب اسمي كما »

مرغو (باهتمام) : « اذاً انت عازم على ادراج هذه الحادثة  
 في جدول انباء البوليس ؟ فهل أخبرك الخوذي باسمه ؟ انه جدير  
 بالمكافأة لانه وقانا من التعرض لخطر عظيم :  
 وودت لو اني استطيع ان أمكن يدي من عنق ذلك الخوذي  
 فاخنقه واخذ انقاسه . ولكنني تجلدت وقلت : -  
 . أكتب . مرغريت أما اليس تننت . هل من حاجة  
 لذكر صناعتي ؟ »

المفتش ( مشغولاً بالكتابة في دفتر جيب صغير ) : « لا .  
 شكراً لك » ( ملتفتاً الى الخادم ) : « اسمك »  
 وكان الخادم في كمال انتباهه حتى اني اسفت « على رفاي له ،  
 فاجاب بصوت قصف كهزيم الرعد : -

« هنري هستنس ابلي هل »

وقد أوجست خوف استيقاظ اني والوقوع في ورطة يتعذر  
 عليّ الخلاص منها ، لكن حسن الظن أراني ان خوفي كان في غير  
 محله ، وخيم السكوت التام على بيتنا . وبعد انصراف رجال  
 البوليس قلت للخادم ، -

« سأخبر أبي بكل ماحدث واطاعه على شدة حسن تصرفك

في هذه المسألة

ثم رجعت الى المكتبة مضطربة الفؤاد واوصدت بابها وكان  
 يترقد نهض من وراء المقعد مسروراً بزوال الاشكال فقلت له

يلهجة التعنيف ان هذه الحادثة ستقضي على حسن صيتي . وغداً  
يُدْرَج اسمي في دفتر انباء البوليس وتتناقله الصحف ويصبح ملء  
اللسنة والافواه . لاني قرأت على وجه مفتش البوليس علامات  
علمه بحقيقة ماجرى . وان ذلك كله نتج عن غيرة بيتر العمياء  
وسُدة تهوره وثلة تبصره وقد سحذ الهياج لساني وفسح لي  
بجال الكلام . لكن بيتر اعترضني وقال بلطفه المعهود -

« لا يهمك امر مفتش البوليس يا عزيزتي انه صديقي ولو  
خيرت لما فضات قط شيئاً في العالم كله على مناهدة ما حدث . فقد  
لحت فيه آية في الحسن والجمال ولا أدري اي الثالثة أولى  
بالجائزة الخوذي أم البوليس أم الخادم هل ؟ »

مرغو « خل عنك الهذيان وقل لي ماذا تروم ان تفعل ؟  
بيتر ( محاولاً تبديل يدي المتين جعلهما عمداً وراء ظهري )  
« سا كلم المفتش ود أولاً ثم هستنس ابلي »  
مرغو « وكيف عرفت المفتش ود »

بيتر « عرفة في حادثة عرضت لي قبل الآن وسوف انهي  
هذه المسألة معه على مايرام وأنفحه بهدية نفيسة »  
مرغو « لا يليق بك ان ترشوا البوليس يا بيتر »  
بيك « لست بعازم ان ارشوه مرادي ان اعطيه كلبي »  
مرغو « ذلك الكلب الشرس السيء الخلق »  
بيتر « نعم هو بعينه »

مرغو : « وقاك الله يا ود شر هذه الهدية ! »

وكان هذا الحادث المزعج لم يكن كافياً لردع بيتر عن تهوره  
لاني بعد اسبوع سمعته في منتصف الليل يصفر تحت شباك  
مخدعي . ولشدة خوفي من استيقاظ والدي على صفيده هرولت  
نازلة لافتح له البوابة الخارجية ، وعالجت السلسلة المحكمة في  
مصراعي البوابة فلم أتمكن من ازاحتها . لان الخدم وضعوها  
حديثاً باشارة هنري هل بعد حادثة تلك الليلة . ولما اعياني تحريكها  
وقفت في شباك المكتبة المفتوح وتوسلت اليه ان يذهب  
ويكفيني خطر التعرض لحادث آخر لان ابي قد دخل الآن  
الى مخدعه وهو لا يزال مستيقظاً

فأصر على عزه و اشار اليّ ان ارفع الاصص ( ) من امام  
الشباك لئلا يصدما عند وثوبه ويندأ عنها صوت يوقظ أهل  
البيت كلهم . . فلم يسعني الا ان اجيب طلبه وأشهد شدة خفته  
وبراعته في القفز بأعجاب وسرور لا مزيد عايها

ولم يمض على جلوسنا معاً على المتعدأ كبر من خمس دقائق  
حتى سمعت وقع اقدام خارج باب المكتبة . واسرع من وميض  
البرق عدوت الي الشمعتين اللتين على منضدة الكتابة واطفأتها  
براحتي يدي ورجعت الى جانب بيتر على المتعد حيث جلسنا

كلانا في ظلام دامس . ثم انفتح الباب ودخل ابي ويده شمعة  
واخذ يدور في الغرفة ناظراً الى الصور الكبيرة المعلقة على  
جدرانها . وكان المقعد الذي جلسنا عليه في رواق الشباك .  
وقد رأيت أبي يرفع الشمعة ويدنيها من كل صورة متفرساً فيها  
بعين المحبة والحنان . وكانت برنيطة بيتر وعصاه تحت احدى  
الصور التي اتجه ابي نحوها واصبح قريباً منها . فلكرت  
بيتر من شدة جزعي . لكن ابي لشدة اتقاب الشمعة من وجهه  
لم يتمكن لحس الحظ من الوقوف على أثر لنا . وبعد ما اكمل  
مطافه حول الصور خرج من حيث دخل

. . . . .

على ان رياح الحوادث لم تستمر جارية على مستهانا . ففي ذات  
ليلة اقترح بيتر ان اصحبه بعد خروجه من المرقص لنجرب جواداً  
خباباً ( ) اميركياً اعاره اياه أحا . اصدقائه . واذ كان المر بدراً  
والسماء صافية الاديم اجبت اقتراحه وابرزنا غروفنر ستريت  
الى بارك لاين حيث وجدنا رجلاً ينتظرنا رسمه الجواد المذكور  
مقرونا بمركبة صغيرة فصرفنا الرجل رسماً في المركبة فنقل من  
شارع الي آخر حتى انتهينا الى عطفة غرونرسكوير . وابقى  
لبيتر عادة الرجوع معي الى البوابة الخارجية ولذلك وتناهي

عنها قليلاً . وبعد ما اعاني علي النزول من المركبة وكنت  
لابسة مجبته لاتقاء البرد قلت له : — « خذ جبتك عني »  
فاجابني : —

« خلي عنك هذه الولودية ! هل يصح أن تمشي الي البوابة  
الخارجية في ثوب الرقص ؟ واذا اتفق ان شخصاً كان واقفاً يتطلع  
من الشباك وراك على هذه الحال فماذا يقول عنك ؟ »  
فانزعتُ جبته عني بعنف والقيتها علي ذراعه وقلتُ : —  
« ليس فيهم عاقل يبقى مستيقظاً الي مثل هذا الوقت من  
الليل . وعلى كل حال اشكر لك ملاحظتك هذه »

ثم افترقنا أحدا عن الآخر . وسريت وحدي اتي البيت .  
ولم بلغت البوابة الخارجية فتحها ابي . واذا رأي في ثوبي  
« التول » الابيض استدحمو غيظه وطلب اليّ الافصاح عن  
تصرف كهذا . الطواف في الشوارع بثوب الرقص الي الساعة الثانية  
بعد نصف الليل . فاطلمته على كل شيء بالتفصيل وحذرتة من  
شراء جواد خباب اميركي . فقال لي اني بعلمي هذا ممرضة صيتي  
وصيته للهوان وان سوء تصرفي سيورد والدتي حتفها . فطوقت  
عنقه بذراعي واوضحت له بكل لطف ورقة اني بالحقيقة لم اكن  
مسرورة ووعدته ان لا افعل ذلك مرة ثانية بعد الآن .  
وحيث كانت والدتي قد خرجت من مخدعها . فقالت بلهجة  
الاحتجاج والتوبيخ : —

« لا تستسلم يا تشارلي للهياج والغضب . وانت يا مرغو قد ارتكبت خطأ عظيماً ! كان يجب عليك ان تكوني اشد احتراماً لايك . ومن ادري منا بسرعة تأثره وسهولة هياجه ؟ قولي للمسترفلور اننا في اشد استياء منه ! »

مرغو : « لك الحق كل الحق يا والدتي العزيزة . وهذا ما قلته له غير مرة . ولكن لا حاجة للاضطراب لانه لم يرني أحد على الاطلاق . فلنذهب الى فراشنا لان التعب آخذ مني كل مأخذ »

. . . . .

وكان بيتر سيء التدبير في الامور المالية ومن كبار المقامرین . قال يوماً أسفاً ان سبيله الوحيد للاقتصاد ان يبيع افراسه ويذهب الى الهند حيث يتفرغ للصيد ويتخلص من دائيته .

ولما سافر الى الهند شملني الحزن على فراقه . ولكنني مرضاة لوالدي قلت لهما اني بعد وداعه انقطع عن الكتابة اليه مدة سنة . وقد وفيت بوعدى هذا كل الوفاء

وفي اثناء غيابه عني هام بي شاب غني كان من جملة الذين صحبتهم الى الصيد وباح لي بغرامه لكنه لم يطلب الاقتران بي وقد مات اليه بعض الميل ولكنني لم اعبأ بشدة اهتمامه بي . وهذا مما حاج فيه لواعج الموجدة . فقال لي في مساء أحد الايام ونحن راجعان من الصيد اني لا بد ان احب شخصاً آخر غيره . فاجبته قائلة انه مخطيء في استنتاجه وانه ان كان ذا عقل فليدع



الكلام عن الحب جانباً ويهتم بشراء بعض الجياد استعداداً لفصل  
الصيد القادم

فعمل بنصحي وذهب الى حيث تباع جياد الصيد في لندن  
واتفق انه كان بين المعروض منها للمبيع الجواد « جاك مادن »  
الذي كان قبلاً لبيتر فلور . فعزم صديقي ان يشتريه لي . لكن  
واحداً من الحاضرين هناك قال له : —

« لا اشير عليك بشراء هذا الجواد لانك لا تستطيع ان  
تركبه ! » [والشخص الذي قص علي هذا الخبر زاد عليه قوله : —  
« ولا يخفى عليك أيتها الآنسة تننت ان هذه هي الوسيلة الوحيدة  
لاغراء الشاري وحمله على الابتياح]

وقال له رجل آخر : — « لا اوافقك على رأيك هذا .  
فالجواد من خير ما يقتنى . ولما كان لبيتر فلور رأيتُ الآنسة  
تننت ممتطية صهوته وهو يعدو بها كعدو الطائر »  
فسأله صديقي : — « وهل ركبت الآنسة تننت جياد  
فلور ؟ »

فاجابه ذاك : — « ان سؤالك هذا يا عزيزي يدل على انك  
لم تعيش في هذه البلاد ! »

• • • • •

وبعد بضعة أشهر كنتُ في اثنائها قد ركبتُ « جاك مادن »  
وغیره من جيادي جاءني صديقي وقال لي ان عنده سرّاً يروم

ان يقضي به اليّ بشرط ان اقسم له على الكتاب المقدس باني  
لا ابوح به لاحد . وبعد ما اقسمت له قال : —

« ان محكمة الافلاس كانت عازمة على شهر افلاس صديقك  
بيتر فلور الذي هو الآن في الهند وعلى منعه من دخول جميع  
الاندية في لندن . فذهبت الى سام لويس واوفيت دين فلور .  
لكنني لا اروم ان يعلم شيئاً عن هذا الامر ولن يعلم الا اذا  
اخبرته أنت »

مرغو : — كم عليه من الدين ؟ ولمن هو مديون ؟  
صديقي : « عليه عشرة آلاف جنيه . ولكن غير مأذون  
لي ان اذكر اسم الدائن »

مرغو : « هل بيتر فلور صديقك ؟ »  
صديقي : « لا اعرفه شخصياً . ولم اكله قط في حياتي .  
ولكن حسبي انه الرجل الذي تحببته »

. . . . .

ولما مضت سنة كاملة على غياب بيتر وكان — على ما اعلم —  
باقياً في الهند عزمت عزماً باتاً على عدم تجديد علاقات الصداقة  
معه . وذهبتُ حسب عادتي في الشتاء الى بيت اللورد مانرس  
للتفرغ للصيد والقنص

وفيما انا أحدث نفسي هناك بوجوب الثبات على هذا العزم  
اذا به عاد بغتة على غير انتظار مني . ولم يلبث ان زارني . وطفق

يحدثني عما شاهدته في الهند من المناظر وعرض له من الوقائع .  
ثم استطرد الى ذكر دينه فقال انه كله اوفاه عنه محسن كريم ابني  
سلام لويس ان يخبره باسمه على رغم شدة الحاحه عليه لانه وعد  
ذلك المحسن الكريم بقسم انه لن يبوح باسمه

فخفق قلبي واندفعت بحمقي وطيشي الى ان قلت له : —  
« الله ما اكرم ذلك الرجل ! ولكنك عازم على ايفائه .  
اليس كذلك يا بيدر ؟ »

بيتر : « لا ريب فيه ! اذاً لعلك قادرة ان تخبريني من  
هو ... »

مرغو : « من أين لي ذلك ؟ »

بيتر : « هل تعرفينه ؟ »

مرغو : « لا »

وحينئذ خيل اليّ انه صاح الديك (١). ولحسن حظي اشتغل  
بيتر بتحية اصدقائه وسرني جداً انه لم ينظر الى وجهي ليشاهد  
علامات الارتباك عليه

وبعد أيام ذهبت مع بيدر الى سباق وهناك رأيتُ صديقي  
الجديد — صاحب الجواد « جاك مادن » — يكلم ولي العهد

(١) اشارة الى قصة بطرس في الانجيل حين انكر معرفة  
المسيح وصاح الديك

واقترح ولي العهد ان نذهب كلنا لمشاهدة جواد عقيلة لغتري  
المشهور بانه شديد الجموح وصعب القياد

ولما جئنا الى حيث كان الجواد فسمح لنا الجمهور بمجالاً  
للاقتراب منه فوققت والى جانبي صديقي القديم يليه بيتر فلور  
فولي العهد . وكان الجواد قد عصبت عيناه ورفع خادم الاصطبل  
احدى يديه . فلما امتطاه احد ركاب خيل السباق « جوكي »  
ورفعت العصا عن عينيه وثب في الهواء ورفس رفسة عنيفة  
جداً . وكنت قريبة منه فشعرت بشدة تأثيرها في الهواء المحيط  
بي لانه هب عابثاً بشعري . وحينئذصرخ صديقي صرخة طفيفة  
وطوقني بذراعه جاذباً اياي نحوه . فشكرت له حسن اهتمامه  
بوقائتي وتمحلت نحوه ولي العهد فتحدثنا ملياً . ثم رجعنا كلنا  
من حيث اتينا

ولم تسنح لي في ذلك اليوم فرصة الكلام مع بيتر . ولكنني  
رأيت وجهه مغشياً بسحب القلق . وفي اليوم التالي — وكان يوم  
احد — طلبت اليه ان يصحبني الى الاصطبلات بعد الخروج  
من الكنيسة فاني . وذهبت وحدي . وبعد العشاء حاولت ان  
اكلمه فلزم الصمت ولم يحرج جواباً . ولاحت على وجهه علامات  
الحزن . وصعدنا كلنا الى مخادعنا قبل الوقت المعتاد . وظل بيتر  
في الطبقة السفلى يطالع . واذ انه لم يسبق له قط عادة المطالعة في  
الشتاء تحققت ان أمراً ذا بال عرض له . فنزلت الى الغرفة ولم يكن

فيها غيره . لكنه لم يرفع نظره الي : --

مرغو - « ماذا حدث يا بتر حتى انقطعت عن الكلام

معي ؟ »

بتر : « ارجو ان تركيني وترجعي الى مخدعك »

مرغو ( جالسة على المقعد بجانبه ) : « افلا تكلمني وتخبرني

بما جرى ؟ »

بتر ( واضعاً الكتاب من يده وناظراً الي متفرساً : « لا

اروم ان اكلم كاذبة مثلك ! »

مرغو ( ناهضة كمن اصيب بطلق ناري ) : « كيف تجسر ان

تخاطبني بمثل هذا الكلام ؟ »

بتر : « لانك كذبت علي »

مرغو : « متى ؟ »

بتر : « أنت تعلمين جيداً ! انك عاشقة ! انت تعلمين ذلك

فهل تنكرينه

مرغو : « أمن هذا أنت قلق ومضطرب ؟ وما تقول اذا

اخبرتك بانني لست كما تتهمني ؟ »

بتر : « اقول انك تكذبين أيضاً »

مرغو : « هل كذبت عليك قط يا بتر ؟ »

بتر : « ما ادراني ! لقد كذبت مرتين . ويظهر لي انك

تعودت ذلك في غيابي »

مرغو: « بيتر ! »

بيتر: « ان الرجل لا يصرخ كما صرخ د . امس ان لم يكن عاشقاً . فهل لك ان تخبريني من اوفى ديوني ؟ »

مرغو: « لا . اريد »

بيتر: « هل هو د . ؟ »

مرغو: « لا اقول . لست انا سام لويس . وما دمت تعدني كاذبة فلماذا تسألني هذه الاسئلة التافهة ؟ »

بيتر: « آه يا مرغو ان هذا اشد ضربة اصابتنني في حياتي ويلوح لي انك تخادعيني . اني عالم الآن من أوفى الديون »  
مرغو: « اذاً لماذا تسألني ؟ »

بيتر: « قبلما ذهبتُ الي الهند لم اكلم د . قط . فاذاجمله على ايفاء ديوني ؟ . وخير لك ان تصدقيني القول وتفصلي الخطاب فالامر مقضي وانت عازمة على الاقتران به »

مرغو: « اذا كنت قد تعودتُ الكذب كما قلت لي فلماذا لا تكفي نفسك مؤونة القاء مثل هذه الاسئلة الخسيسة ؟ »  
بيتر ( ممسكا يدي بالتياح وتألم ) « قولي انك لست عازمة على الاقتران به . . . قولي لي قولي ان هذا غير صحيح ! »

مرغو: « لماذا اقول ؟ فانه لم يطلب الي الاقتران به على

الاطلاق »

وحينئذ اتسح المجال لمطارحة الحديث عن الزواج . ولم  
 « كلني في هذا الموضوع اشتد في القلق والانزعاج لاني علمت  
 بانه سينتهي بالقضاء على صداقتنا . وقد افضى الى ما هو شر من  
 هذا — الى وقوفي موقف المخالفة لارادة أبي الذي كثيراً ما  
 قال لي : —

« لن تقتري بفلور . يجب ان تقتري بمن هو فوقك لا بمن  
 هو دونك »

وكان بيتر نفسه شاعراً بخرج موقفه من هذا القبيل . فانه  
 قال لي في مساء أحد الايام ونحن راجعان را كين مشيراً بيده الى  
 الى منارة كنيسة ماتون : —

« هل تنظرين تلك المنارة ؟ انك مثلها ، فانت منارة حياتي  
 ولا استحق زراً حداثك ! »

مرغو : « خل عنك هذا الكلام . ولكن على كل حال لا  
 اري زواجنا في مصلحتنا »

قلتُ هذا والاسف ملء فؤادي . لان مجرد افكاري في ان  
 اعيش العمر مع رجل لا يستطيع ان يحب أحداً آخر خارجاً عن نفسه  
 وعني وهو خال من كل طموح ادبي وليس له أقل اهتمام بالامور  
 الدينية والشؤون السياسية — مجرد افكاري في هذا كانت  
 وطأته على قلبي أشد من وطأة الكابوس على جسم النائم . ثم  
 قلت له : —

« ما كنتُ قط لارفض الاقتران بك يا بوتر لو كان لك منصب  
او مقام ذو شأن . ولكنني آبي كل الالباء ان اقترن برجل مكسال  
لا يبالي الا بنفسه وبني »

بيتر : « بماذا ترومين ان اهتم ؟ بالجغرافية ؟ »

مرغو : « خل عنك التجاهل . فانت عالم مرادي حق العلم  
ان قواك كلها موجهة الى المنازلة لا الى الحب الحقيقي . فلست  
محباً لاحد غير نفسك »

فابتعد غني متألماً من شدة وقع هذه الضربة وقال  
بلهجة قاسية : —

« يسرني اني لم اتقوه بمثل هذا الكلام الفظ . واني بعد  
الآن ارثي من صميم فؤادي لحالة من يسوقه سوء الحظ الى  
الاقتران بك ! فانه سيظن في أول الامر — كما ظننت أنا — انك  
محبة ذات شعور حي وحنو صادق ولطف حقيقي ولاكنه يرى  
نفسه أخيراً انه تزوج امرأة ذات صلف وغرور ويجد ان حرارة  
محبتها التي تباهي بها وتفخر ليست سوى نار آكلة تحرق القلوب  
وتشق المرائر »

وحينئذ شاهدت من بوتر شخصاً آخر لم اعهد قط من قبل  
وقد هالني منظر وجهه الدال على شدة آلام نفسه . فدنوت منه  
والقيت رأسي على رأسه وقلت له : —

« أفي استطاعتي بعد هذا كله ان اتوقع منك اقل امانة



واخلاص يا عزيزي بيتر ؟ »

\* \* \* \* \*

وكانت حادثة عقيلة بو التي ذكرتها في الفصل السابق عبارة عن درس مفيد لي علمني ان احذر الناس واعاشرهم على دخل .

وبعد ايام لاحظت امرأة سمراء حسنة الطلعة تقتني أثريتر فلور في كل مرقص ومجتمع . ولما كلمته على سبيل المداعبة والمضاجرة قال لي انها اخفقت في استمالته اليها ولم تقزمه بطائل واني تملكته مدفوعة بعامل الغيرة . فاجبته : —

« لا ادري هل كان هذا من غيرتي . لكنني مقتنعة كل الافتناع بان هذه المرأة لبئس الصديقة لك »

بيتر : « اراك على الدوام تستهجنين كل ما يخالف رغبتك ولا يأتي وفق مشتهاك ، ولكن لماذا ابدل حياتي لاجلك ؟ واي عوض انال منك ؟ اني اضحوة لندن ! ولكن قد يسرك ان تعلمي اني لا ابالي بالسيدة السوداء — كما تلقينها — ولا اراها الا في الاجتماعات »

وقد بلوت بيتر وعرفته كما يعرف القط طريقه في الظلام . وأراه أصاب بقوله أي عوض ينال مني ؟ على اني لم اشعر باقل ميل الى الحجاج واللجاج وفي ذات يوم طلبت اليه ان يوافيني في مكان عينته له .

فادهشني قوله انه سبق ورتب ان يذهب لعيادة شقيقته المريضة وكانت السيدة الملقبة بالسوداء الحت علي غير مرة ان ازورها فامتنعت فخطر لي اليوم ان ازورها لاني كنت غير متقيدة فيه بان ازور او ازار . وكان الحرُّ شديداً جداً والشوارع والحدائق خاصة بالنساء البارزات في ملابس كلها مخف ورق وقصر وصغر الا البرانيط فانها كانت لشدة كبرها اشبه بالمظال

ولما بلغت منزل السيدة وقرعت الجرس فتح لي الخادم . واذ سمعتُ صوت البيانو قلتُ له : — « لا تعلن اسمي » ثم دخلت وفتحت باب الغرفة فوجدت بيتر جالسا بجانب السيدة على مقعد بجانب انبياز . وكانت لابسة ثوباً فضفاضاً (واسعاً) من حرير اسود لا كمين له كثير الانفتاح من جهة العنق وهو مشدود بنطاق مرجاني اللون وعلى شعرها الاشعث وردة بيضاء . فوقفت لا ابدى حراكاً مفتونة بجهاها ومدهوشة بمشاهدة بيتر هناك على غير توقع ولا انتظار . فخفت ناهضة ترحب بي مبدية شدة سرورها بزيارتي وشاكرة حسن الحظ الذي اسعدها بمجيئي ولا سيما في عصر ذلك اليوم لانها موعودة بزيارة رجل اسباني بارع جداً في البيانو فاطرب بسماعه لان بيتر حدثها عن شدة تضلعي من الموسيقى الخ . الخ . الخ . واعتذرت عن مقابلتي في ثوب كهذا قائلة انها كانت عند المصور ، ولم تغير لبسها لانها لشدة الحر لم تتوقع زيارة أحد . وقبلما اتمكن من الجواب قالت لي

انها اساءت الى بيتر في منعه عن القيام بما وجب عليه بعد ظهر ذلك اليوم . الى ان قالت وعلى عينها غمزة خفيفة : —  
« ومما عرفته عنك أيتها الآتسة مرغوارى انك ما كنت قط لتقدمي على فعل ذميم كهذا »

فأخذتني قشعريرة كاد يجمد لها دمي وقلت : —  
« لا تصدقي ما سمعته عني ! فقد عثته عدة سنين عن المسير في سبيل الواجب . اليس كذلك يا بيتر ؟ »

ثم تلا ذلك سكوت ازعجني وتعنيت حتى وجدتُ وسيلة للخروج من هذا المأزق . وما لبثت ان ودعتها وانصرفت ولما بلغتُ غرفتي اقفلت بابها وانطرحتُ على مقعدي واستغرقت في البكاء وذرف الدموع . حقاً لقد اصاب بيتر بقوله : « لماذا ابذل حياتي لاجلك ؟ » . نعم لماذا ! ولكن مع هذا كله ارى هذه النهاية امرأ مخيفاً لا اطيع احتمالها

« أيّ عوض ازال منك ؟ » . نعم أيّ عوض ؟ بل أي حق لي ان اطالبه بالامانة والاخلاص ؟ كنت اظنني اقايض ذهباً بفضة ولكن السيدة السوداء عدتها مقايضة نحاس بذهب ، فهل هي موطنه نفسها على بذل كل شيء من غير ان تنال شيئاً على الاطلاق ولكن لماذا اقول هذا ؟ وما هو مبلغ علمي بمحبة بيتر لها ؟ كل ما عرفته محصور في انها علمته الكذب . ولا بد انه يحبها محبة شديدة مكنته من حفظ ما تعلمه . لم يكذب علي قط من قبل

وفي مساء ذلك اليوم صحبت ابي وامى الى الاوبرى . وجاء  
بيتر الى اللوج الذي كنا فيه والبؤس والشقاء مخيان عليه . وبعد  
دخوله ناولتني الخادمة رقعة طالبة الجواب عنها . ففتحتها وقرأت  
فيها ما يلي : —

« اذا شئت ان تصنعي معروفًا عظيمًا فتفضلي بمقابلتي في بيتي  
الليلة بعد خروجك من الاوبرى . لا تقولي لا »  
فارتها لبيتر لانها كانت من السيدة السمراء فقال لي « اذهبي »  
فسألته ماذا تريد مني فقال انها في يأس وحزن لا مزيد عليهما .  
قلت :

« آه يا بيتر ماذا فعلت ؟ »

بيتر : « قطعت علاقتي بها الى الابد »  
فكتبت على الرقعة نفسها « نعم » واعطيتها للخادمة  
وبعد خروجنا من الاوبرى اخبرت والدتي بما كنت عازمة  
عليه . وكان بيتر في انتظاري فذهب بي في مركبة الى منزل السيدة  
وقال انه ينتظرنى . وكان ذلك بعد منتصف الليل

ففتحت لي منافستي الجميلة البوابة الخارجية وصعدت بي الى  
مخدعها . فجلسنا على كرسيين متقابلين ونظرت اليها وهي في ثوب  
النوم — من حرير ازرق — فعامت انها كانت قبل مجيئي مسترسلة  
في البكاء والنحيب . وما عمت ان قالت لي : —  
« أشكر لك تفضلك بالمجيء . واظنك تعلمين لماذا اردت

الاجتماع بك الليلة »

مرغو : « لا . ليس لي أقل علم بذلك ! »

السيدة ( حائرة ) : « اروم ان تحدثيني عنك »

فاستهجننت هذه الفاتحة . لانها دعتنني لاحدثها عن بيترفلور  
لا عني . ولكن لماذا احدها عنه او عني ؟ لماذا اجالس غريبة  
عني واحدها عن نفسي في مثل هذا الوقت من الليل . فقلت لها  
انه لا شيء عندي لاقوله لها . فاجابت بانها لقيت اناساً كثيرين  
يهتمون بي حتى انها كادت تعرفني قبلما رأتنى . فقلت : — « اذا  
لم تبق حاجة للكلام عن نفسي »

السيدة : « لكن بعضهم يهتم بنا كلتينا »

مرغو ( بشيء من الاستخفاف ) : « ربما »

السيدة : « ارفقي بي . اود ان اعلم هل تحبين بيترفلور ...

هل ترومين الاقتران به ؟ »

احيراً انتهينا الى السؤال المهم . هذا السؤال الخطير الذي  
لم يسألني عنه أحد حتى أمي نفسها وكانت دائماً تجتنب توجيهه  
اليّ ! أفلاّن أُجيب عنه .... سيدة غريبة ؛ فقلتُ وقد بذلتُ  
جهداً في ضبط نفسي : —

« لعلك تعنين بسؤالك هل انا مخطوبة ؟ »

السيدة : « اعني ما قلته . هل انت عازمة على الاقتران

ببيترفلور ؟ »

مرغو : « لم اقل له قط اني عازمة على ذلك »  
 السيدة ( بكل تأن ) : « لا تنسي ان حياتي موقوفة على  
 جوابك »

وقد خرجت كلماتها من فيها كأنها جرات نار . حتى اني شعرت  
 بشيء من الرفق بها . وكانت منحنية الى الامام وعيناها شاخصتان  
 في عيني ويداهما مشبوكتان احدهما بالآخرى بين ركبتيها .  
 ثم قالت : —

« اذا كنت لا تحبينه محبة تكفي لهلك على الاقتران به  
 فلماذا لا تتركينه لي ؟ لماذا تبقينه معلقاً بك ؟ لماذا لا  
 تطلقين سراحه ؟ »

مرغو : « انه حر في ان يحب من يشاء . لست بمكرهة له  
 على الارتباط بي . لكنني لا اشارك أحداً — أيا كانت —  
 في محبته »

السيدة : « لا تحبينه ولكمك شديدة الحرص عليه وفي  
 ذلك ما فيه من الغرور ومحبة النفس ! »

مرغو : « ليس هذا صحيحاً ! اني مستعدة لاطلاق سراحه  
 من غد . وقد قلت له ذلك الفمرة ان كان يروم الزواج .  
 ولكنه غير قادر عليه »

السيدة : « عجباً كيف يمكنك ان تقولي هذا ان ديونه  
 كلها قد اوفاهها عنه — الله يعلم من — لعابها تكون امرأة !

وانت نفسك غنية . فماذا يحول دون اقترانك به؟

مرغو : « ليس هذا موضوع افكارى . وما اظنك قادرة على ادراكه ولو اوضحته لك »

السيدة : « لو كنت تحببته حقيقة لما استطعت ان تكونى شديدة المراقبة والانتقاد الى هذا الحد : »

مرغو : « ذلك ما استطيعه بكل سهولة ! انك لا تعرفينى السيدة : » « انى احبه حباً تعجزين عن ادراك كنهه . ومستعدة لان اضحي فى سبيله بكل عزيز و غال »

مرغو : « ماذا يمكنك اجراؤه فى سبيل مساعدته ؟ »  
السيدة : « انى مستعدة لان اهرز زوجى واولادى واذهب معه الى حيث اراد »

فكان لكلامها هذا فى قلبى وقعاً أشد الماء من طعنة خنجر :  
وقلت لها : —

« تهجرين زوجك ! واولادك ! وأى مساعدة يناهايتى رفلور من الشقاء الذى تجلبينه على نفسك وعلى أهل بيتك ؟ وما اظنه يرضى بفعل رجس دنس كهذا »

السيدة « افتظنين ان شدة محبته لك تحول دون اقدامه على الهرب معي ؟ »

مرغو ( بغيظ وحنق ) : « لا اعلم »  
السيدة ماذا تعرفين عن المحبة ؟ لقد كان لى مئة محب وعاشق

ويتر فلور هو الرجل الوحيد الذي به عنيت واليه وجهت اهتمامي  
فان لم تركيه لي قضي عليّ ومتُ غمّاً ويأساً .

مرغو : « خلي عنك البحث في ما لا معنى له . فقد سبقت  
وقلت لك انه حر طليق يفعل ما يشاء »

السيدة : « وانا اقول لك انه ليس حراً ! وهو يعدُّ نفسه  
مقيداً . وقد اطال الكلام معي بعد ظهر اليوم في هذا الموضوع  
عند ما اراد ان يقطع علاقته بي »

مرغو : « والان ما الذي ترومينه مني ؟ »

السيدة : « ان تقولي لبيتر انك لا تحبينه محبة صادقة  
وانك غير عازمة على الاقتران به وان تركيه وشأنه »

مرغو : « افتردين اذاً ان اتركه لك ؟ هل تحبينه أنت  
محبة صادقة ؟ »

السيدة : « دعي عنك الهذيان ! فلو هجرني انتحرت »  
ولم أر بعد هذا من داع لاطالة البحث معها فقلتُ لها ان  
بيتر له الحق كل الحق ان يفعل ما يشاء واني لا اريد ولا اقدر  
ان اعارضه في ما يعزم عليه من هذا القبيل . واني عما قليل ذاهبة  
مع أختي لوسي الي ايطاليا حيث ابقى على كل حال منقطعة عن  
مشاهدته عدة اشاييع . وان مساعي في هذه السنين كانت  
موجهة الى اصلاح شأنه واعداده لان يكون رجلاً صالحاً



لاقتراني به . اما مساعيها هي فمخالفة لذلك على خط مستقيم .  
ثم أخذت أتمياً للانصراف فقالت لي ! —

« بقي دقيقة . اروم ان اتحقق بنفسي هل انت كما يصفك  
بيتر من حيث جودة النفس وصلاح القلب . لا تجيبي حتى انظر  
الى عينيك »

ثم دنت مني وفي يدها شمعتان . وبعد ما اطالت التفرس في  
عيني جثت امامي على ركبتها . فنظرت الى عينيها المتقدتين بنور  
الهباج ومددت يدي نحوها وقلت : —

« انهضي انهضي : لست على شيء من الصلاح : ويحزني جداً  
جداً ان اراك جاثية عند قدمي »

السيدة (ناهضة فجأة) : « ناشدتك الله ان لا تأخذك اقل  
شفقة علي » :

ولما رجعت الى غرفتي وتأملت ملياً في الحديث الذي دار  
بيني وبين تلك السيدة وتمثلت لدي حالة بيتر الحقيقية وجدت  
ان بيني وبينه تبايناً عظيماً . وعزمت عزماً ثابتاً على الابتعاد عنه  
وبعد ايام زارني اللورد دوفرني في غروفنرسكوير وقال لي : —  
« حتى متى يا مرغو تهملين أمر الزواج ولا تلتفتين  
اليه ؟ فقد بلغت السابعة والعشرين . ولا يخطرن ببالك ان الحياة  
تظل مصافية لك ومسالمة اذا بقيت جارية فيها هذا المجرى . هل

يخامرك اقل ارياب في كوني صديقاً قديماً لك واني احبك واغار عليك ؟ اذا دعيني ازودك بهذه النصيحة : ينبغي لك ان تزوجي على رغم كونك تحبين . ولكن لا تجعلي الحب سبب الزواج «  
وقبلما شخصت الى ايطاليا ودعت بيترو ودعني وداعاً كان خاتمة اللقاء بيننا

وقد تقس افراقنا كرب اصدقائي تنفيساً طال ترديدهم له وتحديثهم عنه حتى تضايقت منه تضايقاً حملني على اجتنابهم والالتجاء الى رجل غريب



## الفصل الثاني عشر

عرفت زوجي أول مرة في وليمة عشاء اولمها سيريل (١).  
 اخي بيتر فلور سنة ١٨٩١ . وكنت الى ذلك الحين لم اسمع به  
 وهذا ما ضاعف اسفي على اضاءتي ايامي الماضية باطلاً (٢)  
 وقد اقيمت هذه الوليمة في مجلس النواب . وجلست فيها  
 بجانب زوجي ولم يلبث ان استماني اليه برقة حديثه وجمال وجهه  
 المطبوعة عليه صورة وجه كرومول . ورأيت حينئذ — كما لا  
 ازال ارى الى الآن — انه متى شرع في محادثة جليسه ايا كان  
 اراح سمعه وادخل السرور الى قلبه . وتلك موهبة قل من يؤتاها  
 من الناس . وكان يختلف عن غيره ممن عرفتهم قبله . ومع انه لم  
 يكن من المحافظين على الازياء في ملابسهم فقد كان ذا شخصية او  
 وجاهة رائعة حتى اني على الفور حكمت بانه هو الرجل الذي

(١) المرحوم اللورد باترسي

(٢) المترجم : كأنني بها تامح الى معنى ابي الطيب بقوله في

أحد ممدوحيه : —

كريم لفظت الناس حين بلغته      كأنهم ما جف من زاد قادم  
 وكاد سروري لا ينفي بندامتي      على تركه في عمري المتقادم

يقدر ان يأخذ بناصري ويستحق ان يطلع على سرائري  
وبعد ما فرغنا من تناول العشاء خرجنا كلنا الى الشرفة .  
واسعدني الخط بان وجدتُ صديقي الجديد جالساً بجانبني .  
وحاول اللورد باترسلي ان يفصل بيننا بهزله المألوف ومزاحه  
المعروف فلم يفاج . ثم خلوتُ بصديقي الجديد في جانب الشرفة  
حيث استندنا اتي حاجز ما واطمانا منه على الزهر وظلانا تتجاذب  
اطراف الاحاديث الى آخر مزيج من الليل

ولم يدر قط في خلدي انه كان متزوجاً . عن اني لو علمت ذلك  
لما كان به أقل تأثير في . واما لما وجدتُ هو زوج بيتر فلورغيري  
لانه كان اكبر مني بثلاث عشرة سنة . وانكن الزواجه لم يكن  
الغرض الذي وضعناه امامنا

ثم اجتمعت به بعد ايام في بيت أحد اصدقاء القدماء  
الانزلاء السراجونوز وست حيد . تناولنا العشاء . وانه عادت  
حينئذ انه متزوج . واما حديثي به يومئذ فهو تمهيد . فحينئذ  
وقد تمقت في ا بعد صحة هذا الامر فهو ان كذبت حتى الآن .  
ويسرني اني لم الاحظ ذلك في حينه . انني كبيراً ما كنت ارجو  
منه اشارة المنتهين بصفة الحسنة والامتناء . لاني احب  
الودعاء المتواضعين وارثي لحالة الجبهة الخوف وكنتني انما اتي  
من المستحقين المحتشين

هذا ولا يسعني القول ان زوجي كان سيئاً . اعني الحقيقة  
ان امكرويت

الموضوعة له هذه الكلمة. فهو قليل اللباقة في حركاته. يتورد خجلا اذا مدحه مادح ولكني لم أره قط في أحد مجالس الهيئة الاجتماعية يحير ويرتبك لمعضلة من معضلاتها . ومما شاقني منه منذ تعرفت به صدق نظره الفريزي في من يعاشرهم على اختلاف اطوارهم وفي ما يعرض له من الاسور علي تنوع اشكالها . زد على ذلك ذكائه الطبيعي ومعارفه الاكتسابية ونقصانه العجيب الغريب من الزهو والنرور ووداعته المنقطعة النظير

هذا بالاختصار وصف بعض مزايا ذلك الرجل الذي توثقت بيني وبينه عرى الصداقة منذ اجتمعت به على مائدة العشاء في مجلس النواب . ولما توفيت زوجته وجدت نفسي في اخرج المواقف . فقد راغني الاغترار في ان اكون زوجة ارمل وراثة أولاده . ولكنه حان وقت الفصل في أمر ينفضي الى تغيير تام في حياتي . وكنت مدة ارتباطي بصداقة بيتر فلور اواصل الكتابة اليه كل يوم — في ما خلا الشهور التي قضاهاني الهند هارباً من وجوه دائنيه — وأصلي لاجله كل ليلة . ولكنني لما عقدت عزبي على الانفصال عنه طويت من سجل حياتي صفحة لم يبق قط من سبيل الى نشرها . ولما اسرّ اليّ هنري اسكويث انه ينني بي ناجاني ذلك، الصوت الداخلي — الذي يشعر به كل منا على تفاوت في انثناء والوضوح — قائلاً لي اني لا اكون مخلصاً لنفسي ولا جديرة بالحياة اذا قرع رجل كهذا بابي ولم افتحه له

ولما ذاع خبر خطبته لي وعزمه على الاقتران بي كان له رنة دهشة واستغراب في بعض الدوائر والمجالس حتى ان اللورد روزبري واللورد رندل تشرشل مع اجتنابهما التعرض لشؤوني لم يسعهما الا ان يبديا شدة تأسفها على حصول هذا الامر. وكثيرون غيرهما شاركوهما في الخوف على مستقبل اسكويث من هذا القران . واخوف ما خاف عليّ اصدقاءني الاخصاء اقدامي على خطر الدخول في أسرة تربي اولادها على غير منهجي والاقتران برجل لا يميل الى شيء من الالعب الرياضية التي لي بها ولع شديد وليس عنده من المال الا ما يحصله من اشتغاله بالحمامة

وأشد أسف كان من رفقائي في الصيد لاني لم اقترن برجل من مشاهير الصيادين وقالوا لي انهم كانوا عازمين على توقيع عريضة يطلبون فيها اليّ ان لا انتطع عن مزاولة الصيد. ولكنهم عدلوا عن ذلك مخافة ان يعد منهم فضولا او تعرضاً لما لا يعينهم وهاجت الخواطر لخبر خطبتي في شرق لندن كما في غربها وجاءتني الرسالة الآتية بتوقيع « مارك » : -

« عقد بعد ظهر امس البطانون في شرق لندن اجتماعاً خطب فيه جون ولیمس المعین من قبل التحالف الديموقراطي الاشتراكي لتنظيم الحفلة فقال انهم طافوا امس في شوارع غرب لندن ليخبروا اخوانهم العمال البطالين المقيمين هناك بانهم هم باقرون أحياء يرزقون

وقال انه قرأ يوم أول من أمس اعلاناً اسال الدموع على خديه  
 في أول الامر لانه خيل اليه انه يقرأ : — المستر اسكويث عازم  
 ان يتجنز ! ، . ولكنه اتضح له فيما بعد أن صحة الكلام : —  
 المستر اسكويث عازم ان يتزوج ، . وبناء عليه يقترح ان العمال  
 البطالين في شرق لندن يقتدون باهل غرب لندن ويبعثون الى  
 جناب المكرم المستر اسكويث برسالة تهنئة هذا نصها : — ' بلغ  
 العمال البطالين في شرق لندن ان المستر اسكويث عازم على الارتباط  
 بعهد ازواج المقدس . ولما كانوا عالمين بانه لا يؤاسي العمال البطالين  
 ولا يعطى عليهم وانه استخدم مؤخراً نفوذهم في مجلس النواب  
 لتحقيقهم والنفذ من كرامتهم فهم بالاجماع يرجون بل يتمنون  
 ان شريكة حياته تكزن شر وبال عايه فتضطره مكاره عيشته  
 البيتية الى اطلاق حيانه السياسية التي هو ليس أهلاً لها ، ولما  
 تلبى هذا القرار علي الحضور قابله بضجيج الضحك وهتاف  
 الاستحسان . ثم نهض المستر كروتش نائب اتحاد عمال الاحذية  
 وثنى هذا الاستدعاء وايده عدد كبير من المتكلمين نوافق  
 الحضور دابة )

لما كنت لم استعجب ان يطول عهد الخطبة وكنت بهتمة  
 ان . انهم لم يستخلص من سبل النماذج الجارية التي تدفق علي  
 من ج . مع مهديتاتي واصدقائي سمينه جهايم لا سرخ في الاستئمال  
 بانتر نازورنم قاتي الاعداء والانساء جرى ذلك في كنيسة  
 اندرياس ج . رجبوس في هذوفر سكوير في اليوم الـ ٢٠ من

مايو سنة ١٨٩٤ . والمسافة بين غروفنرسكوير والكنيسة قصيرة  
ولكن اربعة الشوارع من باب بيتنا اليها كانت غاصة بالشاهدين  
وقد قالت لي وصفة أختي شارلوت ان أحد الرجال لقيها خارج  
باب الكنيسة وعرض عايتها عشرة جنيهات في ورقة الدعوة التي معها  
ولما ابت ان تعطيها له قال لها : — اعطينيها وخذي مني ما شئت  
لاني اروم حضور الاحتفال باكليل الأتيسة مرغو تننت !  
ولكنها رفضت ان تجيب طلبه رفضاً باناً. ولما سألتها عنه قالت  
نہا لا تعرفه ولم تستطع ان تصفه لي وصفاً يمكنني من معرفته  
وقد وقع عقد زواجنا اربعة من رؤساء الوزارات وهم المستر  
غلاستون واللورد روزبري والمستر بلغور وزوجي





## الفصل الثالث عشر

قل من رزق من رؤساء الوزارات اولاداً مشهورين . اما اولاد اسكويث من زوجته الاولى فقد اشتهروا كلهم في امور مختلفة . فريمون وفيولت امتازا بقوة تأثيرهما في القلوب وارثر اشتهر في شدة ذكائه وسمو مداركه . وهربرت في براعته في الشعر وسيريل في شدة استحيائه وندرة لطافة اخلاقه

اما سيريل اسكويث وهو اصغر اولاد زوجي سناً فقد جمع افضل ما فيهم كلهم من الصفات الادبية والحصافة العقلية . توفيت امه وهو ابن سنتين . وكان في حدائته على جانب عظيم من العناد المأثور عن التنتيين والاسكويثيين . وكان حسب الظاهر اقل اولاد زوجي مشابة لي . ولكننا بالحقبة كنا كلانا كأنا شخص واحد من حيث الاتفاق في المبادئ الروحية والمطامح الادبية التي تقوي لجة الاتحاد بين الناس في هذه الحياة وقولي عنه انه كان اقرب اخوته اليّ واشدهم اختصاصاً بي ليس لاني عنبت بتربيته منذ الطفولية بل لانه لم يخطئ قط في فهمه لي مع انه لم يوافقني على امور كثيرة . قال لي يوماً ونحن نتكلم عن شؤون الحياة وامور الدين . وكان ابن سبع عشرة سنة : —

« لا بدّ انك تستغربين جداً يا مرغو عندما ترى: نننا كلنا نضحك من امور تبكيك »

حدثني صديقي المستر هـ . هارس قال انه حضر يوماً إحدى حفلات الرقص ورأى هناك شاباً أثر فيه منظر وجهه أشد تأثير حتى انه سأل عنه من يعرفه فقال له انه سيريل اسكويث وكان في المدرسة الكاوية مشهوداً له بالاجتهاد والتقدم وحسن السلوك . ولكنه كان نحيف الجسم . ومنذ اقترانه بالآنسة ان بابوك الجامعة بين جمال الطامة وادب النفس عاش قوي الجسم قرير العين

أما أخته فيولت — والآن اللادي بونهم كارتر — فمع ظهور اللطف النسائي الحقيقي فيها كانت حائزة لعزم الرجال وشدة صبرهم على المناعب . فلم تكن قط لتعجز عن اجتياز أي امتحان تقدم عليه في أية كلية او جامعة كانت . وفقدت على عدم الحذر واخوف فثبتت على الرزاة الثامة والصبر المحمود العواقب وكانت مولعة بالاستدلال المسطحي وقادرة على عرض ما نروم اثباته بأقناع وسهولة وفصاحة لا مزيد عليها . وكانت كاخوتها غير معرضة للنأثر ولكنها كانت نفوقهم عزماً واقداماً . وكانت في صباها رقيقة حواسي الطبع وذات شخصية ممتازة وذلك ما حال دون تعرضها للمنافسة التي كانت دائي في ايام حدثاني وكانت كاخيهاريمو نديرة الخاطر ميالة الى المطاينة والمفاكة

وقد رزقت موهبة حسن التعبير وقوة ذاكرة منقطعة النظير .  
 وكانت هي وابنتي اليصابات التأتين الوحيدتين بين جميع الفتيات  
 اللواتي عرفتهن في مشابهنهما لي في شدة اهتمامهما بالشؤون السياسية  
 لا من حيث مجرى الالتفات الى الرجال المنتقلين بها — من  
 مثل خطب فلان خطبة بليغة وترقى فلان الى منصب سام —  
 بل من حيث التضلع من معرفة مسائل البرلمان الدقيقة العويصة  
 وقد كان لهما علم تام بكل ما هو جار من الحوادث الداخلية  
 والخارجية وصلة صداقة باكثر شبان ومشاهير الوقت الحاضر .  
 وعندي ان فيولت بونهايم كارتر لها مستقبل سياسي باهر في البلاد  
 ان لم يكن في مجلس النواب . فهي مطبوعة على فصاحة النطق  
 وحسن الالتقاء وتمتد الذهن وسرعة الخاطر وضبط عراطف  
 النفس وغير ذلك مما يضمن لها التقدم والنجاح

هذا . ولا يصالح مجلس النواب لاقامة المرأة لاسباب كثيرة  
 اهمها الصحة والفائدة . وقد اعدت وجودها فيه من باب وضع  
 الشيء في غير محله . لان وظيفتها كام ووظيفتها كمضو في مجلس  
 النواب متعارضتان وغير متفقتين . وهذا كان أحد الاسباب  
 التي حملت زوجي على المعارضة في منح هذه الحرية للمرأة .  
 وكنت أنا من رأيه ومشاركة معه في الممانعة . وفيولت أم ناهيك  
 من أم ولكنها من صميم الاحرار ولها تلك المواقف التي اشرت  
 اليها فلا بد من ان تنال شهرة مستطيرة وتتموذاً سياسياً كبيراً .

والخطب التي ألقاها هذه السنة في انتخاب ابيها عن مقاطعة بيزلي  
في شهر فبراير ابلغتها في عيوز سامعيها على اختلاف طبقاتهم منزلة  
رفيعة ليس في وسعها ان تتخلى عنها . وكما اعتلت منصة الخطابة  
صاح المنصور من كل جانب هاتفين لها وطالبن ان يسمعوها

• • • • •

ولد ريموند اسكويث في اليوم السادس من شهر نوفمبر سنة  
١٨٧٨ وتتي حتنه في قتاله الالمان قبل اشتباك كتيبته في المعركة  
بعشر دقائق في اليوم الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩١٦  
وكان من أسد الشبان ذكاء واجلهم منظراً وارشتهم حركة  
واسرعهم خاطراً واكثرهم اعتماداً بالحوادث الطارئة . ولوانه  
وجه اهتمامه لتتضلع من فرع مخصوص من العلوم كالتحرق أو  
آداب اللغة لطبقت شهرته فيه اخذت بين . ونكن اعوزه المزاج  
وحدة التصور ولم يكن له طويح الى شيء

تاتى علمه الابتدائية على المهلة البارعة الآسنة كاييس التي  
كان لها مدرسة يومية في همبست . ثم انتقل الى كلية واتستر  
واصبح من تلاميذ بايول وفي جامعة اكسفورد جلي في م. م. هـ  
السبق ونال عدة شهادات تنطق بتفوقه على اقرانه . وفي سنة  
١٩٠٤ غادرها وانتظم في سلك المحاماة

كذا ذات يوم تتناول الشاي ممأ . ولأجل تسلية الاولاد  
أخذت ألقى عليهم الفازاً . وقلت لهم اني حلت لغزاً واحداً في

حياتي ولكنني قضيت ثلاثة أيام في حله . فسألوني ما هو .  
فقلت : —

« ما هو الشيء الذي لم يره الله قط ويراه الملوك نادراً ونراه  
نحن كل يوم : »

فاجاب ريموند على الفور : —

« المزاح »

وحينئذ رأيتُ ان الحل الحقيقي الذي هو « الكفو » أو  
« النظر » لا يذكّر بجانب حل ريموند

وكان ريموند منذ حداثة لطيف المعشر حسن الخلق . ولم  
يغتنظ مني في حياته كلها الا مرة واحدة وذلك ان زوجته واباه  
كانا ذات يوم يسددان الاحاح عايه في الاشتغال بالسياسة  
وقبول دعوة جماعة من الاحرار في احدي المدن الشمالية كانوا  
قد رشحوه نائبا عنهم في مجلس النواب . ولكنه تلكأ عن  
تلبيةهم بحجة ان قبول كهذا يضطره الى الاختلاط بطبقة من الناس  
لا قبل له على تحمل مضض معاشرتهم فخالفته في ذلك وقت له  
أن اتصاه بالعامة يفيد في كل حال ويجعله رجلا في الرجال فنتى  
عليه اني تصديت لمعارضته ولم يسمعه كنظم غيظه مني

وفي سنة ١٩٠٧ اقترن بكاترينا هورنر وهي فتاة ذات حسن  
وادب وذكاء وبعيدة مثله عن الصاف والنور . وعاشا معاً في  
رفاء وصفاء كانا دائماً منسأً سروري وابتهاجي لاني كنت من

بعض الوجوه معينة علي تمهيد سبيل اقترانها وتمتعها بسعادة الحياة الزوجية . وكاترينا هي ابنة اللادي هورنر التي كانت خدناً عزيزة لشقيقتي لورا ولا تزال صديقتي المحبوبة

وكان ريموند كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً . وله عدة قصائد تشهد له بالبراعة في فن النظم والتفوق في ابتكار المعاني . منها قصيدة « منيح الفتاة » ومرتاة ابن فيها أحد اصدقائه الاعزاء . وقد توفي فجأة في عنوان شبابه . ولم يكن حزني عليه أقل من حزن ابيه . بل لو كانت والدته حية لما كانت فجيعتها به أشد من فجيعتي .

وعلى أثر وفاة جاءت زوجي كنب تعزية كثيرة من اصدقائه ومعارفه . وكان اشدها احتواءاً للتعزية الحقيقية الكتاب الآتي الذي ارسله اليه السر ادورد غراي — وهو الآن الاررد غراي أوف

فلودن — : « ٢٣ اكلستن سكرير

١٨ سبتمبر سنة ١٩١

« عزيزي اسكويث

مضى جيل على وفاة ام ريموند . واذ نرى تلك السنين التي انقضت تجعل مؤاساتي لك وشعوري معك أشد مما كانا حينئذ ان فقيده ريموند عاش عيشة مجيدة منزهة عن كل عيب . وقد حملته بسالته على اختيار اخطر المواقف في هذه الحرب فحضر

ففيها بسهم استبج الرجال ومات موت الابطال  
 « وان كانت ممزدة الحياة الدنيا منتهى كل شيء فطولها  
 وقصرها سياتي . واذا لم تكن كذلك فميرة ريموند على الارض  
 جزء من شيء لا يحدث فيه موته اقل نقصان بل انه سيزيد عظمة  
 وشرفاً بسيره السعيد وموته المجيد

« وفي اعتنذي ان الذين يفصلهم الموت عنا لا يسمعون  
 بالم فراق احبائهم على الارض . وان سني انفصالهم عنا — قلت  
 او كثرت — ليست سوى امس

« واذا صحّ ذلك كان ألم الفراق ومآل الانتظار وعناء  
 الاحتمال من نسيبتنا نحن الباقيز هنا . واما احباؤنا الازلاء الذين  
 فارقونا فلا يشعرون بسوء من ذلك على الاطلاق . وفي هذا  
 ما فيه من العزاء عند ما نرأى بفقد احد الاحباء

اما حربي الآن فهو ناشئ على الخصوص عن شعوري بثقل  
 الخطب المنتفض علي زوجة ريموند . اجل ان مصابها فيه عظيم .  
 وراي ان عليك الحقيقتي باستراة اصداقائك بل الامة كلها  
 معك في هذا الخطب الجبال يخفف عنك شيئاً من ساءة رطائه  
 او يعينك على مواصلة خدمة الامة بعمالك الذي يزيد كل يوم  
 همية وخطورة

« صديقك المحب

« انورد راي »

أما أخوه هربرت فانتظم في سلك الخاين وكان رقيق الطبع  
لين العريكة . وكان شاعراً . حسن السارب جيداً . بتكار . نظم  
قصيدة عنوانها : التطوع لقيت استحساناً عظيماً من جميع  
قارئيهما وكان ذلك قبل ذنوب الحرب الكبرى التي خدم وطنه  
فها من بداعتها إلى نهايتها وافترن باللاذي سنثيا ابنة صديقتي  
اللاذي ويمس وابنة اخت اللاذي دي فسي

أما أخوه ارثر اسكوت فكان من عظماء رجال هذه الحرب  
تزوج بب ابنة أعظم صديقتي ومي اللاذي هارس التي يخامرني  
تدلاً أقل ارتباب في شتى سميتها لي واعدها لي

انضم ارثر إلى الفرقة الملكية البحرية التي تألفت في شهر  
سبتمبر سنة ١٩١٤ وفي أوائل الشهر التالي اشترك في معركة  
اقترب . وبه ما اكل تدريبه العسكري سافر في شهر شباط  
سنة ١٩١٥ إلى المردم وذهب جميعه إلى نيويورك .  
جرح . وبعد ما سني من ايامها وكان من آخر الذين اختاروا  
في شهر يناير سنة ١٩١٥

وفي شهر مايو من تلك السنة انضم إلى فرقة  
البرية التي في فرنسا وحرفت بأخرفة الماسة . المنزلة . وفيه  
انكر [فبراير ١٩١٧] جرح جرحه بالغاً إلى ما به وسام الخدمة  
المتمازة واوصي له بصليب فكتوريا وأعطى فيه براءة انتمت  
وصف ما اتاه من أعمال البسالة في الهجوم والبراعة في



## القيدة والاستطلاع

وفي ١٦ ديسمبر سنة ١٩٥٧ تعين أمير لواء وعهد اليه بقيادة اللواء المئة والتاسع والثمانين . لكنه بعد بضعة ايام أصيب بجرح ابلغ جداً من جرحه الاول لأنه اقضى الى بتر ساقه واضطره الى الانقطاع عن الخدمة

ولم أره قط في حياتي كلها مستسلماً لمولى طبعه او مهتماً بنفسه

. . . . .

والآن التفت حولي واقتش لارى ابنة أبة صديقة من صديقاتي تصلح لان تكون زوجة لأبني انطوي . ولا أعلم هل تكون فاضلة ومحبة وجميلة المنظر مثل كنانتي الاخر  
لقد كنا جميعاً في صفاء وهناء وكل منا مسرور بمحبته للآخرين ومحبة الآخرين له . ولكنني عند ما اراجع في ذهني تفاصيل علاقتي باولاد زوجي منذ دخلت بيت ابيهم ارى انه لم يكن عندي من الحكمة والذكاء ما يكفي لارشادي في سبيل تنشئتهم وتهذيبهم وانه لافضل لي في ما شبوا عليه من صلاح السيرة ونجاح العمل

وفي اثناء اقامتنا في بيبلسشير لم تسنح لي فرصة الاجتماع بغيري من الفتيات المتزوجات في بيوتهن . فلم أعرف أسرة أخرى غير أسرتي . والحالة التي ربيت عليها في سكوتلاندا وهاي  
ليسترشير — التفرغ للرقص والموسيقى والصيد ووفرة اسباب

الترف والرخاء — لم تؤهلني بعد زواجي لفهم طبائع اولاد ربوا  
 في أحوال تختلف عنها كل الاختلاف . كنت قبل الزواج مطلقة  
 السراح وحبي ملي على غاربي اذهب حيث شئت وافعل ما اردت  
 وهذا ما جعل بعض صديقاتي واصدقائي ينظرون بعين القلق الى  
 مسألة زواجي خوفاً على سعادة اولاد زوجي ان يكدر  
 صفاءها ما ينقصني من التدريب والاختبار في تربية الاولاد  
 ولا ادري أينما كان أستجمع في الاقدام على هذا الزواج  
 أزواجي أم أنا . لان اقتراناً كهذا لا يصبح عقده بيد التهاون  
 وانه استخفاف بل يجب ان يرمق بعين العناية والاهتمام والتجلة  
 والاحترام . وجميع كتب التهنية التي جاءتني لم يخل منها كتاب  
 من كلمة تحذير وانذار . فقد كتب اليّ المستر غلادستن يقول : —

« ٥ مايو ١٨٩٤ »

انك مدعوة لقيام بعمل عظيم وشريف . وهو يقتضي همه  
 ونشاطاً لا مزيد عايمهما . فايمنحك القادر على كل شيء عزماً  
 كافياً وثباتاً وافياً

صديقات الخاص

و. ا. ع

وكتب "ي" جون مورلي : —

« ٧ مارس ١٨٩٤ »

« عزيزتي الأنسة مرغو

« الآن وقد سكنت عاصمة التهاني أهدي اليك تهنئتي

متأخرة عنها كلها ولكنها ليست دون واحدة منها في حرارة  
 الاخلاص وصدق التمني . انك عازمة على الاقتران برجل هو  
 من افضل رجال العالم قاطبة . وهو غني بالمراتب العقائدية والادبية  
 وامامه مستقبل زاهر باهر فكل فتاة تحسدك على الاقتران برجل  
 كهذا . وتلك حقيقة معاومة لديك فلا ازيدك بها علماً . على اني  
 في الوقت نفسه اترفع عن الانضمام الى أولئك الفضوليين الذين  
 علمت منك انهم اشاروا عليك بترك بعض ما أنت فيه . فلست  
 ارى رأيهم هذا ولا أوافق على شيء منه . ولا أرى صفات  
 أجدر بالبقاء كما هي من صفات خفة الروح وترقد الذهن ونباهة  
 الشأن وطرب القلب ونشاط العزم . اذا أرجو ان تبقيها كلها ولا  
 تحاولي التعول قيد شعرة عن واحدة منها

« ان الدهر خير ما لم للانسان . ويكفيك من حوادثه درس  
 واحد او درسان . وانشاء الله البليد من لا يتعلم ويعتبر . واني  
 متوقع لك ما ديكما ايام رند وهناء وسر سعادة وصفاء

سألبر بركتي وقد نلتها من الآن . . . اني من صميم قرائي  
 اتمنى لك حياة دماغية الادب طيبة المنهيم وارجو ان نسمعي لي  
 ان أعد نفسي دائماً صديقتك الخالص المحميم

جون مورلي



امروزه

Margaret H. G. G. G.

1375

مستر سکوبث

وعقینه

مرغو سکوبث



والآن عند ما ارجع بافكاري الى سني زواجي الاولى اراني عاجزة عن وصف المعروف الذي اسداه اليّ اولاد زوجي في صبرهم عليّ ورفقهم بي واخلاصهم لي . لاني مع كوني افدتهم كثيراً في تسليتهم وتحسين حالة معيشتهم واصلاح ما كان ييدر منهم من المفوات والزلات لم اتمكن من تعويضهم ما فقدوه فوالدتهم هيلانه اسكويث كانت فريدة في عقد السيدات الجميلات المتهدبات . لم تكن قط خاملة ولا متصنعة . وكانت ساذجة في صلاح قلبها وطهارة نفسها . وكانت بساطتها تعرضها بعض الاحيان لشيء من الغرور والانخداع . وكانت أقل من من أولادها اندفاعاً واقداماً

هذا ما بدا لي ان اذكره عن أولاد زوجي . أما عن ابيهم فاكثني بالقول انه كان مخلصاً منزهاً عن الغرور مالمكا لنفسه . وبكلمة اقول انه كان زوجاً محباً أميناً وفيّاً



## الفصل الرابع عشر

كان طبيبي السر جون وليمس (١) ولو اقام في غير وايلس  
لاشتهر اسمه بين كبار الاطباء . وكان مع براعته في فنه صالح  
النفس مخلص القلب . وسأقتطف في ما يلي نبذة « من يوميتي »  
وصفت فيها تقاسمي الاول وكيف تعرّفت بالسر وليمس : —  
« في اليوم الثامن عشر من شهر مايو سنة ١٨٩٥ كانت شقيقتاي  
شارلوت ولوسي جالستين معي . وكانت ممرضتي مشغولة في اعداد  
ما يحتاج اليه الطبيب . وكان هنري سكا يديّ وانا جالسة في  
كرسي كبير اغص بالابكاء شاعرة برعب الالم وموجسة خوفاً يتعذر  
ادراكه على غير الوالدات

» وفي الساعة الرابعة صباحاً ذهب هنري ليأتي بالخدر  
[الطبيب الذي يعطي الكلوروفرم] . ومع ان الظلام كان غمياً  
في الغرفة تمكنت من مشاهدة الدكتور يبلي عند أسفل فراشي وفي  
يده كيس . فاسندوا رأسي الى مخدة وحالوا بيني وبين النور  
بنىء اسود لم يلبث ان انطبق على في . ثم خيل اليّ اني اسمع  
صوتاً خفيفاً أشبه بصوت نفث بساط . ثم غبت عن الصواب  
وعدت لا أعي شيئاً

---

(١) السر جون وليمس من ابريستوت في وايلس

« وفي منتصف النهار عاد الي صوابي ففتحت عيني وشاهدت  
 شاراوت واقفة تنظر اليّ . فقلت لها : — لم يبق لي طاقة على  
 تحمل الالم . فعبثاً وباطلاً !

شارلوت : « لا . لا . يا عزيزتي لن تتألمي بعد الآن »

مرغو : « اتعنين بهذا ان كل شيء انتهى ؟

شارلوت : « نايي يا عزيزتي نايي

» وكان الكلوروفرم قد أخذ مني كل مأخذ حتى اني بالجهد  
 استضعت الكلام . وقالت لي الممرضة فيما بعد ان الطبيب رأى  
 ان يضحى بالطفل في سبيل نجاتي من الخطر العظيم الذي تعرضت  
 له لان ولادتي تعسرت الى حد يفوق الوصف

« ولما جاء السرجون وليمس ليراني كانت علامات القلق  
 والاعياء بادية على وجهه . واذ لم يجد أقل ارتفاع في درجة  
 حرارتي قال لي بحمية : —

« اشكرك يا عقيلة اسكويث

» وكنتُ لشدة ضعفي غير قادرة على معرفة كل ما حدث  
 وبلغ هياج اعصابي مبلغاً جعلني اقاسي من أقل صوت واصغر  
 حركة الماء لا يوصف «

وعلى ذكر ما اقتبسته من يوميتي اقول اني فجعت بثلاثة من  
 الاطفال الخمسة الذين ولدتهم ؛ ولستُ اجعل ان هذه الاحزان  
 السرية الاليمة لا محل لذكرها لغير اصحابها . ولكن كما اني اقف



بعض الاوقات مع هنري بجانب الرموس الصغيرة محجوبين عن  
عيون الغرباء هكذا نلمس كلانا بيد واحدة وقلب واحد حزناً  
لا ينسى ذكره ولا يمحي اثره

وقد جاءنا كثير من رسائل التعزية . ولكن ابلغها وادلها  
على المؤاساة الحقيقية رسالة صديقنا الحميم الودود اللورد  
هلداين وهي : —

### « صديقتي العزيزة

« حقاً يصعب عليّ وصف التأثير الشديد الذي شعرت به  
في أثناء الدقائق القليلة التي قضيتها في الكلام معك بعد ظهر اليوم .  
نعم لقد أثر فيّ جداً ما رأيته وما سمعته . وفارقتك بشعور من  
شاهد بعينه نصره ناشئة عن غلبة وحياة صادرة عن موت .  
والقوة الممنوحة في وقت عصيب كهذا لا تنتج عن تجاهل  
الخطب ولا عن محاولة الاقتناع بغير الواقع بل عن العزم الراسخ  
على تولية الوجه شطر الشرق والتقدم الى الامام . والعبرة في ما  
نلمسه بالكيفية لا بالكمية . والله ما قاله برونن في كتابه الرباني  
بن عزرا : « كل ما استطيع ان اكونه وكل ما اضعته محفوظ ههناك  
في يد ذلك الذي رتب كل شيء منذ البدء ترتيباً كاملاً حسب  
قصده » . فقد فقدنا سروراً عظيماً ولكنكما بتنمية وتقوية محبة  
كل منكما للآخر ترجان ما هو خير وابقى . فالالم والحزن

لذلك ان تحملتهما سوف يأولان الى زيادة قوتكما وسعادتكما  
صديقك المخلص

ر . ب . هلدلين»

وفيا كنتُ أخذه في النقه والتعافي جاء هنري ومعه السر  
جون وليس ودخلا مخدعي وكان ذلك بين الساعة الخامسة  
والسادسة من صباح اليوم الحادي والعشرين من شهر مايو سنة  
١٨٩٥ . وقيل حينئذ انه ينبغي لي ان ابقى في سريري الى شهر  
اغسطس لكي اشفى من التهاب الاوردة

ومن ذلك الحين صار طيبي السرجون وليس صديقي .  
وكان لنباله شأنه وصراحة افكاره وسداد رأيه تأثير كبير في  
حياتي كلها

ولأعد الى « يومتي » : —

« وكان هنري ذا حظوة عند الملكة فكتوريا . فاهتمت  
بامر تقاسي . وكتبت اليه كتاباً رقيقاً تلطف فيه بالسؤال عني  
وزادت على ذلك أنها واصلت طلب الاطمئنان عن صحتي بواسطة  
رسل كانت تبعثهم يوماً بعد يوم . وقد اجبتها مرة بنفسى بقلم  
برصاص عند ما كان هنري غائباً في وزارة الخارجية مع ان معرفتي  
بها كانت يسيرة

« وفي ذات يوم قيل لي ان السر ولیم هر كورت قادم لزيارتي  
وكنتُ بعد في النقه ولا ازال ملازمة لسريري . ثم اظلم باب

غرفتي بجسمه الضخم

« وكان قد زارني اكثر اصدقائي من كبار رجال السياسة وغيرهم كالستر غلادستن واللورد هلاين والمستر برل واللورد سبنسر وجون مورلي وارثر بلفور والسر الفرد ليال وامير البحر ماكس . فسرني ان يزورني السر وليم هركورت أيضاً . ولما دخل وشاهد سياط الصيد معلقة على جدار الغرفة قال : —

« يسرني ان أرى هذه السياط ! فان اسكويث يستخدمها لجلدك كلما جازفت . واني أرى في فيه الصغير المزموم دليلا على عزمه واستطاعته ان يفعل ذلك كلما اراد

« وبعد ما خرجت ممرضتي من الغرفة دهش من استخدامي امرأة قبيحة المنظر كهذه وان تكن مجتهدة ونافعة في خدمتها . وقال لي ان ابنه بوبي أحب ممرضة وظل عدة سنوات يكتب اليها . ثم قال : —

« اني ابذل جهدي في حث أولادي على هذا الامر لانه يفيدهم في مستقبلهم

« وبعد قليل قيل لي ان المستر جون مورلي قادم ليزورني \* فامرت الخادم ان يسأله الانتظار قليلا في غرفة الجلوس والحيت على زائري هركورت في البقاء ماشاء . لكنه اصر على طلب دخول جون مورلي . فاستدعيته واخذنا نحن الثلاثة نتجاذب الأحاديث عن امور مختلفة حتى انتهينا الى الانحاء باللوم على الذين

يهتمون برأي الآخرين فيهم أو بما تقوله الصحف عنهم . ولم  
كنت عالمة ان زائري كليها شديدا التأثير بكلام الصحافة تعمدت  
توسيع نطاق هذا البحث . فأخذ كل منهما يندد بالصحف التي  
شدت حملاتها عليه ويطريء الصحف التي نغانت في سبيل التعصب  
له والانحياز اليه

وبعد انصرف السر وليم طفق جون مولي — وهو أشد  
الناس تألقا واخلبهم للعقول — يحدني عن الامور الادبية  
والكتب والقصص ولا تتقاد فانهزت هذه الفرصة السانحة  
وجعلت أعنفه — على سبيل المزاح — لانه بلغني عنه انه قبل  
زواجي أشار الى ما في من خفة الروح وقلة الرزاة وقال ان  
هذا سوف يضر بمستقبل هنري . وسألته هل اطلع على ما عملته  
بعد ذلك مما يؤهاني لنيل ثقته واعجابه بي . فاعترف بانتقاده لي  
جريا على صراحته المعهودة لانه من أسد الناس تمسكا بالصدق  
وابعدهم عن الكذب . وتلك شجاعة طالما اعجبت بها

« وبعد ما ودعني وذهب جاء هنري واخبرني بانه عند  
ما جرى الاقتراع على لوم كبل بان من في مسألة تتعلق بالخائن  
زاد المقترعين ضد الوزارة على المقترعين معها سبعة اصوات  
وافضت هذه الحركة الى اندحارها . فسألته بلهجة القلق  
والاضطراب . —

« آسف أنت يا عزيزي على خروجنا من الوزارة ؛ فاجابني : —

« انما أسقي على أمر واحد ، وهو عدم انتهائي من اصلاح السجون . على انني ألقت له أفضل لجنة ولي أمل انها تواصل اصلاح الذي شرعت فيه وتكملة على الوجه المروم

وحينئذ جاءه رسول بدعوة من قبل مجلس النواب . وقيل له ان الملكة استدعت اللورد روزبري اليها . فهاجنا هذا الطلب المفاجيء . وقبلما يتمكن من تمة كلامه لي عما حدث قفل راجعاً الى وستمنستر . وبعد نصف الليل جاءني ودخل مخدعي ليتلو صلواته بجانبني كما كانت عادته في كل ليلة .

« ثم اخبرني بأن سنت جون برودريك استدعى ان ينقص راتب كبل بانرمن مئة جنيه في السنة . فأفضى هذا الاستدعاء الى قلب الوزارة . وقال لي ان اللورد روزبري استقال وذهب الى وندسور . وان غيظ كبل بانرمن من هذا الاندحار بلغ اشده وان انصارنا في المجلس كانوا قليلين جداً . »

وبسقوط الوزارة سنة ١٨٩٥ لم يبق ليوميّتي عن تلك السنة أقل مزية



# الفصل الخامس عشر

سأختم كتابي بوصف آجالي لآخلاقي منقول عن يوميتي التي دونتها قبل ولادة ولدي الخامس والآخر [سنة ١٩٠٦] بتسعة أسابيع . وهو كباقي المقتبسات التي اقتطفتها من يومياتي لم يوضع قط لقصد اطلاع الجمهور عليه : —

« لست جميلة ولا أعرف شيئاً عن ملاحي . ولا يزال شكل جسمي باقياً كما كان من حيث النحافة وتناسب الاعضاء ونشاط الحركة . وبما أتى جريئة على المعاشرة والاختلاط باهل الهيئة الاجتماعية فلي استطاعة ان أدخل أي مجتمع كان من مجتمعاتها راسخة القدم رابطة الجأش كما يفعل من هم فوقى جاهاً وعظمة ولست أعتذر عن مدحي لنفسي اذا كنت مستحقة له ولا احاول الدفاع عن لوم استوجهه لكنني ابذل جهدي في وضع الارقام صحيحة وادع غيري يعنى بجمعها

« اظنني حاصلة على قوة التصور الناشئة لا عن الوهم بل عن الشعور . وقادرة على ادراك الجمال لا في الشعر والموسيقى والتصوير ومظاهر الطبيعة فقط بل في بني البشر أيضاً . ولي في ماهية الله نظر جلي صاف لكنه بعيد يخترق مسافات قائمة الجو طويلة المدى ومنتشعة الطرق . واني انتهز هذه الفرصة لاعلن

ان ديني حقيقة ملازمة لي وغير منفصلة عني . وهذا كل ما اروم  
ان اقله عن هذا الموضوع

» ومن الصعب تعريف قوة التصوُّر . ولكنني اظنها اعم  
من الوهم والتخيل . كتب اليّ هنري مرة في احدى رسائله  
الحبية يقول : « ان لك في التصور نظراً خارقاً وفراصة فائقة قل  
من يدانيك فيها ، . ومما ينقصني في التصور بشهادة هنري نفسه  
اني شديدة الاهتمام بمساعدة من احبهم الى حد يعرضني للوم  
والانتقاد . واني ككثيراً ما اقصر في مراعاة ما يجرح شعور  
الآخرين . وما أظنُّ انه يحق لي الاهتمام بان يقال لي ما كنتُ  
قد سبقتُ وقلته لغيري . وقد تجرعت في حياتي كؤوس الانتقاد  
مترعة وجرعتُ غيري مثلاً . ولكنني لامر ما — لنقص لم استطع  
سده او خلل لم اتمكن من اصلاحه — عجزت عن حمل اصدقائي  
على قبولها مثلي بضمير صالح ونية حسنة . لستُ مغرورة ولا نزقة  
ولا انا من يطير الذباب فيغصب . ولكن متى أُسيء اليّ فائر  
الاساءة يبقى فيّ . ويكون شعوري نحو من يسيئون اليّ مختلفاً  
وعلى وجوه متباينة . فان ثقّيت بهم تزعزع . ومع اتصافي بكرم  
النفس اخاف ان يكون لصفحي حد لا استطيع مجاوزته . يقول  
أهل العلم ان الاعتذار او التفاهم او جلاء ما يقع من سوء الفهم  
بين الاصدقاء والاصحاب — يقولون ان هذا كله خطأ أو من  
باب لزوم ما لا يلزم . لكنني اراه السبيل الوحيد لمن يروم

الاحتفاظ بمحبتي. والذين ليس عندهم من حسن النية وكرم النفس والتواضع ما يحملهم على الاعتراف بخطاياهم لا يستحقون ان يحبهم أحد. ومما اشكوه من قصر الحياة انه ليس لي فيها وقت كاف لابدي ما عندي من عواطف الشفقة والمحبة نحو الآخرين. ان رأفتي أعظم من ان توصف وجميع جوارحي تمتلئ شعوراً بشقاء غيري

« وكما سببتُ وقتاً في وصفي الاجمالي لنفسي سنة ١٨٨٨ اقول الآن اني بالجهد أعدّ الصدق فضيلة. لكنني لا استطيع الفرق بين الصدق الذي يجب ان يقال والصدق الذي ينبغي ان نسكت عنه. فكثيرون يكذبون لانهم لا يجرأون ان يقولوا الصدق ويصعب عليّ ان اقول ما اخاف من قوله. انني جسدياً واجتماعياً قليلة الخوف والكنني اديباً اخاف من اشياء كثيرة من توبيخ الخدم ومساومة الباعة في الخازن والدكاكين بل مما هو أهم — من فقد صحتي او صحة زوجي أو صحة أرواحي ولاجل درء هذه المخاوف الاخيرة اواصل صلواتي وابنهالاتي كلما خلوت بنفسي

« وها أنا قد قلتُ عن نفسي بكل احتشام اني قوية التصور سريعة الخاطر ومحبة وجريئة. اذاً ما هي عيوبتي ؟

« اني عصبية المزاج سريعة الهياج قاقمة كثيرة الحركة. وهذه الامور قد يراها القاريء عيوباً صغيرة ليست بذات اهمية .



ولكنها متأصلة فيّ حتى انها كثيراً ما تشل حركات نشاطي وتضعف  
 قوة نفوذي وتحول دون قيامي بعمل خطير ذي شأن. أرهق نفسي  
 واستنفد قواي على وجوه مختلفة وبطرق متنوعة واندم متحسرة  
 على عدم انجازي للأعمال الطفيفة التافهة واستعدت مرة بعد  
 مرة منسقة متدبرة ما اروم الشروع فيه أو ما يروم غيري  
 الاقدام عليه من الاعمال حتى يأخذ مني العناية كل مأخذ ويوشك  
 ان يحرمني شهية الطعام والميل الى المنام . اني شديدة العزم  
 كثيرة النشاط وافرة الاجتهاد . ولكنني عجول قليلا . فأساق  
 مندفعة بمحبة مزاجي حتى ارهق نفسي وانهك قوى غيري

« لم اتزوج الا بعد ما صرت ابنة ثلثين سنة . وهذا الحسن  
 الحظ وسع لي مجال التفرغ للدرس والمطالعة . ولو كنت ممن  
 يعرفون كيف ينتفعون من المطالعة لبلغت شأواً بعيداً في  
 التطلع من العلوم والمعارف . ولكن هذا الارتفاع فاتي . لست  
 خاملة ولا بليدة . ولكن يخيل اليّ اني غير قادرة على ادراك  
 الامور المتناقضة ولي ذاكرة قوية على استيعاب ما اطالعه في  
 الكتب وحفظ ما اسمعه من الاحاديث ولكنها ضعيفة في حفظ  
 الاشعار وتذكر التواريخ وعجيبه جداً في تذكر الوجوه واعجب  
 منه في نسيان الاسماء

« وقد استوفيت قسطين من الرياضة الجسدية . فبلغت من  
 البراعة في ركوب الخيل مبلغاً قل من يدانيني فيه . وقضيت فيه

من الوقت أكثر جداً مما وجب . وفي سبيله تعرضت لهشم .  
 انقي وكسر ترقوتي واضلاعي وعظام ركبتي وخلع فكي وشج  
 جمجمتي وأصبت من جراه خمس مرات بارتجاج الدماغ . ولكنني  
 مع هذا كله - ومع ان افراسي ستباع في الاسبوع القادم (١) -  
 بقيت كما أنا شديدة العزم والثبات . وقد زاولت الزلج  
 والرقص . فالممت بالاول الماماً كافياً ولكنني اتقنت الثاني  
 اتقاناً تاماً . ولي في التصوير معرفة حسنة وقرينة جيدة ولكنني  
 موسيقية مطبوعة وبارعة جداً في الضرب على البيانو . وقد  
 اهملت الآن هذين الفنين كليهما . ودفاعاً عن اهمالي هذا اقول  
 انه نشأ من جهة عن اشتغالي بشؤون أولادي وأولاد زوجي  
 وامور بيتي . ومن جهة اخرى - وهي أشد تأثيراً من تلك -  
 عن قلقي وكثرة حركتي

وكانت الكتابة اعظم شيء ولعت به بهد ركوب الخيل  
 فقد كتبت كثيراً ولكنني لم ارتح الى نشر شيء منه . وكنت  
 دائماً شديدة العناية بتدوين يومية في كتاب مبرّج حسب  
 ترتيب الحروف الهجائية . وبقيت سنين طويلة اكتب ما يبدو  
 لي من الانتقاد في ما اطالعه من الكتب . وقد يصعب علي ان  
 أبدي رأيي في ما يخطه قلبي . قال لي ارثر بلفور يوماً اني  
 بارعة في كتابة الرسائل . ويشهد لي هنري باتي كاتبة مجيدة اما

الكتابة من انظرز الذي أميل الى مطالعته فلست بقادرة عليها لانها تحتاج الى تدرب طويل لم يتح لي . فلو تدربت عليها منذ الصغر لكان اتقاني لما أسد منه لغيرها . ولي عناية خاصة بانتقاد كل ما أقرأه ولست استمد آرائي في الكتب من أفكار غيري ، ولما طالعت كتب ارثر بلفور ومباحثاته راعني في الحال جهل اسلوبه الكتابي قبلما أفف على رأي أحد آخر فيه . ثم وانقضي عليه هنري رأيده ابنه ريموند وهو لا يقل عن ابيه مقدرة على معرفة أمر كهذا وقال فيما كتبه مرة ان ارثر بلفور اجمل الكتاب اسلوباً واحسنهم ديباجة

« وقد ولعت منذ حدثني بجمع استات العاديات والآثار ولم تنحصر عنايتي هذه في الطرائف الغالية النفيسة بل كانت شاملة للرسائل والصور والرسوم لاسرتي ومشاهير الناس وغير ذلك . فلم اضع شيئاً مما وقع في حيازتي . فعندي خزف صيني وكتب واسواط وسكاكين وعلب نقاب ، وساعات وغير ما كان يهدي اليّ في صغري . هذا واني شديدة التدقيق في المحافظة على الوقت وحريصة جداً على النظافة والاتقان والترتيب . وفيّ قسوة قليلة الا في معاملة الاولاد فان لي عليهم ما لا يوصف من الصبر وطول الاناة

« والآن قد انتهيت . لاني أشرتُ الى صفاتي واخلاقي  
 وآدابي ومواهي وعيوبني وتجاربي . استطعتُ من الامانة  
 والاخلاص . فلم يبق شيء خليق بالذكر . واذا كان لا بد لي  
 من وصف نفسي بشيء يميزني قليلا من غيري قلت انه قوتي  
 على المحبة والاعتقاد . اما ما ينقصني من ثبات الجأش والاعتدال  
 وامتلاك النفس والساطة الصادرة عن الشعور التام بحقيقة  
 التناسب فهذه كلها ما يحوزه هنري ويفرق به على غيره . وغاية  
 ما أتمناه اني لا اكون قد بلغت من السن والجود ما يحول دون  
 سد هذا النقصان

« م . ا .

» شهر يونيو ١٩٠٦

« حاشية : هذه هي المرة الثانية التي حاولت فيها ان اكتب  
 عن نفسي واخاف ان يكون ما كتبتة في الاولى سنة ١٨٨٧  
 افضل مما كتبتة الآن . لانه كان اكثر تناولا لشؤوني الخارجية  
 ولكن ماذا عسى المرء ان يستطيع قوله عن شؤونه الداخلية  
 مما يطابق الواقع أو يجيء موافقاً لرأي اصدقائه فيه ؟ . اني  
 قادمة بعد بضعة اسابيع على الولادة وفيّ عامل يدفعني الى التطير  
 والتشاؤم ويستميلني الى تلخيص حياتي على الوجه الآتي : —

« طفولية مطلقة من كل قيد . وصبوة مقرونة بالفوز ،  
ومغازلة كثيرة بقليل من الامتهان والابتذال . وشهرة قليلة ،  
معرضة لكثير من الانتقاد وزوج صالح من كل وجه . ورغد  
عيش لا مزيد عليه . ومحبة الاولاد . وغبطة في الوجود . وموت  
قبل الاوان وحفلة تذكارية

«ولكني آمل ان يمتد بي أجلي لا كتب من ' هذه اليومية  
مجلداً آخر يحتوي وصفاً شائقاً لسيدة صالحة ».

مرغو اسكويث



اطلبوا

٩٧٦  
تسعين  
عقد

الرافد المحتال

تعريب أسعد خليل داغر معرب مذكرات مدام اسكويث  
عنه ٨ قروش والبريد قرشين من مكتبة العرب بالفجالة



# في مكتبته العربية

بشارع  
القجالة بمصر

- ١٢ نوادر الحرب المظمية وهي قصص رسمية فكاهية وانمينة
- ١٥ تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها الى الآن بالصورة لحنا أسعد
- ١٢ المرشد الظريف في طالع الجنس اللطيف
- ٨ أمثال الشرق والغرب وهو حكم وأمثال
- ٦٠ الساق على الساق لأحمد فارس الشدياق
- ١٠ رسائل الشيخ ابراهيم اليازجي
- ٥ معارضات قصيدة ياليل الصب - معها عيسى المملوك
- ٥ تاريخ غليوم الثاني امبراطور المانيا السابق
- ٢٠ روح الاجتماع تعريب فتحي باشا زغلول
- ٨ رسبوتين الراهب المحتال تعريب اسعد خليل داغر
- ٨ القوة الفكرية في المغنطيسية الحيوية
- ٨ الدرة الثمينة في عرافة الكوتشينه
- ٢٠ مذكرات هندنبرج القائد الالماني الشهير

## تحت الطبع

من اعماق السجون بقلم اوسكار وايلد  
 بيضة الفرخة للاستاذ نجيب ميخائيل ساعاتي  
 فاتمة الامبراطور فراسوا جوزف امبراطور النمسا السابق

# مذكرات مدام اسكويث

(١) للمسييرة سرغو

عقيلة المستر اسكويث رئيس الوزارة البريطانية سابقاً

١٩٢٣-١٩٢٤

«الفطنة عانس»<sup>(٢)</sup> قبيحة المنظر معشوقة العجز « بلايك

قال المستر ونستن تشرشل في جريدة الديلي ميل : —

«يحق لهذه المذكرات ان تشغل محلاً في التاريخ في عهد الملكة فكتوريا»

١٩٢٣-١٩٢٤

ترجمة الشاعر الناثر

أحمد خليل داغر

كتاب حوى ما تشتهي من فكاكة وتاريخ قوم في اجتماع وخلوة  
تسر به مستقرياً متمتعاً بقطف ثمار منه كالشهد حلوة

عني بذنره

يوسف تومالستباني

صاحب مكتبة المبر

(١) تصغير مرغريته (٢) كهلة عزبة

المطبعة اليوسفية ياب الخلق بمصر سنة ١٩٢٣